

سلسلة رسائل لعامة المهوى بطبعها
" ١١ "



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القيوين
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



٤٠٠٠١٣٧

الاتجاه الإسلامي في شعر

محمد بن علي السنوسي

دراسة تحليلية فنية

إعداد

مفرح إدريس أحمد سيد

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

ح

جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

سيد ، مفرح إدريس أحمد

الاتجاه الاسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي - مكة المكرمة .

٤٢٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩ - ١٢٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠

١ - السعودية - الشعر العربي - نقد - العصر الحديث

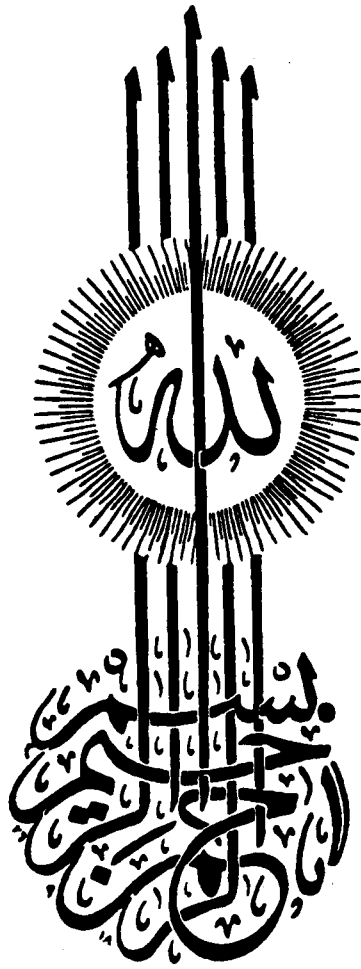
٢ - السنوي ، محمد بن علي - نقد أ - العنوان

١٦ / ٣٤٧٨

ديوي ٨١١,٩٥٣١٠٠٩

رقم الايداع : ١٦ / ٣٤٧٨

ردمك : ٩ - ١٢٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠



هذا العمل هو رسالة ماجستير في (الاتجاه الإسلامي في
شعر محمد بن علي السنوسي « دراسة تحليلية فنية ») من جامعة
أم القرى بمكة المكرمة كلية اللغة العربية . قسم : الأدب .
أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..
وبالله التوفيق

الإهداء

إلى أسرتي الكريمة .. ابتداءً بوالدي الحبيب ..
ووالدتي الغالية ، وانتهاءً برامي وخولة .. إيماناً بعظم فضلهم
بعد الله ، ووفاءً ببعض حقوقهم عليّ .

وإلى الذي غرس حب اللغة وآدابها في أعماقي ،
وأشعل جذوة الطموح في مسافات أحداقي ، إلى الأستاذ
والرائد / محمد بن عبده الشبيلي .

وإلى الأخوين الكريمين الأستاذ / علي أحمد فقيه ،
والأستاذ / غازي أحمد فقيه .

تقديراً لمواقفهما ونبلهما ، وإنسانيتهما الفياضة .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذه الدراسة ، وبالله التوفيق .

مفرح إدريس أحمد سيد

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فقد وقع اختياري على هذا البحث الذي هو بعنوان « الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي دراسة تحليلية فنية » ليكون موضوعاً لرسالتي التي سأقدم بها لنيل درجة الماجستير - إن شاء الله - وذلك لعدة أمور أهمها :

١ - أهميته النابعة من علاقته الوثيقة بالعقيدة الإسلامية التي تملأ حياتنا ، وتوجه سلوكنا في هذه الحياة .

٢ - غزارته وتعدد مجالاته ، فهو يكاد يسيطر سيطرة شبه تامة على جميع أعمال شاعرنا الشعرية .

٣ - جودته وتفوقه من الناحية الفنية التي يرى معظم المناوئين لفكرة الأدب الإسلامي تجرده منها ؛ وذلك لغلبة الجانب الفكري - كما يزعمون - في الأدب الإسلامي على الجانب الفني .

٤ - عدم اهتمام الدارسين لشعر السنوسي بإبراز شعر هذا الاتجاه ،

واكتفأؤهم بالإشارة العابرة إليه في صفحات محدودة باعتباره غرضاً شعرياً من جملة الأغراض الشعرية التي حوتها أعمال السنوسي الشعرية .

ومن تلك الدراسات التي وجهت لشعر السنوسي ، وأشار أصحابها إلى الاتجاه الإسلامي ، ودرسوه بوصفه غرضاً شعرياً أو اتجاهاً بصورة عامة ليس فيها تحليل ولا استقصاء :

- « محمد بن علي السنوسي شاعراً » للدكتور محمود شاكر سعيد
- وما جاء عن السنوسي وشعره في كتاب : « المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية » للدكتور علي علي مصطفى صبح .

- والأطروحة العلمية التي أعدها الطالب محمد بن سليمان القسومي بعنوان : « محمد بن علي السنوسي حياته وشعره » لنيل درجة الماجستير من كلية اللغة العربية في الرياض .

٥ - إيماني العميق بضرورة إبراز هذا الاتجاه في نتاج الأدباء في سائر الفنون الأدبية ، ودراسته دراسة علمية جادة ، ومن ثم تقديمه لجمهور المتلقين ، حتى يكون مشعلاً ينير السبيل أمام مسيرة الأدب الإسلامي المعاصر .

وأود أن أشير إلى أن منهجي في هذه الدراسة كان منهجاً وصفيّاً تحليلياً فنياً ، عاجلت من خلاله النصوص ، ودرست ما فيها من قيم فنية في إطارها ومضمونها وصورها ، وذلك لإيماني بجدوى هذا المنهج في دراسة الأدب ،

وحاجة شعر السنوسي الإسلامي إلى هذا المنهج في دراسته .
ومن الطبيعي أن تكون مصادر هذه الدراسة هي أعمال الشاعر
الشعرية، سواء ماضمه منها كتاب أو مجلد، كشعره الذي حوته (أعماله
الكاملة)، أو كتاب (شعراء الجنوب)، أو الذي قدر لي الوقوف عليه في
بعض الصحف والمجلات السعودية، فقد عمدت إليها، واستقيت منها المادة
التي بنيت عليها هذه الدراسة، بعد أن استقرأتها في مظانها .

كما أفدت من الدراسات التي وجهت لشعر السنوسي، وقد أشرت
لبعضها سابقاً، والدراسات المهمة بإبراز الاتجاه الإسلامي في سائر عصورنا
الأدبية، ولدى بعض الشعراء .

وهناك مراجع أدبية ونقدية وعلمية أفدت منها في هذه الدراسة، وقد
أشرت إليها وإلى أصحابها وطبعاتها في الهوامش، كما أثبتتها في آخر هذا
البحث .

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن أجعلها في تمهيد وأربعة فصول
وخاتمة .

أما التمهيد :

فقد تعرضت فيه لتحديد مفهوم الشعر الإسلامي الذي أقصده في
دراستي، وأتلمسه في شعر السنوسي، ثم قدمت نبذة مختصرة عن الشاعر
الذي تدور حول شعره دراستنا .

أما الفصل الأول :

(النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية)

فقد عينا فيه بإبراز الأثر الإسلامي ، والمعاني الإسلامية التي تضمنتها الأغراض الشعرية التي احتوت أغلب شعر السنوسي .

وقد شملت دراستي فيه الأغراض الشعرية الآتية :

المدح ، والرثاء ، والغزل ، والوصف ، والشعر الاجتماعي ، والشعر الوطني .

أما الفصل الثاني :

(موضوعات الشعر الإسلامي)

فقد عينا فيه بتحديد ودراسة أهم الموضوعات الإسلامية في شعر السنوسي .

وقد شملت دراستي فيه الموضوعات الآتية :

١ - الشعر المتصل بالعقيدة الإسلامية :

وقفنا في شعره المتعلق بهذا الجانب عند دفاعه عن العقيدة الإسلامية ممثلة في أهم أسسها وهو الإيمان بالله وتوحيده ، من خلال عرضنا للأدلة التي ساقها السنوسي والتي تؤكد وجود الله - سبحانه وتعالى - ، وتشهد

بوحدايته، كما وقفنا عند شعره الذي دار حول الإيمان بقضاء الله وقدره،
واليوم الآخر، وشعره الذي توجه به إلى خالقه سائلاً إياه فيه الرحمة والمغفرة
واللطف.

٢ - الشعر المتصل بالإسلام ورسالته :

وقفنا في شعره المتعلق بهذا الجانب - أولاً - عند شعره الذي خص به
الرسالة الإسلامية، حيث وقفنا على إشارات بها، ودفاعه عنها، ودعوته إلى
اعتناقها.

ثم وقفنا عند بعض الآفاق العبادية التي كان لها نصيب في شعره،
كالصلاة والصيام والحج.

٣ - استلهام التاريخ الإسلامي :

وقفنا في شعره الذي استلهم فيه تاريخنا الإسلامي - أولاً - عند بعض
أبطال الإسلام والمسلمين الذين استدعاهم في بعض تجاربه الشعرية، ثم
وقفنا عند أمجاد الأمة الإسلامية، وبعض معارك الفتوحات الإسلامية.

٤ - الشعر المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين :

عينا في دراستنا لشعره المتعلق بهذا الجانب بيان موقفه من حضارة
وتراث أمته الإسلامية، وموقفه من الحضارة الغربية الحديثة، وبيراز حرصه
على بعث تلك الحضارة ودراسة تراثها الضخم، ودعوته إلى الاستفادة من
ذلك التراث في إرساء دعائم النهضة الإسلامية المعاصرة وبنائها.

كما وقفنا على دفاعه المستميت عن لغة ذلك التراث ، وتأكيده على دقتها وسعتها ومقدرتها على احتواء كل المعارف الإنسانية التالد منها والظريف .

٥ - الشعر المتصل بالدعوة إلى الجهاد :

عينا في دراستنا لشعره المتعلق بهذا المجال بالإشارة إلى الدوافع والأسباب التي جعلته يلح في الدعوة إلى الجهاد، ثم أشرنا إلى الطرق التي اتخذها في دعوته إليه، ثم وقفنا معه عند بعض الانتصارات التي تحققت على أيدي بعض أبناء أمتة الإسلامية عندما امتطوا صهوة الجهاد .

٦ - الشعر المتصل بالدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية :

أشرنا في بداية تناولنا لشعر السنوسي المتعلق بهذا الجانب إلى انقسام الشعراء في دعوتهم إلى الوحدة، ثم أكدنا على اهتمام السنوسي بوحدة العرب والمسلمين، وبيننا الأسباب التي جعلته يلح على الوحدة العربية، ونفينا عنه صفة القومية في دعوته إلى الوحدة العربية، وقدمنا من الأسباب والأدلة مانراه كافياً لدحض أي تهمة قد توجه إليه من خلال دعوته تلك، ثم أشرنا إلى الطرق التي انتهجها في دعوته إلى الوحدة العربية والإسلامية، والصورة المستقبلية التي رسمها لأمتة في ظل وحدتها .

أما الفصل الثالث :

(معاني الشعر الإسلامي)

وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : (المعاني والأفكار) .

وقد أشرت فيه إلى أهم المعاني التي دار حولها شعر السنوسي الإسلامي، ذات الصلة الوثيقة بالإسلام ورسالته، ثم أشرت إلى سمو تلك المعاني وجلالها، ووضوحها، وتفاعله معها...

ثم قمت برصد أبرز ظاهرة في شعره الإسلامي، والتي تتمثل في استيحائه لأغلب معانيه من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وتضمينه لبعض أحداث السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي.

المبحث الثاني : تناولت فيه : (التجربة الشعرية والصدق الفني)

عرضت - أولاً - لمعنى التجربة الشعرية والصدق الفني، ثم قمت بتناول شعر السنوسي الإسلامي من هذه الناحية، وركزت على عنصر العاطفة، ومدى صدقها فيه، وقد تبين لي صدقه الفني والشعوري في كل الأغراض والموضوعات التي طرقها، عدا بعض قصائده في مجال العقيدة الإسلامية، فقد تخلفت العاطفة فيها قليلاً، وذلك لطغيان عنصر الفكر فيها.

المبحث الثالث : تناولت فيه : (الوحدة العضوية)

وقد عرضت في البداية لمفهوم الوحدة العضوية لدى بعض نقادنا المحدثين، ثم أخذت بمفهوم الأستاذ مصطفى السحرطي لها في دراستي لشعر السنوسي الإسلامي .

وقد وقفت على توافرها بجميع مظاهرها في قصائده ذات النزعة القصصية، كما وقفت على توافرها في معظم قصائده التي خلت من النزعة القصصية، وذلك لاستقلالها بموضوع واحد، وهيمنة إحساس وشعور واحد عليها، وتضافر الألفاظ والصور على إبراز ذلك الإحساس والشعور المهيمن عليها .

ووقفت على توافرها - أيضاً - في أبيات محدودة في بعض القصائد التي لم تخضع لموضوع واحد، حيث رأينا تلك الأبيات بنية حية متماسكة، تتضافر فيها الألفاظ والصور لإبراز الفكرة التي يقصدها الشاعر، أو الإحساس الذي هيمن عليه أو اعتراه فيها .

أما الفصل الرابع :

(الشكل والصورة في الشعر الإسلامي)

وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : (المعجم الشعري) .

وقد أشرت في بداية تناولي له إلى تأثيره بقراءات الشاعر المختلفة، كما

أشرت إلى تأثيره بعصره وواقعه الذي يعيشه .

ثم عنيت بإبراز معجم شاعرنا الإسلامي، وقد تبين لي مدى تأثير معجمه بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي. المبحث الثاني : (الأسلوب) .

عرضت في بادئ الأمر إلى ملاءمته بين الألفاظ والمعاني في شعره، حيث وجدناه يستخدم بعض الألفاظ العذبة والرشيقة في المعاني التي تتطلب مثل تلك السمات في الألفاظ كالغزل، والرثاء، والشكوى.

ويستخدم بعض الألفاظ الشديدة والجزلة في المعاني التي تتطلب تلك الشدة والجزالة كالمدح، وكثير من شعره الوطني، وفي فخره بماضي أمته الإسلامية، والإشادة بالرسالة الإسلامية وحضارتها، وفي تصديه للحملات الاستعمارية...

ثم وقفت عند أبرز الظواهر الأسلوبية في شعره والتي تمثلت في : اقتباسه من الأسلوب القرآني، والتكرار، والحوار، والأسلوب القصصي. وقد أرجعت ذلك التعدد في أسلوبه إلى ثقافته الواسعة، وإدراكه أن لكل تجربة شعرية إطارها الملائم لها.

المبحث الثالث : (الصورة الفنية) .

تناولت بالدراسة - أولاً - مصادر صور الشاعر في شعره الإسلامي، وقد اتضح لي أن أغلب صورته تعود إلى ثلاثة مصادر: ثقافية، طبيعية، إنسانية.

ثم عرضت للخيال والصورة الشعرية، وقد وقفت على حضور خياله في صوره الشعرية: المجازية والحقيقية، وركزت على التشخيص والتجسيم من صوره المجازية؛ لميله الشديد إليهما، ثم أشرت في دراستي لصوره الحقيقية إلى حسن اختياره للألفاظ القادرة على التصوير من خلال جرسها أو ظلالها.

ثم أشرت إلى دور خياله في توليد بعض الصور الذهنية، والمتمثلة في استخدامه لبعض الشخصيات التراثية في شعره، كرموز سعى من خلالها إلى ربط اللحظة الحاضرة بأختها في الزمن الغابر.

ثم تناولت في نهاية دراستي للصورة الفنية، المفارقة التصويرية، باعتبارها وسيلة من الوسائل التصويرية التي اتكأ عليها في بعض تجاربه الشعرية.

وفي الخاتمة:

أوجزت ما فصلته في فصول هذه الدراسة ومباحثها، وذكرت النتائج التي استطاع هذا البحث أن يحققها.

وبعد : ...

فقد بذلت قصارى جهدي لإخراج هذا البحث في أتم صورة، وأخلصت فيه لله قصدي، ولست أزعم أنني وصلت به إلى مرتبة الكمال،

أو أنني وصلت فيه للكلمة الأخيرة، ولكن هي محاولة جادة، إن أصابها التوفيق فبفضل من الله وحده، وإن كانت الأخرى فمن قصوري لا تقصيري، ومن عجزني لا تفريطي .

وفي الختام : أحمد الله تعالى الذي هيا لي فرصة البحث، وأعانني على إتمامه على هذا النحو .

وأتوجه بخالص شكري إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ممثلة في عميدها الأستاذ الدكتور حسن باجودة، وإلى رئيس قسم الدراسات العليا فيها سعادة الأستاذ الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد، الذي لم يضمن علي بنصائحه، ولم يحرمني من حثه وتشجيعه .

ولا أظنني قادراً - في النهاية - أن أوفي أستاذي الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد الحارذلو حقه، عن كل ما قدمه للبحث وصاحبه من علم واع، وأستاذية كريمة حقة، وإنسانية فياضة، وصدر رحب، فقد كان وراء عملي حين يخور العزم، وأمامه حين تتقطع الأسباب، ولست أملك إزاء ذلك إلا الدعاء الصادق له، بأن يجزيه الله عني وعن طلبته خير الجزاء، وأن يوفيه حقه علماً وحكمة، وصحة وعافية وتوفيقاً ونوراً، إنه سميع مجيب الدعاء .

التمهيد

أ - مفهوم الشعر الإسلامي: (١)

ماذا نقصد بالشعر الإسلامي في دراستنا هذه؟

هل نقصد به ذلك الشعر الذي يتردد فيه ذكر الله - سبحانه

وتعالى - ، وتمجيد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ؟

(١) هناك تعريف للفن الإسلامي بصورة عامة تبنته رابطة الأدب الإسلامي، ودعت إلى تمثله، ودراسة الأدب من خلاله، وهذا التعريف هو: «التعبير الجميل عن حقائق الوجود، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود».

انظر: منهج الفن الإسلامي، محمد قطب - ط(٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص: ١١٩.

ولم يخرج الباحثون والدارسون الذين خاضوا في هذا الموضوع للوصول إلى تعريف موحد للأدب الإسلامي عن ذلك المفهوم إلا في ألفاظ وعبارات.

انظر: الدكتور نجيب الكيلاني في كتابه: «الإسلامية والمذاهب الأدبية» - ط - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة ص: ٩، و «مدخل إلى الأدب الإسلامي» - ط(١)، الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٧هـ، ص: ٣٦.

وانظر: الدكتور عماد الدين خليل في كتابه: «في النقد الإسلامي المعاصر» - ط(٣) - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة ص: ٤٣ =

وانظر الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا في بحثه: «نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد» مجلة كلية اللغة العربية، العدد (١١) عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص: ٣٣٧.

أم نقصد به ذلك الشعر الوعظي الذي يهتم فيه منشئه بإسداء النصائح والتوجيهات، والترغيب في الجنة، والتحذير من النار؟
أم نقصد به ذلك الشعر الذي يهتم بمعالجة قضايا المسلمين في كل مكان؟

أم أننا نقصد به شيئاً أعم من ذلك وأشمل؟
والحقيقة التي يجب أن نعيها جميعاً أن مجالات الشعر الإسلامي التي يدور في فلكها، وينابيعه الثرة التي يمتح منها أوسع من ذلك بكثير، فهي ليست محدودة بحد، ولا محصية بعد.

ونحن في دراستنا نقصد بالشعر الإسلامي : ذلك الشعر الذي يتصل بالإسلام اتصال الفرع بالأصل، والجدول بالينبوع، الشعر الذي يحمل فكرة إسلامية نيرة، أو عاطفة دينية سامية .

وبهذا المفهوم للشعر الإسلامي يتضح لنا أن الشعر الإسلامي لا ينحصر في إطار الشعر الخلقى، ولا في إطار الحكم والنصائح التي يمكن أن

وانظر الحوار الذي أجراه الأستاذ محمد العوين في مجلة اليمامة مع عدد من رواد الأدب الإسلامي، مبدعين ونقاد، حول إشكالية مفهوم «الأدب الإسلامي» العدد (١١٤٨) والعدد (١١٤٩) في شهر رمضان عام ١٤١١هـ.

وأنا لا أرفض هذا المفهوم للفن الإسلامي، لكنني لا آخذ به في دراستي للاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي؛ وذلك لعدم تحققه بهذا المفهوم في نتاج شاعرنا.

تقال في أي عصر من العصور .

ولسنا نقصد بالإسلامية فيه أن يكون دينياً يعنى بالتسبيح والتحميد ، والدعاء والاستغفار ، ونحوهما من ابتهال للمولى سبحانه ، وتعظيم له ، وحديث عن عجائب مخلوقاته ، فذلك شعر إسلامي ، ولكنه ليس كل الشعر الإسلامي ، بل بعض من كل ، وجزء من جسم ، فالشعر الإسلامي أوسع من ذلك بكثير ، فهو يتناول كل قضايا الكون والحياة والإنسان حين تمزج بالعاطفة الإسلامية ، أو تتشع بوشاح الفكر الإسلامي (١)

ب - نبذة مختصرة عن الشاعر

هو محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف بن محمد السنوسي (٢) .

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام د. عبدالله الحامد - ط (١) ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص: ١٤-١٥ «بتصرف» .

(٢) مجلة المنهل ، المجلد (٣٨) ج ١ ، ٢ ، محرم ، وصفر ١٣٩٦هـ .

ينحدر أصله من الأسرة السنوسية المعروفة ببلاد المغرب

العربي (١).

(١) أشار إلى ذلك الدكتور عبدالله أبو داهش في كتابه «المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي» ص: ١١، بقوله: «يعود نسبه في الأسرة السنوسية المعروفة ببلاد المغرب العربي» وقد أخذ هذا عن حديث للشاعر محمد بن علي السنوسي في مجلة المنهل (جمادى الآخرة ١٣٧٨ هـ).
كما أشار إلى ذلك الدكتور محمود شاكر سعيد في كتابه «محمد بن علي السنوسي شاعراً» ص(١)، عمان ١٤١٠ هـ، ص: ١١، حيث يقول: «وينحدر أصله من الأسرة السنوسية في ليبيا، ويتتمي إلى بلدة هناك تسمى العرش، هاجر جده إلى مصر ثم إلى مكة، وهناك ولد والد شاعرنا السيد علي السنوسي».

ويمكننا بعد عرضنا لهذين القولين الاطمئنان إلى ماأخذ به الدكتور عبدالله أبو داهش لسبيين:
أولهما: أن الأسرة السنوسية في ليبيا فرع ينحدر من محمد بن علي السنوسي (مؤسس الطريقة السنوسية) بينما شاعرنا - كما يظهر من نسبه - لا ينحدر من هذا الفرع.

انظر: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث د. شوقي الجمل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص(١) ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، ص: ١٥١.

ثانيهما: أنه ذكر أنه ينتمي إلى بلدة هناك تسمى العرش، ولم يظهر لي - فيما اطلعت عليه من المصادر - أن في ليبيا بلدة تسمى العرش.

انظر: محمد بن علي السنوسي حياته وشعره، محمد بن سليمان القسومي، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية في الرياض - العام الجامعي ١٤١٣ هـ - ١٤١٤ هـ، ص: ٦٠.

ولد في مدينة جازان في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ^(١)، وقد نشأ شاعرنا في بيت علم وأدب، وتقى وصلاح، فوالده يعد من أهل العلم والفضل، وأحد رجال القضاء في العهد الإدريسي والسعودي^(٢).

وهو إلى جانب ذلك شاعر مجيد، يأتي « في المقدمة من شعراء [بلادته في] النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري »^(٣).

تلقى شاعرنا تعليمه في كتاب للفقير محمد بن عبدالله الشماخي^(٤)، حيث درس القرآن والخط بطريقة الألواح مدة أربع أو خمس سنوات .

وكانت دراسته في هذه المدرسة على فترتين يومياً، فترة صباحية، وأخرى مسائية^(٥).

(١) ذكر ذلك الدكتور محمود شاكر سعيد في كتابه «محمد بن علي السنوسي شاعراً» وعلق عليه بالهامش قائلاً: هكذا ذكر لي الشاعر، وأنه وجد هذا بخط والده. ص: ١١.

(٢) مجلة المنهل، المجلد (٣٨) محرم، وصفر ١٣٩٦هـ، ربيع الأول ١٣٩٦هـ، والمفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ص: ١٢-١٣.

(٣) من شعراء الجنوب (علي بن محمد السنوسي) د. محمد بن سعد بن حسين، مجلة الحرس الوطني، ع(٥٠) ربيع الآخر ١٤٠٧هـ.

(٤) محمد بن عبدالله الشماخي: كان صاحب كتاب لتعليم الأطفال اليافين القراءة والكتابة على الطريقة القديمة، وقد توفاه الله في حوالي سنة ١٣٦٠هـ أو بعدها، انظر ذلك في (محمد بن علي السنوسي حياته وشعره) ص: ٢٩.

(٥) محمد بن علي السنوسي شاعراً ص: ١٢.

وبعد أن تعلم مبادئ القراءة والكتابة، تلقى تعليمه على يد والده، حيث درس النحو والصرف والفقه والتوحيد، وكان والده الوحيد في جازان الذي لا يلحن في كلامه، لا في جد ولا في هزل، كما ذكر شاعرنا (١)

ثم تلقى تعليمه في مدرسة أهلية أخرى هي مدرسة علي بن أحمد عيسى (٢) حيث تعلم الحساب والخط (٣).

وتتلمذ على يد الشيخ عقيل بن أحمد بن حنين (٤)، ثم انصرف بعد ذلك إلى القراءة الحرة حيث نهل من مكتبة أبيه في علوم التاريخ والأدب

(١) المرجع السابق ص: ١٢.

(٢) علي بن أحمد بن عيسى : درس على علماء الشناقطة، ثم على يد الشيخ عقيل بن أحمد، وبعدها افتتح كتاباً لتعليم الأطفال اليافين، وعندما أنشئت المدارس الحكومية عين مدرساً، ثم مديراً لمدرسة صبيبا، ثم تقاعد ولزم داره للتعليم والإفادة، إلى أن توفاه الله في حوالي سنة ١٣٩٥هـ.

انظر ذلك في : (محمد بن علي السنوسي حياته وشعره) ص: ١٢.

(٣) محمد بن علي السنوسي شاعراً ص: ١٢.

(٤) عقيل بن أحمد بن حنين : ولد في سنة ١٣٠١هـ، قرأ وهو في الثلاثين من عمره على الشناقطة الوافدين على الإمام الإدريسي وغيرهم، وكان ممن يقرأ صحيح البخاري في الحلقة التي يعقدها الإدريسي لدراسة الحديث، ثم تفرغ للتدريس في جازان في مسجد الحافقة، ومسجد المهدي، كما درس في عريش أقيم حول داره، وكان يدرس الفقه، والفرائض، والنحو، والبلاغة.

واللغة والشعر حتى ثقف نفسه ثقافة عالية ظهرت آثارها في شعره (١).

وقد أشار شاعرنا إلى ذلك بقوله: « وقد نشأت في جو علمي يزخر بالكتب، ووسط يشع بالمعرفة، فكان لهذا أثره العلمي والأدبي في نفسي، وفكري، وشعوري، فنشأت على ذلك، وتأثرت به .. » (٢).

وقد أشاد بسعة ثقافته عدد من الدارسين لشعره، ومنهم الأستاذ محمد بن سعيد العامودي حيث يقول: « ولعل من ميزات السنوسي - وهي ميزة أعتقد أن القليلين من شعرائنا يشاركونه فيها - إكثاره من القراءة والاطلاع، فالسنوسي مولع بأن يقرأ، وأن يقرأ، وأن يشارك في العديد من الفنون، والعديد من ألوان المعرفة، وإني لأغبط السنوسي حقاً أن أراه مولعاً - إلى حد النهم - بالقراءة والاطلاع...، وأعتقد أن لثقافة السنوسي المتعددة الجوانب أثرها في شعره بصورة عامة، إلى جانب موهبته الفنية المعطاء... » (٣).

= توفي سنة ١٣٨٢هـ، وقيل: في سنة ١٣٨٤هـ.

انظر: محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ص: ٣١، والحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، عبدالله محمد حسين أبوداهش، ص: ٥٤، ط (١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، منشورات دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام.

(١) محمد بن علي السنوسي شاعراً ص: ١٢.

(٢) والدي السيد علي السنوسي، مجلة المنهل، مجلد (٢٩) ج ١٢، ذو الحجة سنة ١٣٨٨هـ.

(٣) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، منشورات نادي جازان الأدبي، مطابع

الروضة، جدة، ط (١) ١٤٠٣هـ، ص: ٣٠٩ - ٣١٠.

التحق شاعرنا بعدد من الوظائف الحكومية ، ففي سنة ١٣٥٧هـ عمل في سلك الجمارك، وظل يتدرج في السلم الوظيفي حتى صار مديراً لجمارك جازان في سنة ١٣٧٠هـ.

وفي سنة ١٣٨٥هـ عين رئيساً لبلدية جازان، ثم اختير لإدارة شركة كهرباء جازان في سنة ١٣٨٩هـ، وظل بها حتى تفرغ لحياته الأدبية في سنة ١٣٩٣هـ، وكان أحد الأعضاء المؤسسين للنادي الأدبي في جازان، عمل مساعداً لرئيسه^(١) منذ إنشائه حتى سنة ١٤٠٠هـ، حيث تولى فيها رئاسة النادي، واستمر حتى وفاته.

وفي مساء يوم الأربعاء الموافق ٧/١٠/١٤٠٧هـ، وبعد رحلة مضية مع المرض وافاه الأجل في مدينة جازان « فخرج شيوخها وشبابها يودعون أحد أبنائها البررة، وجاء أصدقاؤه ومحبو أدبه من مختلف أنحاء المملكة، فشاركوا في تشييع جنازته»^(٢).

(١) هو محمد بن أحمد العقيلي، أول رئيس للنادي الأدبي بجازان.

(٢) محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ص: ٧٨.

الفصل الأول

النزعة الإسلامية

في الأغراض الشعرية

النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية (١)

١ - المدح

إن المدح من أبرز الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحديث، إن لم يكن أبرزها على الإطلاق والمتأمل في معاني هذا الغرض في رحلته الطويلة، يجدها قد طوعت للفترة التي قيلت فيها، وتمثلتها خير تمثيل، فهي في الجاهلية غيرها في الإسلام.

ففي الوقت الذي تكاد تنحصر فيه معاني هذا الغرض في المثل الخلقية «التي يعتد بها العربي منذ جاهليته، من مروءة، وسماحة، وحزم، وعفة، وعزة نفس، وإباء، وشجاعة، وكرم»^(٢) نجد الإسلام بتعاليمه ومثله يوسع دائرة هذا الغرض، ويمد الشعراء الإسلاميين بمعان جديدة، أملت طبيعته، فتمثلوها في نتاجهم الشعري.

ولو تتبعنا تلك المعاني الجديدة التي انداحت في قصائد مديح أولئك الشعراء لوجدناها تدور - في أغلبها - حول قيمة الرسالة، وصلتها بالله،

(١) نريد بالنزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية : صدور المعاني من المضمون الإسلامي وأخذ الدلالة منه .

(٢) التيار الإسلامي في العصر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت، ط (١) ١٤٠٢هـ -

١٩٨٢م، ص: ٢٢٩.

والإيمان بقيادة الرسول، والعدل في المسيرة، والالتزام بالحق، والمساواة بين الناس، والصدق في الدعوة، وتبليغ الرسالة، وتطبيق أحكام القرآن. (١).

بالإضافة إلى تلك المعاني التي دارت على ألسنة الشعراء في العصر الجاهلي - والتي كانت تمثل الشخصية المثالية في المجتمع العربي في ذلك العصر - بعد أن عمل الإسلام على تهذيبها والسمو بشأنها؛ حتى تتفق مع مقاصده ومثله العليا.

ولم يخل أي عصر من عصورنا الأدبية من تكرار لتلك المعاني؛ لأنها أصبحت بمثابة الصفات المثالية للحاكم والقائد المسلم في كل زمان ومكان.

وشاعرنا - كما تفصح أشعاره - يضمن قصائده المادحة لحكام بلاده من (آل سعود) تلك المعاني الإسلامية، وهذا التضمين لا يستغرب منه، خاصة ونحن نعلم أن قادة بلاده قد اتخذوا «الإسلام والشريعة الإسلامية بدستورها السماوي الخالد، وما تضمنه ذلك الدستور من قوانين وأنظمة منهجاً التزموا بتطبيقه في جميع مناحي الحياة» (٢).

(١) دراسات في الأدب الإسلامي، سامي مكّي العاني، مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٦٨م، ص: ٧٤.

(٢) حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، تأليف رابع لطفي جمعة، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص: ٨١.

ولم يكن طامعاً من ورائها في مال أو جاه ، وإنما كان صادقاً فيها ، غير متكلف أو مبالغ ، وهذا ما أكده معظم الدارسين لشعره ؛ فالدكتور كامل السوافيري يرى أن أهم سمة تميز شاعرنا عن غيره من الشعراء في قصيدة المدح « أنه لا يتكلف ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح مثلاً من لا يرى أنه أهل للمدح » (١) .

ويؤكد ذلك الأستاذ محمد سعيد العامودي بقوله : « لا يحاول أن يتكلف ، أو يظهر بغير حقيقته . . . ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح - مثلاً - من لا يرى أنه أهل لثناء أو مدح . . . وإنما هو في كل ما طالعه من شعره ، لا أراه إلا حريصاً كل الحرص على التزامه لهذه السمة ، سمة الصدق في التعبير » (٢) .

وقد وقفنا في رحلتنا مع شعره في هذا الغرض على جملة من المعاني الإسلامية ، التي دارت على ألسنة الشعراء في مدائحهم للخلفاء والأمراء والقادة الإسلاميين ، في مختلف عصورنا الأدبية .

وهذا التكرار من قبل شاعرنا لتلك المعاني لا يدفعنا إلى القول بعدم مصداقيته فيما يقول ، ولا إلى اتهامه بالتقليد لأولئك الشعراء في معانيهم ،

(١) الأعمال الكاملة ص : ٦٧٠ .

(٢) المصدر نفسه ص : ٣٠٩ .

وذلك لأن تلك المعاني - التي احتشدت بها قصائده المادحة - كان لها حضورها الفعلي فيهم، ولم تكن تجلب من قبله، حتى يتمثلها بمدوحه في حياتهم.

فالملك عبدالعزيز - كما هو عند شاعرنا - مصلح عظيم، عمل على لم الشمل بعد طول تفرق، ودأب على نشر الرسالة الإسلامية في بلاده بعد أن درست فيها، واستمد أحكامه من تعاليمها، محيياً بذلك سنة المصطفى - ﷺ - وهو بالإضافة إلى ذلك ملك مؤمن بالله، قوي الإرادة، شجاع، يعشق المعالي من الأمور.

نقف على هذه المعاني الجليلة السامية، والصفات الخلقية الرفيعة في

قوله:

ومشى المصلح العظيم أبو الفيد - صل يسعى في همة واهتمام
يجمع الشمل والقلوب ويبني - دولة النور بالهدى والحسام
بالهدى للهداة والسيف للإجم - رام من كل مجرم هدام
سنة المصطفى وهل يستقيم ال - أمر إلا بصدق الأحكام
ومضى الركب يحمل التبعة الكب - رى ويمشي إلى أمام الإمام (١)

(١) المصدر السابق ص : ٥٨٨ - ٥٨٩ .

وفي قوله (١):

ملك لم يطأ طئ الرأس إلا في ركوع لربه أو سجود
 همة تركب الصعاب ونفس تأخذ المجد من جباه الأسود
 أرغمت كل جاحد دأبه التضد ليل بغيا على احترام الحدود
 وقوله (٢):

شق جنح الليل عزمًا ومضى يركب الهول ويزجي ويقود
 يمتطي طرفًا وينضو صارمًا ماله في وثبة المجد حدود (٣)
 يقنص المجد ويصطاد العلا والظبا تلمع والموت رصيد
 العلا أبعد شيء يبتغي والردي أقرب مطلوب يريد
 وتكرر تلك المعاني في مدحه للملك سعود - رحمه الله - بعد أن
 سار على نهج أبيه، مستمداً منه حرصه على تطبيق الشريعة الإسلامية،
 والسير على نهج الرسول - ﷺ - وهديه، في قوله (٤):
 نصير الهدى والله جل جلاله نصير له من كل باغ وثمرود (٥)

(١) المصدر نفسه ص : ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص : ١٣٩-١٤٠ .

(٣) طرفاً : الطرف : الكريم العتيق من الخيل، وينضو : يستل .

(٤) مجلة المنهل ، المجلد (٢٣) ، شعبان ١٣٨٢ هـ، ص : ٤٨٦ .

(٥) باغ : البغي : الظلم والفساد، والمراد به هنا : الظالم الخارج عن طاعة الإمام العادل، وثمرود :

المراد به هنا : الرجل المتمرد .

يقيم على القرآن دستور حكمه ويقضي به في كل غيب ومشهود
ويبني على نهج الرسول وهديه دعائم ملك من يقين وتوحيد
ويعتز بالإسلام مهما تكاثرت عليه الأعادي دأب آبائه الصيد (١)

ومن المعاني الإسلامية التي امتدح بها الملك سعود : العفو عند المقدرة ،
والحلم ، ورعاية الأيتام والأرامل والطاعنين في السن ، والصدق في
التعامل ، والكرم ، والغيرة على الأعراض والحرمات ، نجد ذلك في
قوله (٢) :

وعفى العاهل العظيم وأضفى حلمه واسعاً وأرعى الستارا
وحمى الأنفس المباحة للسيب ف اقتداراً وعف عنها اقتدارا
ورعى أرملاً وضم يتيماً وأغاث اللهيف والمحنتارا
وقوله (٣) :

أضاءت به الدنيا ورفقت له المنى

وصحت به الرؤيا بوعد وموعود

ملاذ للهفان وأمن لخائف

ونصر لمظلوم وحصن لمطروود

(١) الصيد : الذين يرفعون رؤوسهم كبراً ، ولعله أراد بهم هنا : العظام .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٢١١ .

(٣) مجلة المنهل ، المجلد (٢٣) ، شعبان ١٣٨٢ هـ ، ص : ٤٨٦ .

وقوله (١):

ويستجيب لداعيها إذا صرخت
بالمال والآل والأنصار والحشم

ولا يرى حاجة إلا ومدلها
يدا تغار على الأعراض والحرم

ويؤكد السنوسي تلك المعاني والصفات التي اصطبغت بها شخصية الملك سعود الفذة، مشبها إياه بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في عبقريته ورشاده (٢):

راية لم تزل بكف المفدى أمل العرب في الخطوب الدجيه
إرث آبائه الكرام المغاوير — رحمة الحقائق السلفيه (٣)
ضاربا حولها نطاقا من الإس — لام حكما ومنهجا وقضيه
سار في ظلها الدعاء إلى الحق نقيا لما رأوها نقيه
إلى أن يقول (٤):

ملك في إهابه عمر الفاء روق رمز الرشاد والعبقرية

(١) الأعمال الكاملة ص: ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ص: ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٣) المغاوير: جمع مغوار، والمغوار: المقاتل الكثير الغارات على أعدائه .

(٤) الأعمال الكاملة ص: ٢٢٢ .

ويقف عند شخصية الملك فيصل - رحمه الله - ومواقفه الشجاعة وقفة تنم عن حب وإعجاب شديدين، برغم قلة قصائده التي أنشأها في مدحه، إلا أنه قد عني فيها بإبراز الجانب المهم في شخصية ذلك الملك العظيم، وهو اهتمامه - رحمه الله - بشئون الإسلام والمسلمين في كل بقاع العالم، وحرصه على وحدة المسلمين، مضحياً براحته في سبيل تحقيق تلك الغاية وذلك الحلم الجميل.

يقول شاعرنا مادحاً الملك فيصل، ومنوهاً باعتزازه بدينه الإسلامي وقيمه ومبادئه^(١) :

رائد الأمة التي شهد الله	به بخير لها على شهادته
قطب أقطاب عالم عربي	وزعيم الهداة من زعمائه
مذ تجلى ومذ تولى صحا الفك	ر وهب الشعور من إغفائه
شع في العالم الكبير ودوى	صوته عالياً على أرجائه
وسمافوق منبر عالمي	هز أركانه جهير ندائه
نحن شعب إسلامنا جل معنا	سلام الورى وحسن إخوانه
إنه الفطرة التي فطر الله	ه عليها الحياة في أحبائه
وهو دين السلام والمثل العلى	يا وسر الوجود في أضوائه

(١) مجلة المنهل، المجلد (٢٩)، ج(١١)، ذو القعدة ١٣٨٨هـ، ص: ١٤٧١-١٤٧٢.

وحقوق الإنسان يكفلها الإسلام في ظل عدله وقضائه
والضعيف المحق فينا قوي رغم أنف القوي من أعدائه
ويشيد بالملك فيصل ودعوته إلى تضامن المسلمين، وسعيه الدؤوب إلى
تحقيق تلك الدعوة عملياً، دون التفات إلى تخرصات المتقولين، والحناقين
على الإسلام والأمة الإسلامية؛ إيماناً منه بضرورة التفاف المسلمين
ووحدتهم، ومن ثم وقوفهم كالبنيان المرصوص في وجوه أعدائهم المتربصين
بهم ذات اليمين وذات الشمال^(١):

مبدأ واضح دعوت إليه في وضوح وقوة وإرادته
لم تحد عنه شعرة والمضلو ن كثير يروجون فساده
سرته مؤمنا بربك لا تر جو سواه ولا تخاف عباده
وطريق المجاهدين أولي العز م طويل والصبر يطوي بعاده
فبلغت المدى نجاحاً أكيدا والنجاح الأكيد للحق عاده
ونختم رحلتنا في شعر المدح عند السنوسي بقوله عن حكام بلاده من
(آل سعود) منوهاً بدفاعهم عن الإسلام، ووقوفهم إلى جانب إخوانهم من
العرب والمسلمين^(٢):

(١) الأعمال الكاملة ص: ٥٧٥-٥٧٦.

(٢) المصدر السابق ص: ٧٨٢.

الحاملي عبء العروبة والهدى
والمسلمين بهمة وضمود
والذائدين بمآلهم وبآلهم
عن بيضة الإسلام كل حقود^(١)

٢ - الرؤاء :

يعد هذا الغرض من أبرز الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء منذ العصر الجاهلي وإلى عصرنا الحديث، وأصدقها وأعمقها تجربة على الإطلاق؛ وذلك لانبعائه من عاطفة مكلومة، فجعت بفقد قريب، أو صديق، أو ملك استطاع من خلال أعماله الجليلة أن ينفذ إلى أعماق رعيته، أو وطن تهاوى بعد أن كان شامخاً.

ولارتباط هذا الفن بحقيقة الموت التي لا يتقبلها الإنسان؛ لولعه بالحياة، وتشبثه بها إلى جانب من يحب ويهوى، ولأن الشعراء من أكثر الناس حساسية، فقد اختلفت مواقفهم من تلك الحقيقة الحتمية، وأفصححت عن ذلك تجاربهم الشعرية منذ القدم، فمظاهر السخط والتبرم تطل برأسها في كثير من تجارب الشعراء في رحلة هذا الغرض التي قطعها وصولاً إلينا.

(١) بيضة الإسلام : جماعتهم .

وتبقى تجربة الشاعر المسلم، عميق العقيدة، غنية بمواقف صاحبها تجاه هذه القضية الحتمية، سواء أكان الفقيه قريبا أم بعيداً، حيث تلمس فيها الطمأنينة، والتسليم بقضاء الله وقدره؛ لأنه يدرك أنها سنة من سنن الله في هذا الوجود، أكدها الله - سبحانه وتعالى - في مواطن كثيرة في كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾^(٢).

وبالإضافة إلى إيمانه العميق بحقيقة الموت، فقد آمن أيضا بأن هناك حياة أخرى يكتب له فيها الخلود الدائم في أحد الدارين: إما الجنة، وإما النار، وقد بين الله - سبحانه وتعالى - له الطريق المؤدي إلى كل دار منهما، فنتج عن ذلك الإحساس بالطمأنينة عند الإنسان المسلم إزاء هاتين الحقيقتين: حقيقة الموت، وحقيقة البعث.

ولو عدنا إلى تجارب شاعرنا التي تنضوي تحت هذا الإطار لوجدناه في كثير منها يتجاوز وصف آلامه وأحزانه - التي ولدها في عالمه فراق ذلك الشخص المرثي، والإشادة بأعماله ومناقبه وسجاياه - إلى تأكيد قضية الموت، والتسليم بقضاء الله وقدره، والدعوة إلى الأعمال الصالحة؛ استعداداً لحياة دائمة، يخلد فيها الإنسان في أحد الدارين، مؤكداً أن الحياة

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

مسافة سيقطعها الإنسان عاجلاً أو آجلاً.

وعسى أن أوفق في رحلتي مع بعض قصائد الرثاء عند شاعرنا في تجلية تلك الحقائق، سواء أكانت متعلقة بتأكيد تلك القضايا الإيمانية العميقة أم غيرها، كإبراز الأثر الإسلامي في قصيدة الرثاء عنده، من خلال ذكر المناقب، والأعمال، للأشخاص الذين رثاهم .

ولنبداً رحلتنا مع قصيدته في رثاء أبيه، فقد بدأها بتجليته لحقيقة الموت، في وقفات تأملية وجدانية، مستعيناً ببعض الظواهر الكونية في تأكيد تلك الحقيقة، حاثاً العقل على التدبر والتفكير العميق في مخلوقات الله . يقول السنوسي مؤكداً تلك الحقيقة، ومبيناً أنها سنة الله في خلقه، مبدياً رضاه التام بقضاء الله وقدره (١):

كلنا رائح على الموت غادي وعيون القضاء بالمرصاد (٢)
ومجاز هي الحياة فسيان مخب أو سائر في اتئاد (٣)
سائق الركب غير ناء عن الركب ولا حائد عن الركب حاد

(١) شعراء الجنوب، تأليف محمد بن علي السنوسي، محمد بن أحمد عيسى، مطبعة الكمال،

عدن، بدون تاريخ، ص ٩٦.

(٢) المرصاد: الطريق والمكان يرصد فيه العدو.

(٣) مخب: أي مسرع في سيره.

نحن والدهر والمقادير والأيام أنضياء حلبة وطراد^(١)
سنة لم تدع لقلب مريض شبها في حقيقة الميعاد
أيها المطلق النهى مستشفأ ما وراء الستور والأبـاد
قف على شاطئ الحياة وحاول خوض عمق المحيط والموج هاد
وتأمل مظاهر الشط وابعث قبسا من ذكائك الوقاد
وارسل الطرف رائدا يرجع الطر ف حسيراً ولن تـرى غير باد
قد لعمرى جمحت واسترسل الفك رضلا لا وعدت خابي الزناد^(٢)
كل ما في يديك جهل وما أزدد ت من الجهل غير طيش الضاد^(٣)
ثم فإن الصباح من ذلك الليـ سل رهين بهجعة من رقاد
واتخذ من تردد النفس الجا ري دليلا ومن سرى الروح هاد
أجمت هذه الحقيقة ألبا با وأعيت عقول قوم شداد

(١) أنضياء : الواحدة نضو، وهي : الدابة التي أهزلتها الأسفار، وحلبة : المكان الذي تجتمع فيه الخيل للسباق.

(٢) جمح : الجموح من الرجال : الذي يركب هواه، فلا يمكن رده . الزناد : جمع زند وهو العود التي تقدح به النار.

(٣) الضاد : الغاضب .

ثم يأخذ السنوسي في وصف وقع المصاب الجلل على نفسه، في لغة رقيقة، موحية بالحزن العميق الذي عانق عالمه الوجداني، مستعيناً بالطبيعة في رسم أبعاد ذلك المصاب، وتلك الفاجعة .

حيث يقول (١):

حاطني يا أبي بفقدك ليل أدني طوله وأعياسهاد (٢)
سلب النوم من جفوني وأورى بفؤادي جمر الغضا والقتاد (٣)
أبتي أين منك طرف بعثت النور منه في مهجتي وفؤادي ؟
صور تبعث الأسى وعهود أنا منها في حرقه واتقاد
رددت صوتي السماء ولم أسد مع جوابا فمن تراني أناد ؟
وملات الفضاء جهشة باك رجعتها الرياح في كل واد
رحمت مهجتي غلاظ الصخور الصم واستعطفت فؤاد الجماد
وسرى عاصف الرياح يبيث ال ليل شجوي وزفرتي ونهاد
وتدجي الدجى الكثيف بجلبا ب التيعاي وسابغات حداد

(١) شعراء الجنوب، ص ٩٦-٩٧

(٢) أدني : أثقلني وشق عليّ

(٣) الغضا : شجر عظيم حسن النار ، والقتاد : شجر له شوك مثل الإبر.

ويشرع في ذكر مناقب والده، والأعمال التي اضطلع بجملها فأداها على أكمل وجه، وأهمها اضطلاعه بأعباء القضاء بين الناس، والفصل بينهم في الخصومات بالحق، مهتدياً في أحكامه بما جاء في الكتاب والسنة النبوية الشريفة؛ ناشداً العدل في أحكامه.

أين يا مجلس القضاء فؤاد أرهقت متنه شئون العباد؟
قد خلا منك مجلس كان بالأمس من رفيع الذرى سميك العماد
وأجاب النداء من كان للحق لساناً مجلجلاً في البلاد
يقف الخصم والجلال عليه حارس من شراسة وعناد
في شعاع من الخنيفية الغراء والعدل والهدى والرشاد^(١)
ويختم مرثيته بالدعاء لأبيه بالرحمة والجنة^(٢):

يا أباي جاد قبرك الغيث وانهلتي على رمسك الحبيب الغوادي^(٣)
وأظلت ثراك أجنحة الرضوان خفاقة عليك نواد
وهفت حولك الصبا وسجى النور رورف الندى وغرد شاد^(٤)
وتتجلى النزعة الإسلامية في وصفه للحياة الدنيا، وبسط موقف

(١) شعراء الجنوب، ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٣) رمسك : قبرك .

(٤) سجى : سكن ودام .

الإنسان منها، ونظرته إليها في حالتها، ساخرًا من بعض الناس الذين يتهافتون على تفاهاتها، وينغمسون في طلب ملذاتها، ناسين أو متناسين أنهم راحلون عنها، حائثًا إياهم على الإقلاع عن ذلك التهافت، والإكثار من الأعمال الصالحة التي يستعدون بها للقاء خالقهم.

نقف على ذلك في رثائه لصديقه الأديب ضياء الدين رجب، حيث

يقول (١):

عجب هذي الدنيا عجب	يا ضياء الدين يا رجب
حين تأتينا سخائفها	يزدهينا البشر والطرب
وإذا جاءت حقائقها	يعترينا الحزن والوصب
مالنا لا نستعد لها	وهي حق مابه كذب
أبدًا نحياء على غرر	ونعيش العمر ننتهب
في سخيف من مفاتها	تغرق الأقلام والكتب
جل شأن الموت من بطل	يده الأبطال تنتخب

ثم يأخذ في ذكر المناقب والمحامد، والصفات النبيلة التي احتوتها

شخصية صديقه الراحل. يقول السنوسي ذاكرًا بعض تلك الصفات (٢):

(١) الأعمال الكاملة : ص ٧٤٣ - ٧٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤٤ - ٧٤٥.

مأعرفت البشر في رجل وجهه من بشره ذهب
كم حياه وقد لمعت فيه من إشراقه شهب
حين ألقاه في غمرني باللقاء العذب منه أب
ضاحك في وجهه ألق من صفاء النفس ينسكب^(١)
ثم يدعو لصديقه بالمغفرة والعفو^(٢) :

جاءك الرحمن مغفرة بالرضى والعفو تنسكب
ويعود السنوسي ليؤكد حقيقة الموت مرة أخرى في رثائه لصديقه
الأستاذ محمد سرور صبان ، قائلاً^(٣) :

أبا الحسن لا الحزن يجدي ولا الدمع

وإن كان في قلبي لو قد هما لذع^(٤)

تصاممت لما قيل مات محمد

سرور قلوب كم به جبر الصدع

فلما تبينت الحقيقة لم أجد

ملاذاً سوى ما سنه الله والشرع

(١) الألق : الضياء .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٤٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠٠ .

(٤) اللذع : حرقه كحرقه النار .

إلى الله إننا راجعون وكلنا
سيذهب لا فرد سيبقى ولا جمع
أبا حسن ما العمر إلا مسافة
من المهد حتى اللحد غايتها القطع
مشيت إليها في أناة وحكمة
بخطور صين لا غبار ولا نقع
وكنت المجلي سيرة وشمائلاً
يهيم بها الرائي ويعشقه السمع
ثم ينوه بخدمته للإسلام والمسلمين من خلال اضطلاعه بأعباء أمانة
رابطة العالم الإسلامي ، ويذكر بعض الصفات والمحامد التي احتوتها
شخصيته ، كإخلاصه للدين والهدى ، ودماثة أخلاقه ، وكرمه الفياض (١) :
عرفتك عرفان الأديب لفاضل
أديب تزين الفكر أخلاقه النصح
فأحللتني من صرح نبلك منزلاً
جذبت به ضبعي فحق لها الرفع (٢)
وأنت امرؤ تولي المكارم أهلها
سجية طبع ما لثابتة نزع

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

(٢) ضبعي : الضبع : العضد : وجذبت ضبعي : أي أنهضتني من عثرتي .

وعن إخلاصه لدينه ، وخدمته لأمتة الإسلامية يقول :

أبا حسن أخلصت للدين والهدى

جهوداً فما يثنيك ضر ولا نفع

فكنت الأمين المرتضى لرسالة

لك اختارها الفيصل البطل السبع

رأك لها أهلاً فولاك أمرها

وثوقاً من الداعي إليك بما يدعو

تحملتها في قوة وصلابة

ولم يثن من عبئها عودك النبع^(١)

فكنت لساناً عبقرياً للدعوة

هي الحصن للإسلام والسيف والدرع^(٢)

ويختم شاعرنا مرثيته تلك بالدعوة للفقيد قائلاً^(٣) :

أبا حسن روى ثراك وجاده

سحاب من الغفران صيبه شفع

ولا زال منها لأبذكراك عاطر

يفيض به النادي ويحتفل الجمع

(١) النبع : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٦٠٣ - ٦٠٤ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٦٠٤ .

وفي رثاء الشاعر لبعض حكام بلاده من (آل سعود) نجده يتجاوز وصف آلامه، وأحزانه، إلى وصف أحزان أبناء وطنه وأمتة الإسلامية، وذلك لمكانتهم العالية والعظيمة في نفوس أبناء وطنهم وأمتهم، والتي جاءت كثمرة طيبة لمواقفهم المشرفة-منذ اضطلاعهم بأعباء الحكم في بلادهم- مع إخوانهم المسلمين، وتحقيقهم لأبناء وطنهم الكثير من رغباتهم، وطموحاتهم، إضافة إلى حسن تعاملهم معهم.

ولتلك الأسباب نجد أن وفاة أحدهم يعد جرحاً دامياً لا لأبناء وطنهم فحسب، وإنما لأبناء الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها. وهذا الشعور والإحساس هو المهيمن على قصائد رثاء شاعرنا لهم. نلمس ذلك في رثائه للملك عبدالعزيز - رحمه الله - حيث يقول (١):

صقر الجزيرة عاهل الإسلام

من ذا يكافح عنهم ويحامي

ضجت شعوب الأرض لما قيل قد

أودى المناضل عن حماها الرامي

ريعت لمصر عك النفوس وزلزلت

قمم النهى وشوامخ الأحلام

(١) مجلة المنهل، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، ص ٢٠٨.

تقلب الأكباد منه على لظى
ألم كوخز ظبي ورشق سهام
يشتد لاعجها الوقيذ وتلتظي
شعلا تطاير في لهيب ضرام^(١)
ذابت حناياها وألهبها أسي
خطب أصم مسامع الأفهام
تأبى على حق القضاء وصدق
وتلوذ بالأحلام والأوهام
وتشيع عن وجه الحقيقة رهبة
وجوى تنظر من وراء لثام^(٢)

فالسنوسي في هذه الأبيات يصف وقع نبأ وفاة الملك عبدالعزيز على أبناء أمته الإسلامية، ويطلعنا على عمق حزنهم لرحيله المفاجئ عنهم، في وقت هم في أمس الحاجة إلى قائد إسلامي مثله، يعول عليه حين يحز بهم الضر، وتتغشاهم أعاصير المحن^(٣):

(١) لاعجها : ألها ، الوقيذ : المحزن .

(٢) جوى : الجوى : الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن .

(٣) مجلة المنهل ، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، ص ٢٠٩ .

فقدتك في حلك الخطوب وقد دحت

طخياء تعصف كاخضم الطامي^(١)

ذكرت مواقفك العظيمة كيف لا

والبدر يذكر عند كل ظلام^(٢)

وفي نهاية مرثيته يذكر بعض الخلال والصفات الحميدة التي توافرت في شخصه، وأهمها ذوده عن الدين، ونصرته له، والعمل بما جاء فيه، إضافة إلى التقى والصلاح:

ومضى نقي الذيل والأكمام	لبي نداء الحق موفور الهدى
نصر الإله مظفر الأعلام	وأجاب دعوة ربه من كان في
ويذود عن أحواضه ويحامي	يمضي على سنن الرشاد وهديه
صعب على العذال واللوام ^(٣)	لله غضبته وفيه رضاؤه

ويصله نبأ استشهاد الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - عن طريق المذيع، فيرثيه بقصيدة تعد من أقوى وأصدق القصائد التي رثي بها ذلك الملك العظيم؛ لتصويرها شدة مصابه، ومصاب الأمة الإسلامية في فقدانها

(١) الخضم: البحر لكثرة مائه وخيره. والطامي: العالي. دحت: بسطت، طخياء: الليلة الشديدة الظلمة واستعارها الشاعر هنا للنازلة والملمة.

(٢) هذا البيت تضمن لبيت أبي فراس الحمداني الآتي:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفترق البدر

ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، ص ٦٦.

(٣) مجلة المنهل، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، ص ٢٠٩.

لأحد أبنائها الأوفياء، في صور تنبض بالحزن، والأسى العميق الذي عانق
عالمه الوجداني .

يقول السنوسي وقد فوجئ بذلك الخبر الذي أراقه في سمعه المذيع
واصفاً ذلك الصوت (١) :

رن في سمعي فكذبت صداه نبأ روع قلبي وشجاه
ما لهذا الصوت كاب لونه قاتم النبرة مرعوب نداءه؟ (٢)
ماله ماذا عراه ما الذي هزه ماذا دهاه من نعاه؟

وتهدأ عاطفة الشاعر المتأججة عند إدراكه لصحة ذلك الخبر الذي حمله
المذيع، فيعزي نفسه ببقاء الملك فيصل حياً، وإن توارى جسده فأعماله
الجليلة التي نهض بها ستخلد ذكره مهما طال الزمن، فقد وعتها أفئدة أبناء
وطنه، وأبناء أمته العربية والإسلامية .
يقول السنوسي مؤكداً ذلك (٣) :

فيصل مات ولكن ذكره يغمر العالم والدينا شذاه
مات جسما وتوارى هيكله وهو حي في قلوب وشفاه

(١) الأعمال الكاملة : ص ٥٩٥ .

(٢) كاب : أي أسود .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٥٩٦ - ٥٩٧ .

روحه فينا وفي أرواحنا تهادى كالسنا منك ضحاه
ترك العرش ولكن لم يغب هو ما زال يرانا ونراه
في أياديه التي خلدها تغمر الشعب بفيض من نداء
ومساعيه التي قلدها أمة الإسلام في أقصى مداه
ومعانيه التي ردها لبني العرب جميعاً في حداه
ومباديه التي أعلنها عالي الصوت، فخافتها عداه

فالسنوسي في هذه الأبيات يشير إلى بعض مواقف وأعمال الملك فيصل -رحمه الله- التي ستخلد ذكره، وتكفل له البقاء في ضمائر الناس ووجداناتهم مهما طال بهم العمر، وقد تجاوزت تلك الأعمال والمواقف أبناء وطنه ومجتمعه، إلى أبناء أمته العربية والإسلامية، سواء من خلال وقوفه إلى جانبهم في محنهم ومآسيهم -كوقوفته إلى جانب إخوانه في فلسطين ومصر، وسائر الدول العربية والإسلامية المتضررة من ويلات المستعمر الغادر- أو في دعوته إلى تضامن المسلمين واتحادهم، وسعيه إلى تحقيق تلك الغاية، وذلك الهدف النبيل، الذي سيكفل لأمته في ظل العزة والمنعة التي افتقدتها بسبب تفرق أبنائها.

ثم يختم قصيدته تلك بالدعاء للملك الشهيد قائلاً^(١) :

(١) المصدر السابق : ص ٥٩٩ .

وسقى الرحمن قبراً طاهراً مرغت فيه أنوف وجباه
وتتكرر هذه المعاني الإسلامية في رثائه للملك خالد - رحمه الله - بعد
تأكيد حقيقته الموت وحتميته :

لم يمت خالد العلى والمآثر

فهو ملء النهى وملء البصائر

إنما قد أجاب والحق داع

فأجاب الدعاء شأن الأكابر^(١)

ثم يورد جملة من الصفات الحميدة التي كان يتمتع بها الفقيه، ويصف
عمق حب أبناء وطنه له الذي جاء نتيجة لحسن رعايته لهم ورقة تعامله
معهم:

ملك يأسر القلوب بتقوا ه وسيماه لا بزهو المظاهر

حمل الشعب قبل أن يحمل التا ج بقلب كركة الزهر طاهر

ورعاه رعاية الأب يرعى ابنه الفرد وهو مازال قاصر

وحماه من الأسى والمآسى ووقاه من اللظى والهواجر

وينى حكمه على الحب والإيد مان بالله في خفي وظاهر

وأحاط الحمى بقلب كبير بعطاء من المحبة غامر^(٢)

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧٠٧١) في ٢٨/٨/١٤٠٢هـ.

(٢) المصدر السابق في ٢٨/٨/١٤٠٢هـ.

ويصف حال أبناء وطنه وأمه عند سماعهم لنبا وفاته، معللاً ذلك

باهتمامه - رحمه الله - بشئونهم

يا (أبا بندر) عليك سلام الـ

تتهادى به المحارب والسا

وتناجيك بالدعاء لـ

فلقد كنت للعروبة والإسـ

تلتقي في حماك إن حزب الأمـ

فتلاقيك حاضراً مستعداً

وترى فيك إن رأيتك شقيقاً

خلق المسلم الغيور على الإسـ

ثم يدعو له بالرحمة والمغفرة ولمن جاء بعده بالحفظ والرعاية :

رحم الله (خالداً) ورعى (فهداً) وأبقاه للمسيرة سائر (٢)

(١) حزبهام الأمر : أي نابهم واشتد عليهم .

(٢) جريدة البلاد ، العدد (٧٠٧١) في ٢٨ / ٨ / ١٤٠٢ هـ .

٣ - الغزل

الغزل « من أقدم الأغراض الشعرية وأبرزها ؛ يقوم على عاطفة الحب الفطرية بين الرجل والمرأة ، عرف واشتهر في الشعر الجاهلي ، لكنه نما وتغيرت بعض جوانبه في الإسلام »^(١) فقد سما الإسلام بهذه العاطفة ، وطمأن من كبرياتها وإسرافها في الجاهلية . . . واشترط بعد ذلك أن تظل هذه العاطفة في نطاقها الفردي ، وأن يظل شرها أو خيرها ، انفعالها أو هدوؤها ، ثورتها أو حركتها ، في نطاق هذه الحياة الفردية ، فلا تتجاوز ذلك إلى المساس بحياة الآخرين من مثل حياة الأسرة وحياة المجتمع^(٢) .

« وعلى هذا النحو الاجتماعي ربط الإسلام بين الحب والعفة ، وجعل من هذين المفهومين مفهوماً واحداً فكل خفقة من خفقات هذا الحب يتحقق لها سموها في إطار هذه العفة الزاهي »^(٣) .

(١) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د. مجاهد مصطفى بهجت ، ص ٢٩٤ .

(٢) تطور الغزل في الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، د. شكري فيصل ،

ط (٦) ١٩٨٢ م ، ص ٢١٢-٢١٤ «بتصرف» .

(٣) المرجع نفسه ص ٢١٤ .

ولأن المرأة - غالباً - هي الباعث لقصيدة الغزل ، فقد اختلف الشعراء - منذ القدم - في نظرتهم إليها ، تفصح عن ذلك تجاربهم الشعرية فيه .

والتأمل في ثروتنا العظيمة من شعر الغزل - على امتداد عصورنا الأدبية - يجد عدداً كبيراً من التجارب ركزت على جمال المرأة الجسدي ، حيث أغرق أصحابها في وصف ذلك الجمال ووصفاً فاضحاً يدعو إلى التقزز والاشمئزاز ، متجاوزين - في أغلبها - ذلك الجمال إلى تصوير العلاقة التي تربطهم بفتياتهم^(١) .

وهناك تجارب أخرى جمع فيها شعراؤها بين جمال المرأة الجسدي ، وجمالها المعنوي ، وأهم ما يميز تجارب هؤلاء الشعراء : نزوعهم فيها إلى العفة ، ومجانبة الفحش في تصوير علاقاتهم بمن أحبوا من النساء . والذي يؤخذ على بعض أصحاب هذه التجارب أنهم لم يستطيعوا ضبط عواطفهم ؛ فوقعوا في خطر عظيم ، وهو : «(الفناء) أي فناء العاشق في سبيل المعشوق ، وفناء المعشوق في سبيل العاشق ، فيذهبان معاً ضحية للحب العذري . . .»^(٢) وقد عرف بهذا الاتجاه في الغزل عدد

(١) يمثل هذا الاتجاه امرؤ القيس وعمر بن أبي ربيعة ، وغيرهم في شعرنا العربي القديم ، ونزار قباني ، ومن اقتفى أثره في شعرنا العربي المعاصر .

(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، د. علي علي مصطفى صبح ، ط (١) سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ص ٩٣ .

من الشعراء، منهم: قيس بن ذريح، وعروة بن حزام، وجميل بن معمر، وغيرهم^(١).

والغزل الموجه إلى جمال المرأة الجسدي والحسي وكذلك العذري «كلاهما مسرف في اتجاهه.

فالأول: مسرف في الجانب الحسي المرذول المبتذل.

والثاني: مسرف في الجانب المجرد الذي يؤدي إلى الفناء.

وكلاهما أيضاً بعيد كل البعد عن الاتزان الإسلامي في معالجة عاطفة الحب، وضبط شهوات النفس، لتنسجم مع الفطرة السليمة، في معالجة هذا البناء الاجتماعي عند الفرد»^(٢).

ولو عدنا إلى غزل شاعرنا لوجدناه لا ينتمي إلى أيٍّ منهما انتماءً كاملاً، وإنما هو مزيج من الروحانية والحسية، صادر عن «وجدان شاعر استغرق في تأملاته العاطفية، بلاهبوط ولا إسراف، بل في اتزان الشاعر المسلم، الذي يعبر عن وجدانه في صدق فني، وترفع عن الصغائر الحيوانية الصرفة وعن الإسراف البالغ»^(٣) تقربه من النفوس تلك العفة

(١) العصر الإسلامي د. شوقي ضيف، ط (٧)، دار المعارف بمصر، ص ٣٥٩-٣٦٩.

(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة، ص ٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٤.

الزاهية التي كانت سمة بارزة في كل تجاربه الشعرية في هذا الغرض .
ومن نماذج شعره الغزلي قوله في قصيدته (أخت القمر) (١) :

يا فتنة القلب ومهوى البصر	جاوزت مقياس جمال البشر
كأنما خبرت أن تخلقني	فاخترت أحلى وأرق الصور
سبحان من أبدع هذا الصبا	وجل من نسق هذا الحور
أسهب في شعرك حتى انتهى	إلى الرى مسترسلا وانحدر
ورق في خصرك حتى استوى	إيجازه في قلك للمختصر
والغيد النشوان في سالف	ريان يستهوى شفاه الزهر (٢)
والخفر النعسان في مقلنة	تكاد تستصبي فؤاد الحجر
حلوت حتى كدت أن ترشفي	رشفا وأن يحسو صباك النظر
ثم يصف أثر ذلك الجمال الأسر على نفسه (٣) :	

أطبقت جفني على نظرة	رفت على قلبي رفيف المطر
أحيت بأحشائي موات الهوى	وجددت ذكرى زمان غير
أيام أيامي كقطر الندى	صفوا وأحلامي كلحن الوتر

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٦٦-٤٦٧.

(٢) الغيد : النعومة ، والسالف : أعلى العنق.

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٤٦٧-٤٦٨.

فالسنوسي - في هذه الأبيات - جلى محاسن فتاة أحلامه ،
ولكن في إطار من الحشمة والعفة ، فأنت لانتكاد تقع فيها على معنى
فاحش ، أو صورة فاضحة بذئثة ، ولم يدفعه ذلك الجمال إلى سلوك أو
عمل يتنافى مع مبادئ وقيم العقيدة التي يعتنقها ، بل دفعه إلى تذكر
مانحها إياه ، فشرع يلهج بتسيحه قائلاً :

سبحان من أبدع هذا الصبا وجل من نسق هذا الحور^(١)
ويصبح ذلك الحب الذي يكنه السنوسي لفتاته بعد توالي السنين
مجرد ذكرى جميلة ، تثيرها لحظات الخلوة والانفراد بالنفس^(٢) :

في لحظة من لحظات الهوى	والنفس في فردوس أحلامها
تهتز أشجانا وتهفو جوى	على لياليها وأيامها
تلوذ الماضي بها وانزوى	في صور الذكرى و (أفلامها)
ماض برغمي قد مضى وانطوى	بلحن أيامي وأنغامها
لاح لعيني وفي ناظري	ظلال أيام براها الضنى
وفي سماء الفكر من خاطري	أضواء حب قرمزي السن ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧-٤٩ .

(٣) قرمزي : القرمز : صبغ أرمني أحمر يقال إنه من عصارة دود يكون في آجامهم .

أحيابه في عالم ساحر وردية أحلامه والمنى
صباية من حلم عابـر رنا كلمح البرق ثم انثنى (١)
ويصف أثر تلك العودة لماضيه الجميل في صورة الذكرى، مؤكداً
عفته في هواه ذاك (٢) :

هيجت قلبا لـج في كـبـره جفا الهوى والنفس تشتاقه
صد وملء الكف من بـدره ما يستثير القلب إشراقه
مال وقد مالت على صدره أغصانه خضراً وأوراقه
إذا هفا يوماً إلى زهره أبت معانيه وأخلاقه

فالسنوسي في هذه الأبيات يتأمل « في أعماق نفسه عن وجدان
يلتهب في ذكريات الماضي، فيعيد صورها ويستعرض (أفلامها) على حد
تعبيره من غير ابتذال في وصف حسي للمحبوب ولا تفاني (٣) في سبيله
حتى التبتل والرغبة لا هذا ولا ذلك، وإنما هي هبوب عاصفة الذكريات
الماضية لتؤجج نار الوجدان بمقدار عبورها، ليعود كما كان، بل أكثر
ثباتاً واتزاناً، لأن قلبه الذي يضم وجدانه لـج في كبره، وعاف الهوى،

(١) صباية : بقية .

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٥٤ .

(٣) كذا، والصواب : تفان .

ومع غريزة الشوق في النفس كفطرة إنسانية، فالقلب والوجدان ثابت لا يذلل للحب والهوى، ولا تستثيره جمراته، لأن المعاني السامية والأخلاق الفاضلة هي التي تضبط الوجدان، وتسمو بالقلب والعاطفة في اتزان خلق المسلم كما ينبغي أن يكون» (١).

والسنوسي - كما تفصح تجاربه في هذا الغرض - شديد التعلق بمأضيه؛ ولهذا نراه عندما تسرف ذكرياته في غيابها، يحث نفسه على إثارتها واستعراضها، وفي ذلك يقول (٢):

أعيدي إلي سمعي حديث شبابي

وردي إلي قلبي لذيد رغابي

وطوفي بإحساسي على نبع صبوة

وفردوس حب كالحضم عباي (٣)

هوى أخضر الآمال ريان بالمني

رقيق الحواشي من جوى وعتاب

(١) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة، ص ٩٥.

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٧٠٠.

(٣) عباي: العباب كثرة الماء، وقيل العباب: الموج.

تدفق في نفسي ورفعت زهوره

وفاح شذاه في دمي وإهابي^(١)

فالأبيات التي أمامنا تحمل روح الشاعر المتألمة على ماضٍ عذب
الرؤى، فر من بين يديها، وفي ذات الوقت تطلعننا على حنين الشاعر
لذلك الماضي، بأماله الخضر، وما يدور فيه من عتاب رقيق بين المحبين.
وينقلنا السنوسي إلى زمن ذلك الحب، فيقول^(٢):

نعمت به عهد الصبا والصبارؤى

كـرنة أوتار وعزف رباب

مضى والصدى باق تلوح طيوفه

كلمع المعاني في سطور كتاب

ويتوق إلى ذلك الحب - الذي حفل به الماضي - بما فيه من رقة
الأشواق وعذوبة الأحلام، ومرارة السهد، وعذاب الانتظار^(٣):

أعيدي فديتك النفس ذكرى صباية

وأحلام وجد كالرحيق عذاب^(٤)

(١) إهابي : الإهاب : الجلد.

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٧٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٠١-٧٠٢.

(٤) صباية : الصباية : رقة الشوق وحرارته.

وقولي فإن النفس عطشى إلي فم
يحدثني عن سحرها وعذابي
عن السهد في ليلي عن النار في دمي
عن البدر يحصي جيئتي وذهابي
عن الوعد لم يصدق عن السعد لم يرق
عن الكأس لم تطفح بغير سراب^(١)

وهذا النص - كسابقه - رحلة عميقة في أجواء الماضي بأحلامه
وأمانيه وآلامه، ابتعد فيه الشاعر عن الفحش في المعاني، كما أنك لا
تلمس فيه «وصفاً حسيّاً، ولا تطلع على أوصاف جسدية، فالشاعر عف
اللسان، طاهر القلب»^(٢).

وفي قصيدته (شد الحزام) تتأكد لنا عفته في حبه، وحرصه على
عدم إباحة حرمان الآخرين، حيث يقول متغزلاً في مضيقة الطائرة^(٣) :
رسمت على الشفتين بسمة جذابة كشعاع نجمه
ورنت رنو الظبي أبـ صر في يد القناص سهمه

(١) تطفح : أي تمتلئ وتفيض .

(٢) شعر الغزل في المملكة العربية السعودية، علي المصري، ط (١) عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م،
ص ١١٦ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٦٤٤ .

ل لحاظها والحسن زحمه	تتزاخم الألفاظ حو
ة وما الحمام يهز جسمه	ومشت فما مشي القطا
ري لفتنة وترق خدمه	تنداح أعطافا وتغ
خم نبيرة وأرق نغمه	وتكلمت فسمعت أر
ت لسانها كعصير كرمه	تساقط الألفاظ تح
وأقول : لست أجيد حزمه	شد الحزام تقولها
ك تشده وتفرض ختمه	أنا خصم كل يد سوا
ح خصائلا كالليل ظلمه	مدت أناملها تزي
ق جبينها نوراً ونسمه	فبدا ضياء الفجر فو
في حبه خلق وحشمه	قلبي يحب وإنما
ن ولا يبيع لهن حرمه	ويهمم بالغيد الحسا

فهذه الأبيات تحمل إعجاب الشاعر بجمال مضيئة الطائفة، فوصف ذلك الجمال وصفاً حسياً مبرزاً مفاتها، إلا أنه أفصح في نهايتها « عن مدى سيطرة النزعة الإسلامية عليه فهو يعترف بأنه يحب لكن طابع حبه الخلق والحشمة اللذان يمنعان من التبذل، وإنه يهمم بالغيد الحسان، ولكنه لا يجروء على حرمانهن، والابتعاد عن التبذل - في الحب - وعدم إباحة حرمان الآخرين، سمة من سمات الشاعر المسلم المدرك

لحقيقة إسلامه» (١).

٤ - الوصف :

يعد الوصف من الأغراض الشعرية التي حظيت باهتمام واضح من قبل السنوسي، فما يكاد يخلو ديوان من دواوينه من قصائد تتعلق بهذا الجانب.

وأقصد بشعر الوصف في دراستي ذلك الشعر الذي تناول فيه الشاعر الطبيعة بنوعيتها: الصامت (٢) منها والمتحرك (٣) :

«وجمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال التي تهش لها النفس، وتستجيب لها في فرحة وانطلاق» (٤) وقد «هام الإنسان بالطبيعة منذ أن

(١) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث قيمة في موازين النقد، محمد عبده الشيبلي،

الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٥٢-٥٣.

(٢) الطبيعة الصامتة تشمل: الأرض، والسماء، والشمس، والقمر، والكواكب، والجبال،

والوهاد، والسهول، والهضاب، والحدائق، والبحار، والأنهار، والرياح، والنسيم، والليل

والنهار، والصباح والمساء، والصيف والشتاء، والربيع والخريف... الخ.

(٣) الطبيعة المتحركة تشمل: كل المخلوقات الحية مثل: النبات، والحيوان، والطيور.

(٤) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ط (٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص ١٤٣.

فتح عينه على محاسنها، وتطلع بحب إلى جمال روضها ورونق سمانها. وقد وجد فيها الشاعر والكاتب، منذ القديم، مرتعاً لخياله، ومقياً لأفكاره، تشبه باهتزاز أزهارها وانسياب جداولها، وتلاؤ طلها، وهدوء ظلها، فيعود بالكلم الخالد واللوحة الناطقة»^(١).

والشعراء في إحساسهم بالطبيعة وتأثرهم بها مختلفون، «فمنهم من يقف عند حد المرثيات، أو السمعيات، ينقل إليك ما في الطبيعة ملوناً تلويحاً خفيفاً بشعوره، ومنهم من يشخصها ويخلع الحياة عليها، وينفذ ببصيرته الملهمة إلى سرها المغلق، ويهيم في أودية الخيال يغترف من ينابيعها، ويقتطف من أزهارها، وتنعكس نفسه على ما وصل إليه، وتشع بإشعاعات مختلفة فإذا الذي يلهج به لسانه أجمل من الطبيعة، وأوفى مقصداً؛ لأنه فسرهما، وشرح آياتها ومعجزاتها، ونقله إليك صورة خلاصة تزيده بهاء ورواء»^(٢).

والشاعر المسلم حين يعرض للطبيعة في شعره يتخطى الوصف المجرد، متيحاً لنفسه التأمل في صنع الله، الذي أتقن كل شيء... ينظر

(١) الطبيعة في الشعر الأندلسي، د. جودة الركابي، ط (٢)، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص ٩.

(٢) وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي، للسباعي بيومي وآخرين، نقلاً عن «حسن كامل

الصيرفي وتيارات التجديد في شعره» د. محمد سعد فشان، ط (١) ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م،

إليها وفي ذهنه معلومة سابقة بأن مامن شيء في الحياة والكون إلا يسبح بحمد الله ، وإن لم نفقه من ذلك شيئاً ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ (١) فهو الذي صب الماء ، وشق الأرض ، ومدّها ، وبارك فيها وجعلها فجاجاً وسبلاً ، وجعل الشمس ضياءً ، والقمر نوراً ، وأخرج من البحر لحماً طرياً ، وحلية ، وأمسك الطير أن تقع على الأرض ، وأنشأ السحاب الثقال ، وأشع البرق ، والرعد ، خوفاً وطمعاً . كل هذه الأشياء يستحضرها الشاعر المسلم وهو يناجي الطبيعة (٢) « ناظراً إليها في صلاتها المختلفة : صلتها بفاطرها وبارئها ، وفي صلتها بالكون ومفرداته من حولها ، وفي صلتها ببعضها ببعض ، وصلتها بيني الإنسان » (٣) .

وشاعرنا واحد من أولئك الشعراء الذين احتفوا بالطبيعة ، ورأوا فيها أدلة عميقة ، تشهد بوحدانية خالقها ، وبديع صنعه .

والتأمل في مجموعته الشعرية يجد عدداً من القصائد البديعة في وصف الطبيعة ، أظهر فيها الشاعر ولعه بمشاهدتها ، فأخذ يجلي محاسنها ، ويستلهم مفاتنها ، ثم يصورها في لوحات شعرية أنيقة ، بعد أن

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤ .

(٢) مجلة الفيصل ، العدد (١٠٩) مقالة للدكتور حسن بن فهد الهويمل ، عن «الحس الإسلامي في

شعر الطبيعة السعودي» ، ص ٤٨ «بتصرف» .

(٣) من قضايا الأدب الإسلامي ، د . صالح آدم بيلو ، ط (١) ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٦٠ .

أطلق لحواسه العنان لتحلق في تلك الآفاق الرحبة، وتتأمل فيما أبدع الله، ثم يسلط شاعريته؛ لتجمع تلك الرؤى، وتصفها بأجمل الأوصاف (١).

ومن قصائده التي بدا فيها تعلقه بجمال الطبيعة قصيدة (جبل فيفاء) فقد أبدع شاعرنا في وصفه لذلك الجبل، وأجاد في رسم مظاهر الجمال التي يحتويها.

يقول السنوسي واصفاً شموخ ذلك الجبل، وتباهيه بما ألبسه الله من حلال جمالية تسلب اللب، وتستحوذ على المشاعر والأحاسيس (٢):

متحرف من أشعة وظلال	في إطار من نضرة واخضلال
سابع في الفضاء يغمره النور	ربقيض من السنن والجلال
يتحدى النرى ويخترق السح	ب ويزهو في عزة واختيال
صنعة المبدع المصور جل الـ	له ربي رب العلا والكمال
جبل تعشق النجوم مجاليد	ه وتصبو إلى ذراه العوالي
يزحم النيرات منكبـه الضخـم	م ويحتك بالسها والهلال (٣)

(١) من أعلام الشعر السعودي، د. بدوي طبانة، ط (١) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٣٤٩ «بتصرف».

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٣٤٠-٣٤١.

(٣) السها : كويكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى .

مشرب إلى السماء برأس صلف في شموخه متعال^(١)
أخضر السفح أزهر السطح مصقو ل الحواشي زاهي الربى والتلال
ثم ينتقل إلى وصف المناظر الطبيعية الخلابة التي تزين سفحه ، وتتهادى

في جنباته وبين شعابه ، فيقول^(٢) :

يا لتلك الذرى الموشاة بالزه ر نضيرا وبالثمار حوال ا
أولتلك الربى يرف شذاها بعبير الصبا ونفح الشمال ا
ولذاك السحاب والماء يجري من خلال الصخور جري الصلال^(٣) ا
والوجوه الصباح والمقل النشوى بسكر الصبا وسحر الدلال^(٤) ا
والرياض المنسقات صفوفا في علال كأنهن لآل^(٥)
ويصف أثر تلك المناظر الجميلة على نفسيته^(٦) :

حيث عاشت أرواحنا وأمانبنا حياة موصولة بالمعالي
ونعمنا ولا نزال بدنيا من فتون وعالم من جمال
وسكبنا على الوجود غناء صافي النبع كوثري الزلال

(١) مشرب : رافع رأسه ، صلف : الصلف : هو الغلو في الظرف والزيادة على المقدار مع تكبر .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٢-٣٤٣ .

(٣) الصلال : الحيات .

(٤) الصباح : أي الوجوه الجميلة .

(٥) علال : المراد بها هنا الحجاب الذي يظهر فوق الماء من وقع المطر .

(٦) الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٢ .

ولا يفوت السنوسي أن يصف الصعوبات التي تقف حائلاً بين الإنسان ورغبته في التمتع بمشاهد ذلك الجبل الخلابه عن قرب، وإصراره على قهر الصعوبات التي تزدهم بها الطريق إليه ، يعينه في مغامرته تلك ولعه بالسمو الذي يوحى به ذلك الجبل الأشم (١):

دون إدراكها شعاف وصخر خطر المرتقى بعيد المنال (٢)
 شاقني ذلك السمو ولي قلـ لب ولوع بكل سام وعال
 كلف بالسمو أنى تجلـى شامخا في الجبال أو في الرجال (٣)
 فتصعدته ويمت وجهي شطره في تقدم ونضال
 وركبت الصعاب وانتصر الشو ق بقلبي على الونى والكلال (٤)
 ذاك دأبي ودأب قومي مدى ر صراع الردى وقهر المحال
 والسنوسي - في وقفته أمام جبل فيفاء بطبيعته الخلابه - لم ينس من وراء ذلك الجمال الأخاذ بمشاهده الكثيرة، فجميعها تشهد بوحدانية الله واتفقانه لصنعه (٥):

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ .

(٢) شعاف : شعف كل شيء أعلاه ، وشعفة الجبل رأسه .

(٣) كلف : محب .

(٤) الونى : الضعف والفتور والكلال والإعياء .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٠ .

صنعة المبدع المصور جل الـ له ربي رب العلا والكمال
ويقف السنوسي في قصيدة أخرى أمام (فيفاء) منبهاً بما حباها الله
من جمال أخاذ، يدخل البهجة إلى النفس .

فهي معرض للجمال الحسي والمعنوي المتمثل في : جبلها المتعالي ،
ورباها السندسية ، وسمائها التي لا تبرحها الغيوم ، وسحبها السخية ،
وطيبة أهلها ، وصفاء نفوسهم .

يقول السنوسي واصفاً (فيفاء) ، ومجلياً مظاهر جمالها ، متخذاً
من ذلك الجمال دليلاً على حسن صنع الله (١) :

لست فيفـا أنت جنه	تلهم الشاعـر فنه (٢)
من روابي الخلد لـون	ومن الفردوس سـحنه (٣)
عالم يزهر بالبـشـ	رودنيا مطمئنه
ونفوس كالندى طهـ	رأوكالإشعاع فطنه
وسماء تتندى	مـزنة في إثر مـزنه
وغيوم تنثر اللؤلؤ	لؤصبـحـا ودجنه

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٨-٣٩٩ .

(٢) فيفا : الفيف والفيفاة : المفازة لآماء فيها ، والفيفااء : الصحراء الملساء .

(٣) سـحنه : لين البشرة والنعمة ، وقيل : الهيئة واللون والحال .

وعلو يلثم النجم — م له خـدا ووجنه (١)
عرضت فيه الليالي زهوها والبدر حسنه
أنت يا فيفاء هيفاء — لها سحر وفتنه
ثم يعلن عجزه عن الاحاطة بكل مظاهر الجمال التي تحتويها (فيفاء)
ويشيد بمن وهبها ذلك الجمال الأسر (٢):

إنه فوق يانبي — جل من أبدع فنه
كل شيء فيك حلو — أنت يا فيفاء جنه
وفي قصيدته (موكب السحاب) يتضح لنا مدى تفاعله مع جمال
الطبيعة، وقدرته العجيبة على التحليق في أجوائها، وتحسيسنا بذلك
الجمال المتضوع من كل مشهد من مشاهدها، حاثا إيانا على التأمل العميق
فيها، سعيا وراء الراحة التي تحسها النفس وهي تعب من ذلك الجمال
الأسر.

يقول السنوسي واصفاً ذلك السحاب الذي نشر رواقه على صفحة
الكون، وماتخلل ذلك المشهد من أصوات، وحركات، حيث صوت
الرعد، وزفيف الرياح، وإيماء النجوم، وابتسام البرق، حاملين البشارة
للأرض بهطول الغيث من السماء (٣):

(١) يلثم: يقبل.

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٤٠٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٦-١٢٧.

شاقه موكب السحاب وقد سا ر على الأفق ناشراً أعلامه
وزفيف الرياح يخترق الجـ و صفيراً والبرق يجلو حسامه (١)
وازدته الرعود تختلب النفـ س جلالاً وتطبيها فخامه (٢)
مشمخر الذرى رقيق الخواشيـ سابغ الذيل مسبلاً أكمامه (٣)
عيلم تسبح الكواكب فيه وتشق الدجى به عوامه (٤)
ويصف انهمار الغيث - الذي حمله ذلك السحاب - على
الأرض (٥):

ضربته الرياح فاستقبل الأرـ ض حثيثاً يبثها آلامه
ثائر والسكون يضيفي على الكوـ ن جلالاً والليل يرعى نيامه
جلل الأرض والسماء وأعيـ صائل الرعد أن يلك ركامه (٦)
ويجسد لنا فرحة المخلوقات، ومظاهر الجمال الذي حفل به أوسع
مسرح للطبيعة بنوعيتها قائلاً (٧):

(١) زفيف الرياح : شدة هبوب الرياح وسرعتها .

(٢) تطبيها : تسحرها .

(٣) مشمخر : مرتفع . سابغ : أي دان إلى الأرض وممتد .

(٤) عيلم : بحر .

(٥) الأعمال الكاملة، ص ١٢٧ .

(٦) صائل : صوت الرعد، ركامه : السحاب المتراكم بعضه فوق بعض .

(٧) الأعمال الكاملة، ص ١٢٩-١٣٠ .

دوحة عند جدول وغدير
ومروج تهدلت تملأ السوا
سوطعت في ظلالها لمع الشم
ومشت حولها المها تقطف الزه
وشدا في الفروع صادح أيك
ونضا الفجر فوقها ضوء الزا
وجلاها أزاهرا كالشفاه اللعس حارت على لماها ابتسامه (٣)

عند عشب وظبية وبشامه (١)
دي وتستوقف النسيم سلامه (٢)
س ورقت بها دموع الغمامه
ر وتحسو الندى وترعى الخزامه
جاويت لحنه الرقيق حمامه
هي وألقى على الرياض لثامه
عند عشب وظبية وبشامه (١)
دي وتستوقف النسيم سلامه (٢)
س ورقت بها دموع الغمامه
ر وتحسو الندى وترعى الخزامه
جاويت لحنه الرقيق حمامه
هي وألقى على الرياض لثامه
وجلاها أزاهرا كالشفاه اللعس حارت على لماها ابتسامه (٣)

في هذه الأبيات عرض مدهش ومثير لجمال الطبيعة بعد أن عائق
الغيث عطش الأرض، فربت وازينت، وأسفرت عن وجهها بعد طول
احتجاب، فإذا هي مصدر إلهام، ومبعث سعادة وراحة، وإحساس
بالحياة وجمالها.

وقد كان خيال الشاعر الخلاق وراء تلك اللوحة البديعة، التي حوت
كل تلك المشاهد في إطار واحد، يرفد كل مشهد فيها المشهد الآخر،
فجاءت لوحته الطبيعية تلك غنية بالحركة، مزدانة بالألوان والأصوات،

(١) بشامه : شجر طيب الرائحة والطعم يستاك به .

(٢) تهدلت : تدلت .

(٣) اللعس : اللعس : لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً .

ناقلة ذلك التواصل العجيب بين مخلوقات الله، والألفة والمحبة السائدة
بينها، فالمرج الخضض تهدلت على جنبات الوادي منتظرة مرور النسيم؛
لتحظى بسلامه، والحمامة بصوتها الرخيم تبادل صواح الأيك تحاياها،
وتباشير الفجر تزيح عن الرياض الجميلة لثامها، والمها تتهادى في مشيتها
تقطف الزهر تارة وتحسونداه، وأخرى تطبع قبلاتها على نبت الخزامى .
تلك اللوحة البديعة التي رسمها لنا خيال السنوسي، وألف بينها بعد
تنافر، من شأنها أن تذكي في النفس روح التطلع إلى بارئها وخالقها،
وتحملها على استشراق أفق ذلك الجمال الآسر، الذي يساعدها على
جلاء سأمها وأوصابها .

يقول السنوسي واصفا أثر تلك المناظر في نفسيته (١):

صور يرقص الخيال عليها وتطير المنى بها حوامه
ورؤى تستفز عاطفة القلب ب وتستهبط النهى إلهامه
نبهت خاطري الكئيب وأذكت في فؤادي غرامه وهيامه
وجلت ملء ناظري وقلبي بهجة تدفع الأسى والسأمه
ويتوقف الشاعر عند مشهد من مشاهد الطبيعة المتحركة في قصيدته
(الحن السجين) فيطلعنا على خبايا روح ذلك الطائر السجين، بعد تتبعه

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٣٠-١٣١ .

للفتاته الوجلة، وتطلعه المتوثب إلى العالم من حوله؛ ليصل في نهاية المطاف إلى رغبة ذلك الطائر في التحرر والانطلاق إلى عالم النور. وهذه الخطرات التي حملتها لنا تلك القصيدة خطرات شاعر مرهف الحس جياش العاطفة^(١)، يحنو على مخلوقات الله ويتعاطف معها. يقول السنوسي بعد أن أرقه تغريد ذلك الطائر في دجى الليل، فراعاه وأفزعه^(٢):

(غرد) غنى فأرقني والدجى يجلو سنا قمره
راعني ليلا وقد خفقت مهجتي عطفاً على سهره
يسكب الألمان صافية كصفاء المزن في قطره
ويدير الراح في نغم نغمات السحر في وتره
هز إحساسي على زجل طاب ليل الشعر في سمره
ثم يبدأ شاعرنا في تتبع ذلك الطائر، مهتما باستكناه لفتاته العجلة، وتطلعه الدائم إلى العالم من حوله، محاولاً - عن طريقها - النفاذ إلى وجدانه، والوصول لمعرفة غاياته التي يرنو إليها، وأمانيه التي يتشوق لتحقيقها^(٣):

(١) في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ج(١)، ط(٨)، دار الفكر، ص ٢٥٤-٢٥٥ «بتصرف».

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٩٥-٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧.

يا جناحاضمه قفص	ضممة المشتاق في حذره
بات نضوا تستطير به	شعل كالبرق في شرره
يتنزي في لظى شجن	مد طول الليل من قصره (١)
ذائب في قلبه ألم	شف عنه الذعر في بصره
حن للأيك الذي نبئت	عذبات الريش في وكره (٢)
رفرفت فيه قوادمه	وزقاللفجر في طوره (٣)
وهفا شوقا إلى نطف	في شعاف الصخر أو نقره (٤)
وانطلاق الروح في يفع	خضل يختال في حبره (٥)
واستباق للنمير جرى	في الهواء الطلق من بكره
يتغنى في جداوله	ويشيع الصفوف في كدره
لغة تشدو وأجنحة	كحفيف الروض أو هذره (٦)

(١) يتنزي : أي كثير الحركة ، فهو لا يستقر في مكان .

(٢) عذبات الريش : أطرافه .

(٣) قوادمه : القوادم : أربع ريشات في مقدم الجناح . وزقا : غرد . والطرر : الواحدة طره ، الناصية ، والمقدمة من كل شيء .

(٤) نقره : النقرة : الوهدة المستديرة من الأرض .

(٥) يفع : هو المكان المرتفع من الأرض ، خضل : النبات الناعم ، وكل شيء يترشش من نداءه فهو خضل ، حبره : الحبرة : ضرب من برود اليمن منمر ، والحبير من البرود : ما كان موشياً مخططاً .

(٦) حفيف الروض : صوته حين تحركه الرياح . وهذره : الهذر : الكلام الذي لا يعبا به .

ويهتدي الشاعر بعد رحلته مع ذلك الطائر إلى أن الجمال هو العامل المشترك بين ما يحدث الآن لهذا الطائر، وما حدث بالأمس البعيد لسيدنا يوسف - عليه السلام - حين قاده جماله إلى السجن .

ولم ينس الشاعر أن يربط - في نهاية قصيدته - ما حدث ليوسف - عليه السلام - ولذلك الطائر بالله - سبحانه وتعالى - فهو الذي قدر عليهما ما أصابهما، إذ هو وحده الذي بيده كل شيء . وفي ذلك يقول (١) :

يا سجيناً ما جنت يده	لا ولم يجرح شبا ظفـره (٢)
كان من حسن الغناء له	سبب للأسر عن زمـره
شرعة الدنيا وريتمـا	كان حسن الشيء من ضرره (٣)
يوسف كان الجمال له	محنة والطهر في أزره
وهي دنيا شأنها عجب	في سجايا المرء أو فطره
أنت لا تنفك من شـجن	وهو لا يسـلو هوى وطره
وكلا هذين في قفص	من قضاء الله أو قدره

بعد هذه الجولة في شعر السنوسي الذي خص به الطبيعة بنوعيتها، نستطيع أن نقول: إن للسنوسي قدرة بارعة على تأليف الصور التي تتتابع

(١) الأعمال الكاملة، ص ٩٧ .

(٢) شبا : شباة كل شيء : حدُّ طرفه ، وقيل حده .

(٣) شرعة : الشرعة ماسن الله من الدين وأمر به . ولعل المراد هنا : حكمتها .

في شعره حتى كأنها تفيض من نبع مستفيض ، ومن مورد لا ينضب ، بعد أن وعاما حسه ، ودبجها خياله الخصب ، لترى فيها الخيال الحركي ، الذي يخلع الحياة على الموات ، ويهب الحركة للجماذ . . . (١) تلمس ذلك في جبل (فيفاء) الذي استحال إلى إنسان يزاحم النيرات منكبه الضخم ، متعالياً على الناس من حوله في صلف وغرور ، وفي السحاب العاشق وقد تهاوى على معشوقته الأرض ، ليبثها أشواقه وآلامه ، وفي المروج الخضمر المتهدلة على جنبات الوادي منتظرة عبور النسيم ، لتحظى بسلامه . . .

كل تلك المشاهد التي استحضرها خيال الشاعر ، وبث فيها الحركة ، والحياة ، تشهد بوحداية الله ، واتقانه لصنعه ، سواء ألمح الشاعر إلى ذلك أو لم يلمح ، فقد تلقاها حسه ، وتفاعلت معها عواطفه ومشاعره ، وعبر عنها وهو يدرك أن من ورائها يد الله وقدرته ، وإن في كل جزئية من جزئياتها نوع حياة . وقد أبدى الشاعر تعاطفه مع بعض معالمها ، كما هو حاله مع ذلك الطائر الذي فقد حريته وظل يشتاق إليها ، أخذاً في اعتباره الآية الكريمة : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم ﴾ (٢) .

(١) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانه ، ص ٣٥٠ «بتصرف» .

(٢) سورة الأنعام : الآية : ٣٨ .

٥ - الشعر الاجتماعي

هو من الأغراض الشعرية المستحدثة في شعرنا العربي المعاصر، وإن كانت له إرهاصات في شعرنا العربي القديم، إلا أنها لم تستطع النهوض به حتى يكون غرضاً مستقلاً له كينونته الخاصة به، وذلك لأن مجتمعنا الإسلامي - قديماً - لم تكن له قضايا اجتماعية ظاهرة تقلق الشعراء كما هو الحال في عصرنا الحديث الذي ظهرت فيه العديد من المشكلات الاجتماعية .

ويكتسب هذا الغرض الشعري جدته من قضاياها التي يعالجها، فقضايا عصرنا الحديث التي نعيشها تختلف عن القضايا المعاشة في عصورنا السابقة، كما أن قضايا كل بيئة ومجتمع تختلف عن قضايا البيئات والمجتمعات الأخرى .

ومجتمعنا الإسلامي - من أقصاه إلى أقصاه - في أشد الحاجة إلى هذا اللون من الشعر، فقد غصّ بالمدينة الوافدة التي سلبت عقول الكثير من أبنائه، ونالت استحسانهم، فانجرفوا في متاهاتها، ساعين وراء بهرجها الزائف، متحللين من القيم والمبادئ التي أرسنها تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، غير آبهين بما قد يترتب على ذلك التحلل من نتائج وعواقب وخيمة، تتجاوز الفرد إلى المجتمع، والمجتمع إلى الأمة .

ومن هنا كانت مشاركة الشعراء في هذا المجال ضرورية، وذلك لأن «الإصلاح الاجتماعي مطلب إسلامي، وإسهام الشاعر في الإصلاح من خلال تصور إسلامي مقتضى لا محيد عنه، إذ لا بد من أن يقدم لأُمَّته ومجتمعه ما تتطلع إليه. وليس هناك أهم من تعقب الإثم والحمل على المفاسد والتواصي بالبر والعمل والدعوة إلى العطف والإحسان والمساواة، وتحمل عبء الدعوة إلى الطريق السوي، وتحذير الأمة من التقليد المشين» (١).

ولشاعرنا مشاركاته الشعرية في هذا المجال، وله وقفات مع كثير من الأدواء التي تفشت في مجتمعنا الإسلامي؛ نتيجة لضعف الوازع الديني، أو لتأثر أبنائه ببعض مظاهر المدنية الحديثة الوافدة إليه من دول الغرب. وله نصائحه وتوجيهاته التي تعدت المواطن إلى المسئول. تقوده رغبة جامحة في إيجاد مجتمع مثالي، يستمد مثاليته تلك من عقيدته الإسلامية بمثلها وقيمها ومبادئها. وهذا ما أكده بقوله (٢):

لنا مثل نسمو إليها وغاية

وسائلها دين وخلق وعرفان

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د. حسن بن فهد الهويمل، الرياض،

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢، ص ٣٢٧.

(٢) شعراء الجنوب، ص ٨٩.

وليس لنا أن نبتغيها وكننا
بأطياف أحلام الأمانى ولهان
وإن على أعناقنا وقلوبنا
حقوقاً تقاضاها شعوب وأوطان

وقد تعددت طرق شاعرنا في شعره الاجتماعي ، فتارة يميل إلى الأسلوب المباشر ، إما ساخرأ ومتهكماً كما فعل مع النفاق والمنافقين ، أو ناصحاً كما فعل مع أبناء مجتمعه في حثه لهم على التزود بالعلم النافع . وتارة يلجأ إلى الأساليب غير المباشرة ، القادرة على إحداث التأثير المراد ، كالمفارقة التصويرية ، والحكاية ، والحوار ، والرمز . ولعل أول ما يصادفنا من شعره الاجتماعي ، قوله حاملاً على النفاق والمنافقين ، مبدياً سخطة وسخريته من أحد المتزين به ، واصفاً ذلك الشخص وقد دأب على اصطناع البسمات الملونة ، وإظهار مشاعر التقدير والاحترام لرئيسه ؛ ليصل إلى غاياته عن طريق حيله المصطنعة تلك^(١) :

أصدقائي أم أصدقاء الوظيفة أنتم ياذوي النفوس الضعيفه
الأولي تهزأون بالمثل العلى بيا وتلهون بالمعاني الشريفه
بسمات ملونات وأخلا ق وصولية غلاظ سخيغه

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٤٣٨ .

ونفاق ملون تخجل الحر بء منه فتثني مكسوفه
ويواصل الشاعر رحلته مع ذلك المنافق ؛ ليكشف لنا سر تغيره ،
ويبدي موقفه تجاهه (١) :

فإذا ولت الوظيفة ولوا وأثاروا عليك حرباً عنيفه
خلق يشمئز منه كريم النفس والطبع والخصال المنيفه (٢)
ثم يفصح عن ألمه وحزنه الذي ولدته في عالمه تلك المشاهد المنفرة ،
وإصفاً أثر ذلك الداء ، منفراً من المصابين به ، ومحذراً من الاختلاط بهم .
في قوله (٣) :

بالنفس من أنفس تقذف الحب رعداء على الثياب النظيفه ا
وعلى كل جانب من قذاها قنريزكم الأنوف وجيفه
أوجه كالبلاط لا تنبت الزهر وإن كانت المياه كثيفه
وقلوب مثل الكهوف ظلاما والضحى يغمر الوجود مخيفه
ويحمل شاعرنا في نص آخر على مرض اجتماعي لا يقل خطره عن
سابقه ، بل ربما تعداه في الخطر ، وهذا الداء هو الكبرياء والتعالي على
الناس . وهو في حمله على هذا الداء يسعى إلى إيجاد ضده ، وهو التواضع

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣٩ .

(٢) يشمئز : أي ينفر منه ويكرهه ، والخصال المنيفة : الخلال الحسنة الشريفة .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٤٣٩-٤٤٠ .

ذلك الخلق الإسلامي الرفيع . يقول شاعرنا في ذلك^(١) :

يرفض القلب إذا كان كبيراً

عقد النقص سلوكاً وشعوراً

ويراها دنساً مستقنراً

تألف القزم وتستهوي الصغيراً^(٢)

يحجب الناقص سفلى نفسه

بتعالیه على الناس غروراً

ورم الأنف دليل واضح

أن في النفس جروحاً وبثوراً^(٣)

وكبير القلب تلقاه على

كل حالیه عظيماً وخطيراً

هو كالبحر جلالاً رائعاً

وهو كالروض زهوراً وعبيراً

نفسه في يده مبسوطة

تزرع الخير وتبنيه قصوراً

(١) المصدر السابق، ص ٧١٥-٧١٦ .

(٢) القزم : اللثيم الدنيء الصغير الجثة الذي لا غناء عنده .

(٣) بثوراً : البثر : مثل الجدري يقع على الوجه وغيره من بدن الإنسان .

وضياء البشر في غرته

خلقاً سمحاً وإيماناً غزيراً

يرفض العجب وإن هش له

مبسم الدهر نعيماً وسروراً^(١)

وشاعرنا - كما هو ملاحظ - في تنفيره من الكبر، ودعوته إلى التواضع، قد سلك مسلكاً غير مباشر، فهو لم يوجه اللوم لذلك الإنسان المتعالي، وإنما جاء به في صورة تدعو إلى ذلك النفور. فهو إنسان مريض، يحاول بتعاليه حجب إحساسه الباطن بالدونيه والنقص. ولم يقم بإطراء ذلك الإنسان المتواضع، وإنما قدمه لنا في صورة تدعونا إلى الإعجاب به، والتقرب منه. وبهذه المفارقة التصويرية نجح شاعرنا في تنفيره من ذلك الداء الخطير، كما نجح في الترغيب لتلك القيمة الخلقية الرفيعة. ويسلك الشاعر هذا المسلك غير المباشر في نعيه على الإنسان سخريته من أخيه الإنسان، في قصيدته (هوية الإنسان) التي يدعو فيها إلى الرحمة، والشفقة، ومد يد العون لمن هم في أشد الحاجة لمدها، من خلال تشخيصه لحالة شيخ طاعن في السن، قد افتقد من يعوله ويهون عليه مصاعب الحياة، ويزينها في نظره.

(١) العجب : الزهو .

يقول السنوسي واصفاً أثر الشيخوخة والفقير المدقع على ذلك الإنسان^(١):

خارت قواه وخانه جلده وانهار من آلامه جسده
شيخ يجروا منكبـه عمراً تكاد خطاه تفتقده
في مقلتيه وفي ملامحه صور يخط رسومها نكده
البؤس مائجة غواربه في شيبه متدفق زبده^(٢)
والفقير هائجة عواصفه في وجهه متريد لبده^(٣)

ويمضي في وصفه لذلك الشيخ، محاولاً استدرار مشاعر الشفقة والرحمة في نفوس أبناء مجتمعه. فيقول^(٤):

أبصرته يمشي وقد شخصت عيناه واعتمدت عصاه يده^(٥)
تهوى به رجلاه حيث هوت والدرب يلفظه ويزدرده^(٦)
في كل زاوية له أمل يقتاده من محسن يجده

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٨-٣٧٩ .

(٢) غواربه : الغارب : أعلى الموج .

(٣) متريد : أي متجمع ، ولبده : لبد الشيء بالشيء يلبد إذا ركب بعضه بعضاً ، ولصق به .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٣٧٩ .

(٥) شخصت : أي فتح عينيه وجعل لا يطرف .

(٦) يزدرده : يتلعه .

ثم ينتقل ليصف لنا موقف فئة من الناس اعتادت التلذذ بمثل هذه المشاهد، وملاحقة أمثال ذلك الشيخ؛ ليسكبوا في أسماعهم سخرياتهم اللاذعة، متناسين تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ونهيه عن السخرية:

حقوقه فانتهروه وابتدعوا رأيا هدى الإسلام يتقده
سألوه في زهو وغطرسة ماذا هويته وما بلده؟^(١)
ويجيئهم الشيخ - على لسان السنوسي - مذكراً إياهم بإنسانيته التي
توجب عليهم احترام مشاعره كإنسان يشاطرهم العيش في هذه الحياة،
قائلاً^(٢):

بشريتي بلدي وكل ثرى في الأرض يغذوني أنا ولده
وهويتي الإنسان ما خفقت أحشاؤه وتحركت غدده^(٣)
وانهار من ألم ومن نصب فصحا النهى وتحملت عقده^(٤)
فالسنوسي - في نصه هذا - يحث أبناء مجتمعه على مد يد العون لمن
يستحق ذلك من الآباء الطاعنين في السن، ويدعو مجتمعه لاتخاذ وسيلة
يساعد بها أولئك الناس دون أن يراق ماء وجوههم. ولكن ذلك الحث،

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

(٣) غدده: الغدة والغدة: كل عقدة في جسد الإنسان أطاف بها شحم.

(٤) نصب: الإعياء والتعب. والنهى: العقل، وتحملت عقده: أي انفتحت وانتفضت.

وتلك الدعوة، لم تأت مباشرة، وإنما عمد إلى وصف ذلك الشيخ الطاعن ووصفاً يهيج الشفقة في النفس، ويدفها إلى التعاطف مع ذلك الشيخ، ويدعوها لتقديم المساعدة له ولمن هم على شاكلته.

ويقف السنوسي في قصيدته (الحصان المقيد) ساخطاً على بعض المسئولين في مجتمعه؛ بسبب ظلمهم، وحرمانهم لبعض أصحاب الكفاءات العالية من أبناء مجتمعهم من بعض الفرص الوظيفية التي تتلاءم مع مؤهلاتهم، وإعطاء تلك الفرص لمن لا يستحقها عن طريق المجاملات. يقول السنوسي في ذلك متخذاً من الأسلوب الرمزي وسيلة لمعالجة ذلك الداء^(١):

ليديه صلصلة وفيه سهيل	طرف كأكرم ما يكون أصيل
شدت إرادته القيود وكبلت	قدميه وهو على القيود يصول
يهتز من مرج الفتوة جسمه	ويدور رغم قيوده ويميل
متحفز للعدو ملء إهابه	ثقة السيوف وعزمه المأمول
شاهدته والقيود يضغط ساقه	ويديه وهو مكبل مغلول
والحبل من حركاته متحرك	فتراه يقصر تارة ويطلول
والخيل بين يديه مطلقة الخطى	تلهو وتلعب مالهن كبول ^(٢)

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥٠٧-٥٠٨.

(٢) كبول: جمع كبل وهو القيود الضخم.

من كل خوار القوائم واهن يكبو إذا طال المدى ويبول^(١)
فأسفت للفرس الأصيل مقيداً وعجبت للفرس الهزيل يجول
ورجعت أتهم الحياة كأنني عن كل مهزلة بها مستؤل
فالحصان المقيد رمز به الشاعر لذلك الشاب المؤهل علمياً لأداء أية
مهمة توكل إليه إن منح الفرصة . أما الحصان الهزيل فقد رمز به لذلك
الشاب الذي حوبي بمنحه تلك الفرصة التي لا يستحقها .

وشاعرنا يسعى - عن طريق نقده الهادف هذا - إلى معالجة ذلك الداء
المتفشي في مجتمعه ؛ لمنافاته لمبدأ العدل الذي حث على تحريره ديننا
الإسلامي الحنيف في كل معاملاتنا .

ويقف السنوسي في قصيدته (القرد الفنان) ساخراً ومتهكماً من
بعض شباب مجتمعه المأخوذين ببعض مظاهر المدنية الوافدة ، المتمثلة في
تقليد أولئك الشباب للغربيين في أزيائهم ، وفي طريقة سيرهم . وفي ذلك
يقول بعد أن رأى واحداً منهم^(٢) :

رأيتـه وهو يمـشي مشـي فنـان

كأنه فارس في وسط ميدان

(١) خوار : الضعيف الذي لا بقاء له على الشدة .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٠٩ .

يهز عطفه إعجاباً بحلته

ويمسح الشعر من أن إلى أن^(١)

في (بدلة) تبرز الأعطاف مائلة

أركانها وزواياها (كفستان)

فقلت ماذا أرى يا قوم هل مسخت

طباع صحبي وإخواني وأقراني؟

إنني أرى بينكم قرداً فكيف أتى

وكيف ألبستموه لبس إنسان؟

وتتواصل عطاءات شاعرنا في مجال الإصلاح الاجتماعي، متجاوزاً-

في قصيدته (صورة شعرية)- المواطن إلى المسئول، حيث يقول^(٢):

يا معالي الوزير إن الوزاره علم رائع السنابل مناره

يرقب الشعب نورها وصداهها أينما حل ليله ونهاره

مثل ما ترقب المراصد نجما تجتلي نوره وترعى مداره

ومن الشعب تستمد المعالي مالها من جلاله ونظاره

ويرسم صورة الوزير المثالي الذي يطمح إليه المجتمع، محفزاً إياه على

(١) حلته : الحلة : كل ثوب جيد جديد تلبسه ، غليظ أورقيق ، ولا يكون إلا ذا ثوبين .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٣٥٩ .

أن يكون هو ذلك الوزير الذي ينتظر تواجده أبناء مجتمعه^(١):

والوزير العظيم يحتضن الشعـ	ب وأماله ويلقي دثاره ^(٢)
يتبنى أحلامه وأمانيهــــــــــــــــ	ه بروح قوية جبارة
يسهر الليل كي يحقق رؤيا	قومه في تقدم وحضاره
واضعاً عينه على كل فرع	وجهاز وشعبة وإداره
يتقصى ويستحث ويوصي	ويهز الكراسي السدواره
ويمد الموظفين بــــــــروح	منه وهاجته تشع حراره

فالسنوسي - في هذا النص - يقدم لنا الصورة المثالية التي ينبغي أن

يكون عليها كل مسئول ووزير في أي مجتمع من المجتمعات .

وفي ذات الوقت يطلع ذلك المسئول أو الوزير على الآمال

والطموحات التي ينتظر أبناء مجتمعه تحقيقها على يديه ، ومن ثم يبصره

بحجم المسئولية الملقاة على عاتقه تجاههم .

وهذا التصوير كما يرى الدكتور علي علي مصطفى صبح : « تصوير

اجتماعي لكل وزير ، بل لكل مسئول في أي موقع من مواقع العمل

والإنتاج ، في أي بقعة من بقاع العالم»^(٣) ولأجل ذلك احتل شعر شاعرنا

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٦٠-٣٦١ .

(٢) يلقي دثاره : أي يلقي كسل الشعب وخموله .

(٣) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، ص ١١٤ .

الاجتماعي مركزاً عالمياً ؛ لأنه «شعر إنساني عالمي بروح إسلامية عالمية ،
تحب الخير للإنسان في أي مكان»^(١) .

٦ - الشعر الوطني

« الوطنية روح تتمثل في حب الوطن ، والافتتان به ، والعمل له ،
والذود عنه ، والحفاظ عليه ، تسري في النفوس فتحبب إليها البذل
والفداء ، والتضحية والإيثار ، وترتفع بها إلى مصاف الأبرار ، ومراتب
الأبطال ، حين يحز الوطن الضر ، ويحيق به الشر ، فتسترخص الدم الزكي
يروى ثراه الحبيب ، وتستعذب الشهادة رضية قريرة العين في غير من ولا
خيلاء»^(٢) .

وقد هام الشعراء - منذ القدم - بأوطانهم ، يتغنون بأمجادها ،
ويسرون إليها بأمالهم وأحلامهم ، ويبثونها آلامهم وأحزانهم ، ولا
يتورعون لحظة في الذود عنها أمام كل من يحاول النيل منها والمساس بها .

(١) المرجع السابق، ص ١١٤ .

(٢) دراسات أدبية ، د. عمر الدسوقي، ج(١)، ص ١١٩ .

والشعر الوطني في العصر الحديث اتخذ «مسارين متمايزين : أحدهما إقليمي قومي غذته ورفدته عوامل عدة أهمها : الاستعمار، والتخلف ، والغربة ، والآخر وطني إسلامي يربط الوطن بالدين» (١).

وقد سلم (وطن) شاعرنا من نير الاستعمار الذي تجاوز مده الأراضي التي وطأها أقدامه إلى عقول أبنائها، حيث عمل على إفسادها وبلبلتها؛ ليصل إلى غاياته البعيدة التي دأب على تحقيقها منذ البدايات . أضف إلى ذلك أن أبناء وطنه -بدءاً بحكامهم - قد اتخذوا الشريعة الإسلامية بتعاليمها منهجاً لهم في حياتهم، يأترون بأوامرها، وينتهون بنواهيها، ويصدرون عنها في كل ما يصدرون، من قول، أو فعل، أو عمل . ولعل هذه العوامل والمؤثرات -مجتمعة - كان لها أثرها في توجيه شعره الوطني ووجهة إسلامية لاتغفلها العين المتأملة، وخير دليل على ذلك ربطه الجميل بين حاضر وطنه الزاهي، وماضيه المشرق الجميل، فمن صحرائه انبثقت أنوار الرسالة الإسلامية، وعلى أديمه سار، سيد البشرية، وصحبه الكرام، وتحت سمائه مقدسات المسلمين، ومشاعرهم التي يهفو إليها كل فؤاد وتشتاق إليها كل مقلّة.

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي، ص ٢٢٣.

واهتمام شاعرنا بوطنه واعتزازه به - كما تفصح تجاربه - ليس ناتجاً عن نزعة عصبية يحسها فيريقها في شعره ، وإنما كان مرده ذلك الدور العظيم الذي ينهض به أبناؤه في خدمة الإسلام والمسلمين ، وشروعهم في تبليغ الرسالة التي انبثقت أنوارها من أراضيهم بوسائلهم المختلفة ، وشعوره الجميل بأن وطنه ووطن للجميع من عرب ومسلمين ، وخير دليل على هذا الشعور السامي قوله في قصيدته (الكيان الكبير)^(١) :

في كيان موحد صاغه العم — لاق عبدالعزیز ذو الإقدام
صاغه من يقينه وبنائه — عبقریا للعرب والإسلام
فهو صرح به الجزيرة تسمو — بينها إلى أعز مقام
والتأمل في شعر شاعرنا الوطني يجده ذا شقين :

الشق الأول : اهتم فيه بوطنه الذي حوته أرضه ، وأظلته سماؤه ، منذ بداياته إلى أن غادره . حيث تغنى بماضيه المشرق ، وحاضره الزاهي وغده المرتقب ، وافتخر بمواقف أبناؤه الجميلة بدءاً بحكامه من آل سعود ، وانتهاءً بأفراده . ودافع عن مقدساته الإسلامية ، ووقف في وجه كل من حاول النيل من أراضييه ، أو عمل على الإخلال بالأمن الذي ينعم به أبناؤه . وهام بمدنه ، وبما حباه الله من جمال الطبيعة ومظاهرها .

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٨٦ .

وشاعرنا في كثير من قصائده الوطنية يستدعي الماضي البعيد بما فيه
من نضارة وإشراق، رابطاً إياه بالحاضر الزاهي الذي يعيشه وطنه .
فهو دائم التذكر للأمجاد الإسلامية التي شهدت ولادتها أراضي وطنه
ولمن أرسوا دعائم تلك الأمجاد . نستمع إلى ذلك في قوله (١) :

جزيرتي أنت ماوى أمة سمقت

أخلاقها الغر واستعلت عن الوحل (٢)

على ترابك أنفاس معطرة

من السماء ونور غير منفصل

إذ كان أول بيت للهدى وضعت

أركانها في ثراك الطاهر النهل

ويواصل استدعائه لذلك الماضي البعيد، فيذكر عدداً من الذين

أظلتهم سماء وطنه، واحتوتهم بعض أراضيه، قائلاً (٣) :

ففي رمالك سمراء الجبين مشى محمد منقذ الدنيا من الخطل (٤)

(١) المصدر السابق، ص ٦٨١ .

(٢) سمقت : أي ارتفعت وعلت ، والوحل : الطين الذي ترتطم فيه الدواب .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٦٨٢ .

(٤) الخطل ، المنطق الفاسد .

وظلحة وأبو بكر وصاحبه وذو الضيائين عثمان وشب علي
نجوم هدي تعالى الله خالقهم أئمة الدين والدنيا بلا جدل^(١)

ويلتفت إلى حاضره فيراه زاهيا مشرقا بقادته من (آل سعود) الذين
نذروا أنفسهم لخدمة الرسالة الإسلامية، وإحياء معالمها، ومن ثم نشرها
في الآفاق بوسائلهم المختلفة، حيث يقول عنهم^(٢):

أبطال معركة الإسلام في زمن

مضرج بالضحايا والقرايين^(٣)

الخائضين الرغى والكون معمعة

من الكوارث يرمي بالبراكين^(٤)

المصلحين المغاوير الذين قضوا

على الأساطير من تاريخنا الديني^(٥)

إلى أن يقول :

بعرشهم رفع الإسلام رايته

على الجزيرة خضراء الأفانين

(١) جدل : أي شدة الخصومة .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٣) مضرج : أي ملطخ بالدماء .

(٤) معمعة : حكاية صوت لهب النار إذا شبت بالضرام .

(٥) الأساطير : الأباطيل .

وأشرق الحق كالصبح المبين سنا

وأصبح العدل مضبوط الموازين^(١)

ويواصل شاعرنا في قصيدته (قطوف وأصداء) الإشادة بوطنه، مبيناً الأسس التي قام عليها، والسياسة الحكيمة التي يسير على هدى منها في طريقه إلى الرقي والتقدم في كل المجالات، قائلاً^(٢):

تلتقي حوله البعث ويشـتد على سوحه ازدحام الوفود
جبل راسخ القواعـد تنقـد على صخره غلاظ القيود^(٣)

وشهاب له على كل أفق
في حياة طليقة الخطو لكن
سائرت موكب الحضارة واختنا
وتسلمت عن الزخارف واستعد
تتوخى الصلاح والخير والحق
ضربت في ذرى النهوض بسهم
ويتوجه إلى أبناء وطنه حاثاً إياهم على العمل المثمر، والسعي

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٤.

(٣) راسخ: ثابت في موضعه، وتنقد: تنقطع.

(٤) الترهات: الأباطيل.

الدؤوب في سبيل الارتقاء بوطنهم إلى المكانة المرموقة التي تليق به ، ناهياً
إياهم عن التواكل والالتكال على الماضي وما حفل به من مفاخر دون عمل
للحاضر، مؤكداً لهم أن الحياة لا تعطي الإنسان ما يصبو إليه إلا إذا عمل
وأجاد في عمله (١) :

بني وطني إنا على فجر نهضة
تصد الدجى أنى تدجى وتصدع
وللفجر في وجه الحياة أشعة
تذيب الكرى عن ناظريها وتدفع
وإني لأستنشي شذاها وعطرها
وأشدو لها من نشوة وأوقع
بكيننا على الماضي كثيراً وإن يكن
خطيراً فما يجدي البكا والتفجع
مضى السلف الأبرار يعبق ذكرهم
فسيروا كما ساروا على الدهر واصنعوا
وما الفخر بالماضي إذا لم يكن له
من الحاضر الزاهي بناء مرفع

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٢-١٣ .

خذوا بأكف الأسد من أسهم العلى
نصيبا فإن الحاضر اليوم أوسع
يد الدهر لا تسخو بمجد لعاجز
ضعيف ولا تندى ولا تتبرع
لقد أفصحت عن سرها لو تكلمت
حياة بقدر السعي تعطي وتمنع
وما قيمة الأوطان إن لم يكن لها
رجال يلذون الشقاء لينفَعوا^(١)

وعندما يتوجه إلى مظاهر الجمال في وطنه، ومصادر الرزق والعطاء، يستحضر عظمة الله - سبحانه وتعالى - ويشعر في التسبيح له، فهو الذي أنعم على وطنه، وأمدّه بخيراته. نسمع ذلك في قصيدته (الجنوب الخصب) وهو يصف بعض أراضي وطنه بعد نزول الغيث، وتدفق السيول عليها، متمنياً من المسؤولين إقامة سد يحجز المياه خلفه؛ للاستفادة منها في شئون الزراعة، حيث يقول^(٢):

إذا لمع البريق على سماها جرى الوادي وسال بها شعابا
وإن رعد السحاب على ذراها سرى الخادي يهزبه الركابا^(٣)

(١) المصدر السابق، ص ١٣-١٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

(٣) الخادي : الذي يسوق الإبل بالغناء .

حقول سمحة وثرى غني يغل الفصل أربعة نصابا^(١)
يدلله خص به بلادني فسبحان الذي أعطى وحابا
وللبقاع المقدسة - في وطنه - نصيب من شعره ، ففي قصيدته
(طيبة) يظهر لنا مدى تعلقه بتلك البقعة التي شهدت انبثاق نور الرسالة
الإسلامية بعد أن أشرعت أحضانها للرسول - صلى الله عليه وسلم -
ولصحابته من المهاجرين ، ومن على أديمها انطلقت قوافل المجاهدين
والدعاة إلى اعتناق الرسالة الإسلامية .

يقول السنوسي محبياً طيبة ، سارداً ذكرياتها الجميلة في حياة الإسلام
والمسلمين^(٢) :

منزل الوحي والملائك والأنـ صار والطيبين جيلاً فجيلاً
وملاذ المهاجرين إلى اللـ ه شباباً وصبية وكهولاً
هب منها الهداة وانطلق الإيـ مان والمؤمنون صفاً طويلاً
ومشى في ظلالها موكب الحـ ق إلى العالمين يهدي السبيلاً
حيها حيها وحي رواييـ ها وحي العقيق والعاقولاً^(٣)
وتنشق عبير أرض ثراها يستحق العناق والتقبيلاً
إن في عرفها أريجاً سماوـ ياً ونوراً ملائكياً جليلاً^(٤)

(١) من خصائص منطقة الجنوب الزراعية أن الأرض لديهم تعطي أربعة محاصيل من بذرة واحدة ،
ومطرة واحدة ، وتلك نعمة من النعم .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص : ٣١٦-٣١٨ .
(٣) العقيق والعاقولاً : موضعان بالمدينة المنورة .
(٤) عرفها : العرف : الريح ، طيبة كانت أو خبيثة .

أنت في روضة من القبر والمنـ -بر وضاء تنير العقولا
أشرفت بالهدي منيراً وبالخيـ -ر غزيراً وبالندي سلسيلا
عب من فيضها الوجود جمالاً وجلالاً وحكمة وأصولاً^(١)
كاد قلبي في جوها يستعيد الـ -وحي غضاً ويسمع الترتيلا

ويحمل في قصيدته (عصبة السفاح) على الشذمة الباغية التي انتهكت قدسية الحرم المكي الشريف، وعملت على ترويع مرتاديه، وإزهاق أرواحهم البريئة، مستنكراً ذلك الحدث المشين، وساخراً من ادعاءاتهم وافتراءاتهم^(٢).

يقول السنوسي واصفاً ذلك الحدث الشنيع مؤكداً ضلال فاعليه^(٣):

لعلت فجأة تشق طمانينـ -نة الأرواح أصوات مجرمين وقاح
وأزيز الرصاص في حرم اللـ -ه يدوي على الرمي والبطاح
عصبة ضلت الهدى وأضلت -وبه تستيح غير المباح

ويواصل استنكاره عن طريق إطلاق أسئلة تغلفها السخرية، وتنضح بالألم المر؛ لما أحدثته تلك الشذمة في حرم الله الآمن، موضحاً عن طريقها حقيقة الدين الذي تزىوا به وهو منهم براء:

(١) عبّ: شرب.

(٢) حدث ذلك بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء الموافق ١/١/١٤٠٠ هـ، حيث قامت جماعة مسلحة باقتحام المسجد الحرام، وأعلنوا عبر مكبرات الصوت خروج المهدي، وطالبوا ببياعته، ثم أغلقوا الأبواب، واحتلوا المواقع للمقاومة، وباشرت الدولة تطهير المسجد الحرام، وتمكنت من ذلك بعد مضي أكثر من نصف شهر على اقتحامه.

(٣) جريدة الندوة، العدد (٦٤٠٨) في ١٤/١/١٤٠٠ هـ.

من أحل الدم الحرام وأفتنا كم بقتل النفوس والأرواح؟
ومتى كانت الهداية إزها فألأرواح مؤمنين صحاح؟
أيها المارقون من ربيعة الديـ من لقد جئتمو بكفر بواح^(١)
ويحكم ما الذي تريدون ماذا قد دهاكم يا عصابة السفاح؟
أكذا تفهمون دين السلام الـ حق دين الهدى ودين السماح؟
بئسما تفهمون يا طغمة الشـ رويأ زمرة الضلال الصراح^(٢)!

وأكثر ماتتجلى النزعة الإسلامية في شعره الوطني - الذي خص به
وطنه الذي نشأ فيه وترعرع - في أناشيده الحماسية ، ومنها (نشيد الحرس
الوطني) حيث يقول فيها على لسان أحد جنود الحرس الوطني^(٣) :

أنا أعتز بقومي وبلادي
وبإيماني بربي ووجهادي
في سبيل الحق سيفي وعتادي
أنا جندي الهدى في وطني

(١) ربيعة الدين : الربيعة في الأصل : عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها ،
فاستعارها للدين ، يعني مايشد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره
ونواهيه . وبواح : ظاهر .

(٢) طغمة : الطغمة : أوغاد الناس وأرذالهم ، والصراح : المحض الخالص من كل شيء .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٦٦٠-٦٦١ .

للعلی سیري وللق شعوري
والی المجد غدوي ویکوري
أنا من نسل علي والزبير
أنا جندي الهدى في وطني

من سنا بدر وأضواء حنين
لم يزل منها شعاع في جبيني
ملء قلبي ملء روعي ويقيني
أنا جندي الهدى في وطني

أما الشق الثاني من شعره الوطني : فقد اهتم فيه السنوسي بقضايا
وطنه العربي والإسلامي ، بعد أن تكالبت على كثير من أقطاره قوى
الاستعمار الشرسة ، فعانت فيها تخريباً ، وقتلاً ، وتشريداً .
تدفعه إلى ذلك الاهتمام « روح وطنية لحمتها العروبة
والإسلام » (١) .

وتأتي قضية فلسطين في مقدمة تلك القضايا التي شغلت حيزاً
كبيراً من شعره الوطني ، ولعل ذلك راجع لأهمية ذلك القطر في حياة
(١) شعراء من أرض عبقور ، محمد العيد الخطراوي ، ج(٢) ، دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ،

منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ص ١٦٠ .

الإسلام والمسلمين، فعلى ثراه القدس، والمسجد الأقصى، أضف إلى ذلك أن أبناء مسلمون عرب.

والناظر في شعر السنوسي المتعلق بهذه القضية يقف على إحاطته بكل التطورات التي شهدتها، فقد تحدث عن احتلال القدس، وحريق المسجد الأقصى، ورفض مبدأ التقسيم الذي نادى به هيئة الأمم المتحدة، وسخر من دعوات السلام المزيفة، واستبعد الصلح مع الاسرائيليين، وصور حال اللاجئين المشردين، وأشاد بالحركات الفدائية، ورثى شهداءها.

يقول السنوسي على لسان أحد اللاجئين الفلسطينيين معرفاً بالقدس، وباعثاً ذكرياتها المزدانة بأنبياء الله ورسله، وبعض قادة المسلمين^(١):

أيام استقبل الأعياد في بلدي
أرض النبيين من قومي وأجدادي
في (القدس) والقدس مهوى كل جانحة
مني ومجلى أحاسيسي وأمجادني
ميلاد (عيسى) ومسرى (أحمد) وهدى
(موسى) ومجمع خطابي^(٢) ومقدادي^(٣)

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) خطابي: نسبة إلى: عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

(٣) مقدادي: نسبة إلى: المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - .

ثرى تود الدراري أنه أقام

فيه وترجو الثريا أنها وادي

وسرعان ما يتلاشى أثر تلك الذكريات الجميلة من نفس ذلك

اللاجئ ، ويخيم الحزن عليه وهو يعانق حاضر ذلك المكان المعفر بأريج
الأنبياء والرسل (١) :

أضحى لنسل (الأفاعي) محجراً وغدا

مبءة لصهايين وأوغاد (٢)

وحيثما سعت هيئة الأمم المتحدة إلى إقرار وتنفيذ مبدأ التقسيم ، الذي

يقضي بأن تكون فلسطين العربية المسلمة وطناً لليهود ولأبنائها على
السواء ، جوبه ذلك المبدأ بالرفض من قبل السنوسي ، وسخر من الداعين
إليه (٣) :

ماذا هو التقسيم تلك حباله حيكك لتجربة المصائب فينا (٤)

قلبت لنا ظهر المجن سياسة نصبت لكى تك للضعيف معينا (٥)

فتكشف الزمن الجريء وقد بدت جمعية الأمم الغداة كميننا

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٤٧٩ .

(٢) محجراً : أي حديقة ، ومبءة : منزلاً .

(٣) شعراء الجنوب ، ص ١٠٤ .

(٤) حباله : المصيدة مما كانت .

(٥) المجن : الترس .

دارت كؤوس المنايا الزرق فائضة

فعب كل كريم ماجد أنف

وما بنى المجد إلا كل مقتحم

بنفسه غمرات البأس والتلف

إلى أن يقول (١):

سمت بكم هامة التاريخ أفئدة

هبت تناهض بني الغاصب السرف

نباضة بدم الإيمان أزعجها

صوت الضعيف بكف الخناق العنف (٢)

ويقف السنوسي إلى جانب إخوانه في الجزائر في معركتهم الضروس ضد المستعمرين الفرنسيين الذين سعوا إلى سلخ قيمهم ومثلهم، وامتهان كرامتهم، وامتصاص خيراتهم، وتنصيرهم، «وفرستهم» لغة وعادة . . . داعياً إخوانه - في العروبة والإسلام - إلى الوقوف إلي جانب الجزائريين ومد يد العون لهم حتى يواصلوا صمودهم، مذكراً إياهم بالعقيدة التي يعتنقها أبناء الجزائر (٣):

(١) شعراء الجنوب، ص: ٧٩ .

(٢) الخناق : الخناق : الحبل الذي يختنق به، والخناق : نعت لمن يكون ذلك شأنه وفعله بالناس .

والعنف : العنف : الخرق بالأمر وقلة الرفق به .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ١٩٦ .

أخي إنها أرضي وأرضك أشرفت بأبائنا طوبى لهم ومآب
فكل (ريال) من يدك رصاصة لكل (فرنسي) طغى وعذاب
أتسلخ من جسми وجسمك عنوة (بلاد) عليها للدماء خضاب
ويواصل حثه لأبناء أمته ، مشعلاً في حناياهم فتيل الثورة ، وساخراً
من ادعاءات الفرنسيين الجوفاء :

متى كانت (الأوراس) للسين منبعاً
وأنى التقى للضفتين حباب؟^(١)
وهل كان (جي موليه)^(٢) من نسل طارق
أو ابن (نصير) يا لذاك عجاب؟
أجل إنها أرضي وأرضك يا أخي
فكيف يطيب النوم وهي خراب؟
أتركها نهباً وللضاد ذمة
وللدين حق (والجهاد) نصاب^(٣) ؟

وعندما هب أبناؤها في وجه عدوهم يذيقونه ويلات الذل
والانكسار ، كاتبين حررتها بدمائهم الزكية ، شاركهم الشاعر فرحتهم ،

(١) حباب : حباب الماء : موجه الذي يتبع بعضه بعضاً .

(٢) رئيس وزراء فرنسا ، راجع ذلك في كتاب ثورة الجزائر ، تأليف : جوان جليبي ، ترجمة

عبدالرحمن صدقي أبوطالب ، مراجعة : د . راشد البراوي ، ص ١٧١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٧ .

وأعلن سعادته بعودة أراضيه، وبقائها عربية إسلامية قائلاً^(١):

غضبوا غضبة الرجال وقادوا

(ثورة) في نضالها عبقرية

كل شبر من أرضهم كل فتر

من ذراهم معسكر أو خليه^(٢)

في رؤوس الجبال تحت ربي الأشـ

جار فوق الذرى خلال الشيه

كالأعاصير كالسيول اندفاعا

في سبيل المطالب الوطنيـه

أهبوها على المغيرين ناراً

تتلظى وأشعلوها حميه

ويلتفت إلى ماضي أمتنا المشرق وما كان فيه من أمجاد ، رابطاً إياه بما

تحقق في حاضرها على أيدي الجزائريين^(٣):

يا لها أمة أعادت إلينا

ذكريات اليرموك والقادسيه

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٣١-٣٣٢ .

(٢) فتر : الفتر : ما بين طرف الإبهام والسبابة إذا فتحتها .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٣٣٣-٣٣٤ .

فرضت نفسها على الظلم فرضاً
وأطاحت بكل دعوى دعيه
أخذت حقها السليب غلاباً
واغتصاباً ولم تنله عطيه

ويشارك إخوانه في مصر فرحتهم بتأميم قناة السويس وطردهم
البريطانيين منها، ويحتفل بعزوبة تلك القناة قائلاً^(١):

وعلت (راية العروبة) شمساً * يزين السماء منها وشاح
عاجت جرحها أساة بنيها وانتهى من علاجه الجراح
وسقاها دم الحياة شباب دمه في ترابها نضاح
ودماء الشباب نور ونار ومناها توثب وجماح
عبروا عن مرادهم في (جلاء) يدعم الحق في سناه الكفاح
طلبوا الموت في ثراها ففازوا بحياة كريمة لا تتاح

ونختم وقفنا مع شعر السنوسي الوطني بمشاركته لإخوانه في اليمن
فرحتهم بانطفاء نيران الحروب الداخلية بينهم، حيث يقول مصوراً فرحته
بروح الأخوة الصادقة التي سادت بين اليمنيين بعد انشقاق مرير^(٢):

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨-٢٩ .

(٢) المصدر السابق، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

قـرت قـلوب الأـمنـيات
وتـنـاثـرت فـوق الجـبابـا
وتـجـاويـت بالبـشـريا
ومضت تقبل (إينها)
(أم) وقلب الأم أعـ
يا للسلام يهز بالـ

وزهت أسارير الحياة
ل الشم أنغام الخداة
ت الغر السنة الرعاة
فرحاً وتهتف للبنات
سرف بالحياة وبالمات
الحنان أعطاف الموات

ويشير إلى المكان الذي احتضن تلك الخطوة الجميلة (١):

وعلى رحاب النور من
نحروا خلفات الهوى

أرض الهدى والمكرمات
وسموا إلى أسمى الصفات

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٥٥ .

الفصل الثاني

موضوعات

الشعر الإسلامي

١ - الشعر المتصل بالعبقيدة الإسلامية

العبقيدة الإسلامية تتمثل في سلامة أقوال الإنسان وأفعاله ، وخلوص تلك الأقوال والأفعال من شوائب الشرك والإلحاد ، والزيف والضلال ، وصدور الإنسان في كل ما يأتي ويذر عن عبقيدة خالصة بالتوحيد لله ، والإيمان المطلق بقضائه وقدره... (١) وهي بهذا المفهوم تتسم بالوضوح الشديد ، إذ لا تعقيد فيها ولا غموض يجعل من محاولة فهمها ، والتعمق فيها أمراً صعباً أو مستحيلاً ؛ بل هي في متناول الإنسان - أيّاً كان - متى ما أشرع لها قلبه وعقله ، وهي مع سهولتها هذه تعد أضخم الحقائق في حياة الإنسان لأنها «تصل بين الإنسان وبين الحقيقة الكبرى - حقيقة الألوهية - بشتى المشاعر، من الحب والرغبة والخوف والطمع والأمل والرجاء . وتصل بين الإنسان والكون والحياة بصلات من التعاطف والمودة والقربى ، وتصل بينه وبين أخيه الإنسان برباط من الحب المتدفق الفياض ، وتربط كيان النفس... ، وتوحد بين

(١) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث « قيمة الفنية في موازين النقد » ، محمد عبده

الشيلي، الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٥٩ «بتصرف».

الدنيا والآخرة والعمل والعبادة، والأرض والسماء» (١) ومنها «تتكون نظرة المؤمن لكل ما يجري حوله . تتكون نظرتة للزهرة وقطرة المطر ، وللجبل والسحاب ، للنجوم والكواكب ، لكل ما يقع عليه بصره أو حسه أو إدراكه في السموات والأرض» (٢) .

ولو عدنا إلى شعر شاعرنا لوجدنا فيه عدداً من القصائد التي تخص هذا الجانب المهم في حياة كل مؤمن ومؤمنة ، في كل زمان ومكان ؛ إذ تفصح عن عقيدة صافية ، وإحساس عميق بفضلها ، واقتناع تام بها وبتعاليمها .

نلمس في شعره - الذي دار حول هذا الجانب - إيمانه العميق بالله ، وتوحيده له ، وتسليمه بقضائه وقدره في الرزق والإحياء والإماتة ، وإيمانه باليوم الآخر وما يتعلق به من بعث ونشور ، ومحاسبة على الأعمال .
والسنوسي - كما هو ملاحظ - في شعره الذي يعنى بهذا الجانب المهم في حياتنا يسعى إلى شيئين مهمين :

أولهما : تذكير المسلمين في كل مكان بأصول عقيدتهم ، عن طريق إحياء معالمها التي درست في نفوسهم من جراء تلك الغفوة التي

(١) منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، ط (٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ص ١١٦ .

(٢) الأدب الإسلامي إنسانيته وعاليته ، د. عدنان علي رضا النحوي ، ط (١) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

لازمتهم منذ عصور التخلف والجمود ، إلى قبيل ظهور الحركات الإصلاحية في كافة الأقطار الإسلامية .

وثانيهما : محاولة الدفاع عن العقيدة أمام سيل التهم التي طعنت فيها ، وشككت في صحتها ، بالأدلة التي ساقها ، والتي اتكأ فيها على تأملاته العميقة في الكون ، والحياة ، والأحياء من حوله ، بالإضافة إلى ما توصل إليه العلم في العصر الحديث من مخترعات تحمل أدلة ضمنية على وجود الله - سبحانه وتعالى - .

ولنبداً وقفنا عند أبيات للشاعر يتضح لنا فيها عمق إيمانه بالله وحده ؛ إذ يصف فيها السفن وهي تجري في عرض البحر بعد أن سخر الله لها الرياح لتدفعها إلى مستقرها ، ويصف الأرض الميتة وقد استحالت إلى روضة غناء ؛ بفعل الغيث الذي أنزله الله من السماء ، ليؤكد بعد ذلك أن تلك المشاهد تدل دلالة قطعية على وحدانية الله ؛ لأنها - جميعاً - تنطق وتشهد بذلك .

نلمس ذلك في قوله (١) :

جل من سخر الرياح فسارت تهادي رحية بالسفائن
وأفاض الحيا فأحيا مواتا وأمال الربى فسالت معادن

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٨-٥٤٩ .

كلما في السماء والأرض مبسو ط لمن يتقي ويخشى الملاعن
ويجد في مصارعة البحارة لأمواج البحر المتلاطمة ؛ سعياً لكسب
رزقهم ، معتمدين ومتوكلين على الله - سبحانه وتعالى - دليلاً على وجود
الله وتوحيده فهو خالق كل شيء (١) :

يستقبلون الموج صخاب الردى والنوء في إعصاره العريد
ويصارعون الموت في أعماقه بسواعد صماء كالجلمود
وثبات إيمان وصلب عقائد موصولة بالخالق المعبود
رب الوجود بمائه وسمائه والعالم المحجوب والمشهود
وينظر إلى الأرض وقد زيتها الزهور والأشجار في فصل الربيع ،
وتضوعت من جنباتها الروائح ، باعثة في النفس النشوة ، مزيلة عنها
الكآبة ؛ فيجد في تلك المشاهد دليلاً على وجود الله وعلى حسن
صنعه (٢) :

في كل رابية شذى من زهرة رف النسيم بها ونم وئمنما (٣)
ويكل منحدر حيا مترقرق ورؤى مخضبة الأنامل واللمى
والأرض في حلال الربيع وروضة تلقاك شاعرة تهز الأبكما

(١) المصدر السابق ، ص ٧٧٧ .

(٢) المصدر السابق ص : ٦٠٦-٦٠٧ .

(٣) نم : أي سطعت راحته .

فتانة القسمات تحسب أنها نقلت من الفردوس رسماً محكما
 تلقاك في نفحاتها ونباتها فنا إلهي الخطوط منظما
 تغري مفاتها القلوب فتتحي كالطير أسراباً ترفرف حوما^(١)
 تجلو برؤيتها النفوس همومها عنها وتمتص الكأبة والعمى
 ويظهر توحيده في تضمينه لما ذكره الله - سبحانه وتعالى - عن كيفية
 خلق السموات والأرض . نلمس ذلك في قوله (٢) :

ذاك شيء علمته مذوعى قلبي الفكـر
 كانت الأرض والسما ء أما تقرأ السور
 فتق الله رتقها فاندحى الكون وانتشر^(٣)

ويتم وجهه شطر الاختراعات الحديثة التي وصل إليها الإنسان،
 فيجد فيها دليلاً على وجود الله وعظمته ، فهو الذي أمد العقل الإنساني
 بالعلم فوصل إلى ما وصل إليه بفضلته .

نلمس ذلك في وصفه للطائرة التي أقلته ومجموعة من الأدباء
 السعوديين إلى بغداد، يقول من قصيدته (على ضفاف دجلة) (٤) :

(١) تتحي : تميل ، وحوما : الحومان : دومان الطائر يدوم ويحوم حول الماء .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٥٧ .

(٣) رتقها : الرتق : إلحام الفتق وإصلاحه ، وقيل الرتق : الظلمة .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٧٧١-٧٧٢ .

إليك بغداد طارت بي مجنحة
أعرتها حر أشواقني وأكبادي
فحممت ثم رفت ثمت انطلقت
كنيزك في سماء الأفق وقاد^(١)
تهابها الريح أن تجتازها فرقا
ويستحي كل براق ورعاد
ونحن كالزغب في أحشائها زمراً
جنباً لجنب وأعضادا لأعضاد^(٢)
نقضي السويعات في أعماقها طرباً
قصفا ورشفا إلى ماء إلى زاد^(٣)
من علم العقل هذا العلم فانطلقت
أجسامنا عبر آفاق وأطواد
الله جل جلال الله خالقنا
سبحانه رغم تجديف وإلحاد^(٤)

- (١) حممت : الحممة صوت الفرس إذا طلب العلف ، أو رأى صاحبه الذي كان إنفه فاستأنس إليه ، والمراد بالحممة هنا : صوت الطائرة عندما تهتم بالتحليق ، والنيزك : الرمح الصغير .
(٢) الزغب : الزغب : الشعيرات الصغيرة على ريش الفرخ ، والمراد بها هنا : الفراخ الصغيرة .
(٣) قصفاً : القصوف : الإقامة في الأكل والشرب .
(٤) تجديف : التجديف : هو الكفر بالنعم .

وإلى جانب إيمانه بوجود الله ووحدانيته ، آمن الشاعر بقضاء الله وقدره ، حيث وجد فيه راحة لنفسه من تيهات التخبط والضياع في مهامه الحياة .

وقد كان إيمانه بقضاء الله وقدره عميق الأثر في نفسه ، ودليلنا على ذلك دعوته إليه في كثير من المواقف التي تحفل بها الحياة .

ولم يكن ذلك الإيمان المطلق من قبل السنوسي بقضاء الله وقدره عن طريق المصادفة ، بل كان نتيجة لإيمانه العميق بالله ، ولتجاربه في الحياة التي رسخت في روحه تلك العقيدة الإيمانية التي يعجز الكثير في إدراكها وتذوقها ؛ لأنها نعمة من الله يسبغها على من يشاء من عباده المخلصين .

ولنا أن نلمس أثر ذلك الإيمان في قصيدة له نفذ من خلالها إلى الحياة الدنيا في وقفات تأملية قادت إلى اكتشاف الأدواء المتناثرة على بساط الحياة ، وهدته بصيرته وإيمانه إلى إيجاد الدواء المناسب لها ، حيث رأيناه يدعو إلى العمل الجاد ، وينهى عن التواكل لأنه من الأمور التي تفسد الإيمان في قلب صاحبه ، ويتنافى مع مبدأ التسليم لله والذي يسمى توكل لا تواكلاً ، وشتان بين الإثنين .

يقول السنوسي في ذلك (١) :

(١) الأعمال الكاملة ، ص : ٥٥٦ - ٥٥٧ .

أمامك دنيا ترهق القلب والعقلا
فيا خاطري رفقا ويا ناظري مهلا
تحير فيها المصلحون وأعجزت
نهى الفيلسوف الفذ والشاعر الفحلا
طلاسم تعي الفكر فهما فينحني
خضوعا لها مهما تكبر واستعلى
يعيش بها الإنسان طفلا وإن بدا
لعينيه كهلائم يتركها طفلا
تصد بلا ذنب وتدنو بلا هوى
فلا صدها صدا ولا وصلها وصلا

فهو - في هذه الأبيات - يقدم لنا صورة للحياة في أحوالها المختلفة ،
ووقوف الإنسان عاجزاً في محاولاته المتكررة لفهمها وسبر أغوارها ، فهي
سريعة الانفلات من حالة إلى أخرى ، مرتدية لكل حالة لبوسها الملائم ،
وهذا يعني تجددتها المستمر ، وهذا التجدد يجعل من محاولات الإنسان
الدؤوبة لتفسيرها أمراً مستحيلًا ، وهذا من شأنه أن يحدث اضطراباً في
الرؤية ، قد يؤدي بصاحبه إلى مهاوي الضلال . لكن شاعرنا يركن إلى
الهدوء والطمأنينة ، مسلماً بقضاء الله وقدره ، وداعياً إليه بقوله (١) :

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٧ .

فدع عنك أوهام الحياة فإنها
تضن وتعطي لا سخاء ولا بخلا
تعودت منها حربها وسلامها
ومارست من أخلاقها الجد والهزلا
فلم يطفني نجح ولا همدني أسي
وما نكثت كفى نسيجا ولا غزلا^(١)

ولخبرة السنوسي بالحياة بعد تجاربه المريرة فيها نجده حريصا على إفادة
أخيه المسلم بحصيلة تجربته ، حتى لا يكون فريسة سهلة لتقلبات الحياة .
ولذلك فهو يوجه إليه النصيحة ، حاثا إياه فيها على العمل الجاد ، وعدم
الاستسلام للصعوبات التي قد تواجهه فيها مهما كانت . يقول السنوسي
في ذلك^(٢) :

حياتك أن تلقى الحياة بهمة
تخوض الخضم العد والشمذ الضحلا^(٣)
وتبسم في وجه الزمان إذا قسا
وتشمي ولو كان الشرى زلقا وحلا

(١) نجح : النجاح ، ونكثت : نقضت .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٩ .

(٣) العد : الماء الثابت ، الشمذ : الماء القليل .

وإن كان شوك في الطريق إلى العلا
وحاولت أن تجتازه فالبس النعلا
فأنكد ما يلقاه فكر مهذب
غباء قوي يحقر العقل والفضلا
وأسعد ما تلقاه نفس من المنى
رضى باسم يستعذب الشمس والظلا
ويختتم السنوسي نصه هذا بالدعوة الجادة إلى الإيمان بقضاء الله
وقدره والقناعة بالرزق ، والتمسك بالدين لما له من أثر فعال في تجميل
الحياة في عيوننا :

فدع ليد الأيام غربلة القذى
فإن لها كفا تغربلها نخلا^(١)
ولذ بحمى الإيمان وأرض بما قضى
به الله واعلم أن حكمته أعلى
فللدين فضل في الحياة لأنها
بغير الهدى تغدو وجحيما به نصلى

(١) غربلة القذى : أي نخلة ، والقذى ما يقع في العين وماترمي به .

وثق أن من أعطى الحياة جمالها

وأقواتها لم يهمل الدود والنملا (١)

وفي نص آخر يعمق الشاعر إيمانه بقضاء الله وقدره ، محاولاً فلسفة قضيتي الفقر والغنى ، ومعرضاً ببعض المذاهب الغربية التي ترى أنها قد حققت المساواة بين الناس في كل الأمور لاسيما الرزق الذي يعتبر الدعامة الأساسية التي قامت عليها تلك المذاهب ، وذلك لارتباطه بقضيتي الفقر والغنى بين الناس .

والحقيقة التي لا ياباها العقل المستنير « أن محاولة التسوية بين الناس في كل الأمور من ضروب المستحيل لأن الفوارق بين الناس في نعم الدنيا أمر حتمي وسنة من سنن الوجود ، وطبيعة الخلقة والتكوين ، وأي محاولة تبذل لإيجاد تلك التسوية بأي وسيلة وعن طريق أي مذهب من المذاهب البشرية سيكون مصيرها الفشل الذريع لمعارضتها للسنن الكونية وللنظام الذي اختطه خالق الكون له » (٢) .

يقول السنوسي مخاطباً همومه ، ومعرضاً ببعض المذاهب الغربية (٣) :

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٦٠ .

(٢) الإسلام في شعر حمام ، د. طاهر عبداللطيف عوض ، ط (١) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ص ١١٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٧٥٥-٧٥٦ .

يا هموم الحياة إن فؤادي لا يباليك فاقصري أو تمادي
 إنني في سكينه من هدى الـديـن من ونور اليقين ذخري وزادي
 كتب الله لي حياتي ورزقي فتنحي يا فلسفات العباد
 من شيوعية يصير بها الإنـسان ترسا في آلة الحداد
 رأسمالية يزيد بها الإنـسان بؤسا في سعيه لازدياد^(١)

ويفصح عن إيمانه بالله ، ويعرض لقضيتي الفقر والغنى ، ليصل في

نهاية المطاف إلى حقيقتهما ، فهما امتحان من الله لعباده :

أنا آمنت بالذي خلق الكـو ن وما فيه من هدى أو فساد
 خالق الليل والنهار ومنشي ناصر الزهر في الصخور الصلاد
 ما الذي يأكل الغني إذا جا ع سوى الخبز وهو في كل واد
 والغنى في يد الغني امتحان هو من هوله على ميعاد
 وكذا الفقر للفقير ابتلاء سوف يجزي به كريم الأيادي
 فلماذا هذا التهالك والدنـيا يا خيال أو رؤية في رقاد^(٢)

(١) جاء هذا البيت في ديوان الشاعر على النحو التالي :

ورأسمالية يزيد بها الإنـسان بؤسا في سعيه لازدياد

وبقاء الواو في بداية الشطر الأول يجعل البيت مكسوراً.

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٥٦-٧٥٧ .

ويتجلى إيمان السنوسي بقضاء الله في تسليمه بحتمية الموت دوغما تبرم أو سخط ؛ وذلك لعلمه بأن الحياة الدنيا مسافة سيجتازها الإنسان في رحلته فيها ، طالت به تلك الرحلة أو قصرت ، وأن الموت هو النهاية الحتمية لكل حي في هذا الكون عدا الله - سبحانه وتعالى - نلمس ذلك في قوله (١) :

كلنا رائح على الموت غادي وعيون القضاء بالمرصاد
ومجاز هي الحياة فسيا ن مخب أو سائر في اتقاد
سائق الركب غير ناء عن الركب ولا حائد عن الركب حاد
نحن والدهر والمقادير والأيام أنضاء حلبة وطراد
سنة لم تدع لقلب مريض شبةا في حقيقة الميعاد
ويؤكد إيمانه ذاك بقوله (٢) :

فلما تبينت الحقيقة لم أجد

ملاذ سوى ما سنه الله والشرع

إلى الله إننا راجعون وكلنا

سيذهب لا فرد سيبقى ولا جمع

(١) شعراء الجنوب ، ص ٩٦ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٦٠٠-٦٠١ .

أبا حسن ما العمر إلا مسافة

من المهد حتى اللحد غايتها القطع

فالسُنوسي في هذه الأبيات وفي سابقتها يطلعنا على النهاية التي تنتظرنا ، فكل حي - عدا الله - له مدة مقدره لا يموت حتى يستكملها ، وهذه الحقيقة من شأنها أن تعطي « النفس المؤمنة الرضى والطمأنينة ، وتزع منها روح القلق المزعج والرعب المدمر ، طالما أن الموت أمر قدره الله على الجميع ، لا يستثنى من ذلك أحد مهما كان ، وهذا يجعل الإنسان المسلم متصالحاً مع نفسه ومع الحياة ، بل ومع الموت نفسه مادام أنه قانون إلهي أراد الله وقدره » (١) .

ومما يتعلق بالعبقيدة الإسلامية وأسسها في شعر السنوسي إيمانه باليوم الآخر؛ حيث البعث والنشور والمحاسبة على الأعمال . نلمس ذلك الإيمان في دعوته الموجهة إلى أخيه المسلم ، حاثاً إياه على الإكثار من الأعمال الصالحة ، فيها وحدها يتفاضل الناس في ذلك اليوم (٢) :

أخي إنما الإسلام بر ورحمة وعطف له في راحتك عبير
ودنياك جسر في الطريق إلى الهدى ففكر إلى ماذا غدا ستصير

(١) الحياة والموت في الشعر الأموي، د. محمد بن حسن الزبير، ط (١) ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م،

فقدم إلى أخراك ماشئت إنـه
 تعلمنا الدنيا فتنسي دروسها
 حماقة طبع آدمي وغفلة
 مضت منذ قارون بنا وحياتنا
 وأنت ملاق كل شيء عملته
 كأننا نسينا الموت وهو حقيقة
 لظي جاحم أو نضرة وسرور^(١)
 ونلهو وعند الإمتحان ثور
 تعاقب أجيال بها وعصور
 تدور على أهوائها وتسير
 جزاء وفاقا والحساب عسير
 لها غدوات بيننا وبكور

ونختم وفتتنا مع شعر السنوسي المتعلق بالعقيدة الإسلامية ، بإيراد

أبيات متفرقة ، تفصح عن عمق إيمان السنوسي بالله ، وصلته الوثيقة به
 عند كل أمر يحزُّ به ، نلمس ذلك في توجهه إليه دون غيره بالدعاء عندما
 أسلم للطبيب عينه لمرض أصابها :

يا إلهي أسلمت للطب عينـي وأنت الطبيب فالطف بعيني^(٢)

وتوجه إليه بالدعوة ، طالباً منه المغفرة ، وإمداد الحياة بالنور

والطهر^(٣) :

رب إنني ظلمت نفسي فغفرا نـك ربي إنني مقر وذاعن

رب إن الحياة زاغ بها السيـر وحادث فاشدد عراها وطامن^(٤)

وأثر بالضياء والطهر مسـرا ها وزحزح عن سيرها كل مائن^(٥)

(١) جاحم : الشديد الحر .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٤٨ .

(٤) حادث : عدلت ، وطامن : سکن .

(٥) مائن : كاذب .

فلأنت العظيم حقا وصدقا عالم بالذي يكــــون وكائن

٢ - الشعر المتصل بالإسلام ورسالته

الدين هو الدينونة والخضوع لذات غيبية علوية مقدسة ، وشأن المتدين أنه يطلب وراء كل حس معنى يخشع لمعبوده ويسجد لعظمته بحركة نفسية تحمل التقديس والإجابة (١) .

« والإسلام هو الصورة الكاملة للإعتقاد الديني ، فهو إسلام الوجه والضمير لله وحده تعبداً وتلقياً ، وهو منهج حياة كاملة ، شاملة ، نزل به الوحي على قلب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - آيات بينات أخرجت الجزيرة العربية بعد أن كونت مجتمعها الإسلامي الأول ، من عزلتها وفرقتها ، فحملت رسالة الإسلام إلى العالم فحررت أقطاره من العبودية لغير الله وأسقطت عروش الظلم والطغيان ، وركزت قواعد نهضة ربانية ما لبثت أن نشرت ألوية الحضارة والثقافة في أرجاء العالم ، فضمت إلى رسالة الهداية الإلهية رسالة التبشير الحضاري في زمن كان العالم الأوروبي يزرع في ظلام الجهل فاستنار بضياء حضارتنا وتحركت فيه

(١) الدين ، محمد عبدالله دراز ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م ، ص ٣٦ - ٣٧ «بتصرف» .

بواعث النهضة بوفود تلامذته على دول الأندلس وبلاد الشرق، ومن ثم عن طريق الحروب الصليبية والبعثات المختلفة» (١).

ودار الزمان دورته، واستنام الشرق وشعوبه الإسلامية إلى ضربات التاريخ العنيفة وتقلبه، وحكمه ملوك وسلاطين كانوا يمثلون روح التأخر والرجعية والجمود، فنسي المسلمون مبادئ دينهم الصحيح، وغشيتهم نعاسة الجهل والجاهلية، واستباحوا لأنفسهم ألواناً وضروباً من حياة هي أقرب إلى غرائز السائمات وسكونية الجماد... إلى أن تفتحت العيون ذات صبيحة على شعاع فجر أليم تحت ضربات جيوش الاستعمار وغزواته الحديثة التي أفاق على أثرها وجدان الشعب الإسلامي، وأخذ يتلفت يمينه ويسرة، لكي يرى استباحة الأرض، وإراقة الدماء، واستعباد النفوس (٢).

ولم يكتف المستعمرون بذلك؛ لأن تلك الأمور التي سبق ذكرها لا تعدو أن تكون وسائل لتحقيق هدف أسمى لم يأل الغربيون جهداً في سبيل تحقيقه، وهو محاولة استئصال العقيدة الإسلامية من جذورها، وإحلال مذاهبهم وفلسفاتهم الهدامة محلها كبديل صالح للحياة المعاصرة، وقد

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية، محمد عادل الهاشمي، ط (١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص: ١٤٠.

(٢) الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر، د. محمد علي أبوريان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٣ «بتصرف».

وجدت تلك المذاهب والفلسفات الغربية من يروج لها بين ظهرانينا بدعوى أن «الدين يحارب التقدم ويدعو إلى الجمود»^(١) متكئين على مقولة ماركس: «الدين أفيون الشعوب»^(٢) ومقولة لينين: «إن الدين مخدر للشعوب مؤخر لها عن النهوض والكمال»^(٣).

وهذه المقولة إن صدقت على بعض الديانات التي شهدها العالم فإنها لاتصدق على الإسلام، ولكنها وجدت المناخ الملائم، والأرضية الهشة التي ساعدت على احتوائها، وحتى تعود الأمة الإسلامية إلى رشدتها «كان لابد من حركة إحياء وتوعية لفهم آفاق الدين الإسلامي ورسالته باعتباره المكون لشخصية الأمة والشائد لبنيانها الأصيل»^(٤) فانطلقت الحركات الإصلاحية لتشمل أقطار العالم الإسلامي، وواكب الشعر تلك الحركات، ولم ينقطع مده حتى بعد اختفاء تلك الحركات وانتهائها، حيث ظل الشعراء المتزعمون يؤدون واجبهم على أكمل وجه، وسيظلون كذلك مادامت الخصومة بين الكفر والإيمان قائمة .

(١) رسالة الشعر في خدمة الدعوة وحركات الإصلاح، د. عبدالرحيم محمود زلط، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٣ ص ٢٢٠.

(٢) الإسلام ومبادئ نظام الحكم في الماركسية والديمقراطية الغربية، د. عبدالحميد متولي، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٦م، ص: ٣٢٢.

(٣) هذا هو الإسلام، محمد عبدالقادر العماوي، القاهرة، دار الفكر الحديث، ١٩٧٣م ط(٣) ص: ١٣-١٤.

(٤) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية، ص ١٤١.

ولشاعرنا قصائد عدة في هذا المجال ، تدور أغلبها حول الإشادة بالرسالة الإسلامية، والدفاع عنها ، والدعوة الجادة إلى اعتناقها، واهتم في بعضها باستطلاع آفاقها العبادية ، ممثلة في بعض الشعائر الإسلامية : كالصلاة ، والصوم والحج .

(1) الرسالة الإسلامية :

أفاض شاعرنا في الإشادة بالرسالة الإسلامية ونورها الذي انبثق عنها ؛ ليهتك أسمال الجاهلية البالية في صورها المتعددة ، معلناً العدالة والرحمة والمساواة، ودافع عنها أمام كل من حاول النيل منها ، ودعا إليها ؛ لأنها الرسالة الوحيدة التي تسعى لخير الإنسانية جمعاء ، في كل زمان ومكان ، دون التفات إلى لون ، أو جنس ، أو لغة ، أو نسب .
وقد اهتم السنوسي في إشادته بالرسالة الإسلامية ببيان الأثر الذي أحدثته نورها المنبعث من الجزيرة العربية في الحياة بأسرها ، حيث يقول (1) :

لمعت على الوادي المقدس شعلة تركت دجى الدنيا نهاراً مسفرا
مست شرارتها الحياة فأشعلت مثلاً أشف سنا وأكرم جوهرها
هزمت أشعتها الظلام وزلزلت (كسرى) وراء الخافقين و (قيصراً)

(1) الأعمال الكاملة ، ص ١٦-١٧ .

طلعت على التاريخ وهو سخافة كبرى تخط به الخرافة أسطرا
العنصرية تستبيح كيـانـه وشوائب التمييز تخزمه برى^(١)
وشريعة الغابات تتظم الدنا والحق مطلول الدماء مهدرا^(٢)
ويواصل الشاعر إشادته بالرسالة الإسلامية وبالذور الذي نهض به
مبلغها عن ربه، حين شرع - منذ البدايات - يدك صروح الظلم والطغيان
بواسطة ذلك النور الذي حملة ودعا إليه ، لتنقشع بفضل الغياهب ،
ويهتدي به الضالون في مهامه الحياة ودروبها المظلمة ، محققاً المساواة بين
العباد ، فلا رئيس ولا مرؤوس ، ولا سادة ولا عبيد ، ولا غني ولا فقير .
فالكل تحت ظلها سواء ، تتم المفاضلة بينهم عن طريق التقوى والأعمال
الصالحة ولا شيء سواها .

يقول السنوسي في ذلك^(٣) :

فإذا ابن عبد الله يرفع صوته

ويدك ما شاد الضلال وسورا

في دعوة كالشمس ساطعة السنا

تهدي الضليل وترشد المتحيرا

(١) تخزمه برى : أي تشكبه ، والخزامة : بره ، حلقة تجعل في أحد جانبي منخري البعير .

(٢) مطلول : الطل : هدر الدم ؛ وقيل هو : أن لا يثار به أو تقبل ديته .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٧-١٨ .

الفضل للأعمال في دستورها

لا للمناصب والمناسب والثرا

وإذا البرية تحت ظل لوائها

إسلامها القربى وتقواها العرى^(١)

أم تؤلفها العقيدة نسبة

ومن العقيدة ما يفوق العنصرا

ويمضي في حديثه عن الرسالة الإسلامية ، يجلي قيمها ومبادئها التي عملت على إرساء دعائمها وترسيخها ، وهو في ذلك يتجاوز مجرد الإشادة بها ليدفع عنها سيل التهم الموجهة إليها ، عن طريق طعنه في المذاهب الغربية الوافدة ، التي خططت لهدم العقيدة ومحوها من الوجود . يقول السنوسي مؤكداً أن الإسلام هو دين العدل والمساواة ، وأنه النظام الأصح للحياة والأحياء في كل زمان ومكان^(٢) :

والعدل في نظم الإسلام قاعدة

قوية تتحدى كل تيار

إن المبادئ والأهداف واضحة

للمؤمنين وليست هذر مهذار

(١) العرى : الواحدة : عروة ، وهي ما يوثق به .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٣١٣ .

والله لو عرف الإسلام معرفة

نقية من أضاليل وأوضار^(١)

لما ارتضى غيره حكما لدولته

من بات يخبط في ظلماء معصار

وتتضح تلك المبادئ والقيم التي أرسى دعائمها الإسلام أكثر مما

تتضح في عالميته التي تجاوزت حدود المكان والزمان ، لتشمل عالمي الجن

والإنس ، محققة مبدأ المساواة بينهم . نلمس ذلك في قوله (٢) :

رسالة لم تكن للعرب بل نزلت للعالمين بلا حصر ولا عدد

فكل من أعلن التوحيد معترفا بالله ريبا بلاندا ولا ولد

فإنما هو مننا لا يفرقه عنا لسان ولا لون على جسد

ويواصل السنوسي دفاعه عن الإسلام ورسالته ، مبينا حاجة

الإنسانية له ؛ لأنه بالنسبة لها كالزمام للدابة ، حيث يعمل على توجيهها

وهديها في دروبها المتشعبة . تجد ذلك في قوله (٣) :

هو الزمام وما الإنسان ليس له

دين سوى حيوان سائب سرب^(٤)

(١) أوضار : أوساخ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥١٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٣١ .

(٤) الزمام : المقود ، وسائب : سيب الشيء : أي تركه يسير حيث يشاء ، وكل دابة تركتها

وسومها ، فهي سائبة . وسرب : السرب : الذاهب الماضي .

وسوف يبقى هدى الإسلام متصراً
على الطواغيت والإلحاد والريب
وكل إفك وبهتان يراد به
محو الحقيقة لا ينجو من العطب (١)

ويؤكد أن الدين ظل الله في ملكوته ، وأنه من تمام نعم الله على عباده ، وصورة من صور رحمته بهم ، فهو الطريق الموصل لرضائه عنهم ، معرضاً بالماركسيين ومن لف لفهم وسار على دروبهم في افتراءاتهم واتهاماتهم للدين بأنه أفيون الشعوب .
يقول السنوسي في ذلك (٢) :

فالدين ظل الله في ملكوته والله بالإنسان جد رؤوف
من قال إن الدين أفيون الـورى فهو الشقي بعقله المخطوف
ويعرض بهم في نص آخر ، مؤكداً تمسكه بإيمانه بالله ، وبدينه الإسلامي ، تاركاً لهم تمسكهم بمذهبهم الذي سيؤدي بهم إلى الهلاك .
يقول السنوسي معتزاً بدينه (٣) :

فماذا ينقم الأعداء منا وماذا يدعون ويفتروننا

(١) إفك : كذب ، والعطب : الهلاك .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٠٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٥٤ .

سوى إيماننا بالله ربنا
أبوالإسلام يبنذنا الأعادي
وياالإسلام تشريعاً متيناً
كفى شرفاً بذلك لربيعونا
لنا إسلامنا ولهم هواهم
سواء كان (مركس)^(١) أو (لنينا)^(٢)
ثم يلتفت إلى الدعوة الجادة لاعتناق الدين الإسلامي ، ويحث على
العمل بتعاليمه قولاً وفعلاً ، واتخاذ منهجاً في الحياة ، نقضي آثاره ،
ونتهدي بأنواره .

يقول السنوسي موجهاً دعوته إلى أخيه الإنسان في كل مكان :

يا خليلي الدين نور القلوب وطبيب الحياة أي طبيب
لا تدع للأسى إلى قلبك الشفاف درياً ولا تلن للخطوب
كم رأينا وكم سمعنا فدع قلبك يرتاح من عناء عجيب

(١) هو مؤسس « الاشتراكية العلمية » ولد في مدينة ترير سنة ١٨١٨ م بألمانيا ، وفي السابعة عشر من عمره دخل جامعة بون الكريسمان وانتقل بعد ذلك إلى جامعة برلين ، ثم حصل على دكتوراة في الفلسفة من جامعة فيينا . انظر : الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ص أنيس منصور ط (٧) ١٩٨٦ م ، الزهراء للإعلام العربي من ص ٤٩-٥١ .

(٢) اسمه فلاديمير الليتتش أوليانوف ، وأصبحت شهرته لينين . ولد في مدينة سمريسك والتي تسمى الآن أوليانومسك تيمناً به سنة ١٨٧٠ . يعد المسئول الأول عن قيام الشيوعية في روسيا ، وهو تلميذ كارل ماركس ، يعد من أخطر الرجال أثراً في التاريخ . انظر ذلك في « الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ص من ص ٦٥-٦٦ .

ودع الفلسفات واستلهم الإيدمان وانضح به جفاف النضوب^(١)

ويعمق أثر الدين في حياة الإنسان ، مستعيناً في ذلك بمشاهد من الحياة ، يحسها الإنسان المدعو ويعيها . نقف على ذلك في قوله^(٢) :

أرأيت الزهور من غير ماء كيف تذوي وتنتهي للفناء
أرأيت الحياة من غير نور كيف تغدو في ظلمة عمياء
هكذا الدين إنه شعلة القلب بونبع الظمء في الصحراء
فاتخذه ركيزة وعمادا وضمادا لكل جرح وداء
(ب) الافاق العبادية :

لشاعرنا قصائد عدة عبر فيها عن مدى تعلقه بالشعائر الإسلامية ، جلى فيها خصائص تلك الشعائر وأفاقها ، ولم يتوقف عند ذلك الحد ؛ بل نراه في كثير منها يتخذها ميداناً لإراقة آلامه ، وبث آماله التي تنأى عن الذاتية وتتوجه إلى الجماعة ، وأعني بالجماعة أمتنا الإسلامية وقد تغشاها السبات العميق ؛ فتأخرت عن الركب ، ومناخاً ملائماً لمعالجة أدواء نفشت في مجتمعنا الإسلامي . وأول ما يصادفنا من تلك القصائد التي تدور حول هذا الجانب قصيدته (أذان الفجر) و«أذان الفجر بعد هدأة الليل

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٥٢ .

يشعل في النفس جذوة الإيمان ويشيع فيها الاطمئنان ويدفع بالفكر في مسارب الطبيعة لتأمل صنع الله الذي أتقن كل شيء» (١).

وهكذا كان السنوسي في وصفه لصوت الأذان ، وقد تعالى في هدأة الأسحار ، يشق ذلك السكون المطبق على الكون ، مرددة أصداؤه العذبة البطاح والأجواء ، زارعاً الطمأنينة في النفوس ، ماسحاً عن القلوب الكثيبة عناءها ، ساكباً الرضا فيها ، مشرعاً آفاق الكون لكل ذي لب وبصيرة وإحساس بالجمال ؛ ليتأمل كيف أتقن الله صنعه .

يقول السنوسي واصفاً تلك الدعوة ، واثارها في أحاسيسه ومشاعره (٢) :

ارتفاع الأذان فوق المآذن في انبلاج الصباح والليل ساكن
دعوة تحمل الحياة إلى الكون ن وسكانه قرى ومدائن
ونداء من السماء إلى الأرض ض إلى ظاهر عليها وباطن
ولقاء بين الملائك والإي مان والمؤمنين من غير آذن
وانطلاق إلى الفلاح إلى الخي ر إلى الحق والهدى والمحسن
ويواصل الشاعر رحلته مع ذلك الصوت ، واصفاً آثاره في الطبيعة

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، ص ١١٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٥ .

والنفوس ، متجاوزاً ذلك إلى أثره في الحياة بأسرها (١) :

كلما ردد المـؤذن لفظاً شعشع النور وانجلي كل غاين
 نغمات كأنها نسـمات رقرقتها خمائل وجنائن
 تغذى بها النفوس وترتا ح ارتياح الربى بقطر الهواتن
 تمسح الأرض من غبار الملاهي ودخان الهوى ولهو المقاتن
 كل حرف من لفظه كل معنى من معانيه يستثير الكوامن
 رددته منابر وقباب تتعالى ورجعتها ملاسن
 ويتجاوز أثر تلك الدعوة في الحياة إلى اللحظات التي تعقب صلاة
 الفجر فيجد فيها مجالاً للتأمل في بديع صنع الله ، وفسحة للاستمتاع
 بجمال الطبيعة البكر وهي تستقبل يوماً جديداً . يقول السنوسي في
 ذلك (٢) :

أذن الفجر يا فؤادي ولاحت قسـمات الضياء فاسمع وعـاين
 وتأمل روى تشف ودينا تتجلى سـررائر وعلاين
 أشـرقت فامحى الظلام وزالت كسـف من سحائب ودجائن
 وكما عاش السنوسي بأحاسيسه ومشاعره وبألفاظ تهمي عذوبة مع
 أذان الفجر - تلك الدعوة الإلهية الموجهة لعباده كي يؤدوا واجباً عليهم -

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤٧ .

عاش في تجربة حية موحية مع شعيرة أخرى ، ينتظرها المسلمون في كل زمان ومكان ، يحدوهم الأمل في أدائها على أكمل وجه ؛ حتى ينالوا رضا الله وغفرانه ، وتلك الشعيرة هي صيام شهر رمضان . ولرمضان مكانته في نفوس المسلمين حيث فضله الله على سائر الشهور ، وشرفه بأن نزل كتابه العزيز فيه ، وفيه ارتفعت راية الإسلام خفاقة يوم بدر الكبرى .

وشاعرنا في رحلته الوجدانية مع هذه الشعيرة يتجاوز-كعادته - وصف أثرها في النفوس ، إلى معالجة بعض الأدواء المتناثرة في مجتمعه الإسلامي الواسع .

يقول شاعرنا مخاطباً شهر رمضان خطاب المؤمن الراغب والمؤمل في نشر العدل والاسلام والأمن والإيمان في هذا العالم المترامي الأطراف^(١) :

ملك الشهور وسيد الأيام	رمضان يا إشراقه الإسلام
يا نفح أرواح زكت ومشاعر	رقت ونبع تسامح وتسام
رفرف على الدنيا باجنحة الهدى	وامنح عوالمها ندي سلام
وانضح على أكبادها وقلوبها	روح الصفاء ورقة الأنسام
وأتر بنورك وهو نور قداسة	وضياء مرحة كثيف قتام ^(٢)

(١) مجلة المسلمون ، العدد (٣٨) في ٢٥/٩/١٤٠٢ هـ.

(٢) القتام والقتم : الغبار .

ويصف فرحة المؤمنين بحلول هذا الشهر الكريم ، وتغير أحوالهم فيه ، بقوله (١) :

تتهلل الدنيا بوجهك طلعة وتفيض بالإحسان والإنعام
وتشف فيك الكائنات نقاوة فكأنها روح بلا أجسام
وتجوع فيك من الخطايا أنفس تخمت شهوتها مدى الأيام
وتموت من أخلاقها وطباعها روح التكالب والسعار الطام (٢)

ويناشد هذا الشهر أن يساهم بروحانيته في طمس بعض الأدواء الاجتماعية ، وتطهير أرواح الناس من الشوائب العالقة بها قائلاً (٣) :

رمضان إنك للقلوب حبيبها وطبيبها في حكمة ونظام
دعنا نجوع من الوضاعة والخنى والزور لا من شربة وطعام (٤)
واغسل (بفرشاة) الطهارة ألسنا سودا من الأدران والأوهام
وكما استوقفه أذان الفجر بألفاظه العذاب ، شاقا أسمال الليل ،
ورمضان بروحانيته ، استوقفه الحج ومنظر الحجاج وقد أقبلوا من كل فج

(١) مجلة المسلمون ، العدد (٣٨) في ١٤٠٢/٩/٢٥ هـ.

(٢) السعار : شدة الجوع .

(٣) مجلة المسلمون ، العدد (٣٨) في ١٤٠٢/٩/٢٥ هـ.

(٤) الوضاعة : الذل والهوان والدناءة ، الخنى : الفحش في الكلام .

مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾^(١) مهللين مكبرين ، طامعين في مغفرة المولى عز وجل ، ومليين نداء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا ﴾^(٢).

و « للحج ميزة فذة بما يحمله من دلالات ومعان جادة ؛ لأنه رحلة وجدانية يتخلى فيها المستجيب للنداء الأزلي عن الأهل والمال والوطن ، ينحدر في الوهاد ، ويعلو النجاد . . . متطلعاً بشوق إلى تلك البقاع الطاهرة ، والفجاج الزاهرة »^(٣).

والسنوسي شاعر رقيق الشعور ، رفيف الحس ، سريع الاستجابة لدواعي الشعر ، فقد أيقظت مشاعره ، واستدرت عواطفه تلك الوفود التي سارعت بتلبية النداء ، وتلك الوحدة المنسجمة بين المسلمين في الغاية والهدف ، فانطلق خياله سابحاً في آفاق مفعمة بالإيمان والحب ، معبراً عن ذلك الموقف الخالد ، وتلك المشاهد الحية^(٤) :

(١) سورة الحج : الآية ٢٧ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٣٧ .

(٣) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص ١٣٠ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤٨ .

في مثل هذا اليوم من كل عام
يزدهر الحجر ويزهر المقام
مقام إبراهيم سامي الخطا
وحجر إسماعيل نعم الغلام

ويسترسل في وصف تلك المشاهد المليئة بالحياة والحركة ، مشيراً إلى
عظمة الإسلام الذي ألف بين تلك القلوب ، ووجد غايتها وهدفها في هذه
الحياة^(١) :

أخلصت التوحيد واستسلمت لله رب الكون رب الأنام
تملاً بالتكبير قلب السما على اختلاف في اللغى والكلام
تطوف أو تسعى إلى غاية واحدة في السعي والاستلام
وحدها الإسلام دين الهدي والحق والإيمان دين السلام
ويصف الحجاج في ذلك الموقف الرهيب وقد تجردت أرواحهم من
شائبات الهوى ، وأعلنت حبها المحض لربها ، في جو تسمو فيه الروحانية ،
وتتضوع منه نفحات الإيمان الصادق^(٢) :

تجردت من شائبات الهوى أرواحها وانطلقت من حطام^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص : ٤٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ص : ٤٥١ .

(٣) حطام : المراد به هنا حطام الدنيا وهو : كل ما فيها من مال يفنى ولا يبقى .

يغمرها الإيمان في نشوة روحية تسمو سمو الغمام
تهيم بالله وتهفو جوى يا حبذا ذاك الجوى والهيام

٣ - استلهام التاريخ الإسلامي :

تاريخنا الإسلامي أسفار متلاحقة بالبطولات ونماذج التضحية والفتوة ، انبعث من بطحاء مكة المكرمة ، من قلب الجزيرة العربية التي كرمها الله بالأماكن المقدسة^(١) التي انطلقت من على ثراها قوافل تاريخنا الإسلامي في المسير ، متجاوزة ماجاورها من مناطق وبقاع إلى آفاق المعمورة .

خط الرسول - ﷺ - أولى صفحات ذلك التاريخ بشروعه في تبليغ قومه رسالة ربهم ، وتحمله في سبيل ذلك أذاهم وعتتهم وقسوتهم .
وعندما أحس - ﷺ - بصلاية أرض مكة ، وعدم صلاحيتها لاحتواء أنوار تلك الرسالة في بادئ الأمر ، توجه إلى طيبة الطيبة ، ومنها كانت البداية الحقيقية لتاريخنا الإسلامي ، حيث شرع الصحابة - رضوان الله عليهم - بقيادة الرسول - ﷺ - يكتبون ذلك التاريخ المليء بالبطولات والمفاخر ، بدءاً من الغزوات التي خاضها المسلمون في عهد

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ص : ٩٥ «بتصرف» .

رسول الله - ص - لنشر تعاليم الرسالة السماوية الخاتمة، التي ارتضاها خلق الكون لعباده؛ رحمة بهم، فكانت بدر، وأحد، ولخندق، وخيبر، ومؤتة، وفتح مكة، وحنين، وتبوك.

واستمر أولئك الرجال - بعد فقدهم لقائدهم - يكتبون تاريخنا المشرق بدمائهم الزكية.

ففي عهد الخلفاء الراشدين والعهود التي تلتها امتد خط الجهاد الإسلامي حتى وصل نور تلك الرسالة إلى أماكن ما كان له أن يبلغها لولا توفيق الله لجنده الأبرار، وصدق وإخلاص أولئك الجند لربهم ولرسالتهم التي حفزهم نشرها إلى الدخول في معارك ضارية، لم ولن يهملها تاريخنا الإسلامي المزهري بها كاليرموك، والقادسية، وذات الصواري، وحنين، وعين جالوت وغيرها.

وقد وقف شاعرنا أمام هذا التاريخ الحافل بالبطولات والأمجاد - وقفة تنم عن إعجاب كبير، وحب عميق لأولئك الرجال الذين منحوا ذلك التاريخ - حتى يكتب على ذلك النحو - أرواحهم، وأراقوا في سبيله دماءهم، وتفصح عن ألم مريسي في أوردته ومكامن وجدانه، وهو يرى أحفاد أولئك الرجال قد شتتتهم الفرقة، وشقت عصاهم رغباتهم

الدونية الموقوتة، واستشرى الوهن في أجسادهم، وتغلغلت الذلة والمسكنة في أعماقهم، آخذة بمجامع قلوبهم، ففقدوا على إثر ذلك العزة التي كانت لهم ومعها المكانة التي ورثها لهم آباؤهم وأجدادهم.

وشاعرنا - من خلال وقفته مع تاريخنا الإسلامي، والتقليب في صفحاته - يسعى إلى إشعال فتيل الهمة في نفوس أبناء أمته، وبعث الروح التي خمدت في أجسادهم عن طريق إثارتها - تواق إلى صحوة تنقشع لها الغيايب التي لبدت سماء أمتنا الإسلامية، لتعود من جديد قوية مرهوبة الجانب، متصدية لبطش المستعمرين ومخططاتهم، ومحررة أراضيها التي وقعت في أيديهم، مكملة دورها الريادي في نشر تعاليم الرسالة الإسلامية، وتعمير هذه الأرض ومن ثم قيادتها كما كانت في سابق عهدها.

وإذا أجلنا النظر فيما استلهمه السنوسي من روائع تاريخنا الإسلامي، وقام بصياغته صياغة وجدانية مؤثرة - لوجدناه قد اهتم بإبراز جانبين من جوانب ذلك التاريخ الحافل بكل جميل، فوقف أمام أبطال الإسلام والمسلمين، ثم مع الأمجاد الإسلامية التي حققها أولئك الأبطال.

(١) من أعلام أبطالنا :

تاريخنا الإسلامي « ثري بشخصيات بارزة في كل مجالات الحياة ، فهناك أبطال معارك ، وأساطين سياسة ، ورجال حكم ، وعلم ، وقضاء ، وفكر ، ونماذج عدل ، وعناوين كرم ، وإيثار ، وأحلاس عبادة وزهد » (١) .

واهتمام شاعرنا بأولئك الأبطال « امتداد لاهتمامه بالإسلام عقيدة ومنهج حياة ، كما أن استدعاءه للصفوة من ذاكرة التاريخ بهدف ربط القارئ بالتاريخ الإسلامي في عصور ازدهاره ، ومن ثم يمكنه ذلك من تقديم أمثلة حية لناشئة الأمة لحملها على الاقتداء بهذا السلف الصالح ، ومحاولة تمثل حياتهم وأسلوب تعاملهم » (٢) تغذيه رغبة جامحة في نقل أمته - عن طريق استدعائه لتلك الشخصيات بمعطياتهم - « من واقع الهزيمة التي تعيشها على أيدي المستعمرين والإحباط والفرقة والتخلف والمهانة الحضارية إلى واقع أكثر إشراقاً وسطوعاً ونضارة . . . فيه الحرية والانتصار والحضارة ، ويستشعر فيه المسلم أنه صاحب كيان وذو قيمة ، بعد أن أصبح في هذا القرن مثل اليتيم على مأدبة اللثيم » (٣) .

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص : ٢١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٢١٧ .

(٣) محمد ﷺ في الشعر الحديث ، د. حلمي القاعود ، ط (١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ،

ص : ٢٠٣-٢٠٤ .

ولو عدنا إلى الشخصيات التي استدعاها في شعره لوجدناها شخصيات لها ثقلها في تاريخنا الإسلامي ، ويأتي في مقدمة تلك الشخصيات هادي البشرية وسيدها محمد - ﷺ - « النبي الذي صدع برسالة السماء فقاد أمته إلى طريق الهدى الرباني ، وحدها بعد فرقة ، وحرر فكرها وشعورها ، وانطلق بها أمة رائدة . . . قد حباه الله من رفيع الشمائل وكمال الخصال ما جعل منه برعاية الوحي إنساناً فريداً في مقومات شخصيته وخلاله ، لذا كان الاحتذاء بسيرة النبي - ﷺ - - يمنح من القوى المعنوية والطاقات الإنسانية ما يرقى بمستوى النهضة والقيادة» (١) .

وقد خلت قصائد شاعرنا التي حلق فيها مع آفاق الشخصية المحمدية ، من المزالق التي شوهدت جانباً كبيراً من المدائح النبوية عند بعض الشعراء في بعض الأقطار الإسلامية (٢) ، والسبب في ذلك راجع إلى «خلو المجتمع من المنازع الصوفية والعصبية ، وإلى أثر الدعوة الإصلاحية وحرصها على تنقية العقيدة مما يكدر صفوها» (٣) .

والتأمل في قصائده تلك يجد أن اهتمامه كان منصباً على الإشادة

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، ص : ٤٧ .

(٢) كدعاء الرسول ، والتوسل به ، وطلب النفع ، ودفع الضر ، ووصفه بما لا يليق به كما يفعل غلاة الصوفية وغيرهم .

(٣) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص : ١٦١ .

بالرسول - ﷺ -، وتجلية خصاله الربانية، وتصوير بطولته العظيمة،
وجهاده في سبيل الله .

ومن نماذج شعره في مدح الرسول - ﷺ - قوله (١) :

(محمد) خير خلق الله قاطبة

خلقا وخلقا على السراء والنكد

نديم (جبريل) يسقيه فما لقم

(وحيا) يرتله شاد إلى غرد

ويصور حرصه - عليه الصلاة والسلام - على هداية الناس إلى

الصراط المستقيم، والطريق الحق، وصبره على كل ما يواجهه في سبيل

تحقيق تلك الغاية، في قوله مستلهما موقفه مع كفار قريش (٢) :

ظلت تناصبها البغضاء معلنة

رجال مكة في حقد وفي حسد

وأحمد المجتبي يرجو هدايتهم

يزداد ودا ويزدادون في اللدد (٣)

ويجد في موقفه - ﷺ - من محاولات كفار قريش المتلاحقة لثنيه

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥١٦ .

(٢) المصدر السابق، ص ٥١٧ .

(٣) اللدد : الخصومة الشديدة .

عن مواصلة دعوته إلى عبادة الله وحده، وثباته - عليه الصلاة والسلام - على موقفه - ما يقوي من عزيمة أبناء أمته ، ويرفع من روحهم المعنوية في مواجهتهم لأعدائهم المتربصين بعقيدتهم الإسلامية ، ساعين إلى طمس معالمها ، واستئصالها من جذورها .

يقول السنوسي واصفاً ثبات الرسول - ﷺ - (١) :

رسموا خطة القضاء على النور وهبوا كالزعزاع الهوجاء (٢)
والرسول العظيم كالطود إيماناً ناو كالنجم في السنا والسنا
يتحدى قوى الضلال بقلب عامر باليقين والأضواء
ويجلي عمق إيمان الرسول - ﷺ - بخالقه ، وثقته في عطفه
ورحمته ، ونصره له ، في قوله مستلهما الحديث الذي دار بينه وبين
صاحبه في الغار (٣) :

يا صاحبي لا تخف الله يحرسنا

بلطفه ولطف الله أسرار

من علم العنكبوت النسج تحكمه

على فم الغار نسجاً فيه إمرار

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦٣ .

(٢) الزعزاع الهوجاء : الريح الشديدة التي تقلع البيوت .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

وسخر الطير تبني العش جائمة

نزق أفراخها فيه وتمتار^(١)

الله والله لا تخفاه خافية

وليس يعجزه مكر ومكار

ومن الشخصيات الإسلامية التي وقف عندها شاعرنا شخصية أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - وقد حملت لنا تلك الريقة روحه المعجبة بمواقف تلك الشخصية البطولية في حياة الإسلام والمسلمين ، مركزاً على أهم تلك المواقف والذي يكمن في تصديه للمرتدين عن الإسلام بعد وفاة الرسول - ﷺ - ، وأثناء فترة خلافته .

يقول السنوسي في ذلك (٢) :

يا (ثاني اثنين) إن الدين في خطر

وأنت للدين منذ أسلمت نصار

هذا (مسيلمة الكذاب) في نزق

وذا (طليحة) أفاك ونعار^(٣)

(١) نزق : تطعمها بفيها . تمتار : تمتد .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٧ .

(٣) نزق : النزق : الخفة والطيش والحمق ونعار : أي عاصي .

وذِي (سجّاح) وهذا (مالك) وهما
في كَلِمَا دبرا طبل وزمار
ثبت للخطب لم ترهيك نائرة
ولا هفابك أوغاد وأغرار
وقلت قولتك الغراء ترفعها
كالسيف في وجه من خاروا ومن ثاروا
والله لو منعوني جبل راغية
قاتلتهم ليس إلا ذاك إقرار
الدين كل وليس الدين تجزئة
بعض صحيح وبعض منه أصفار
يا للوديع الرقيق القلب أين مضت
تلك الوداعة فهو اليوم جبار !
أعدت للمسلمين الفجر مبتسما
من بعد ما كاد يحو الفجر فجار

ويواصل شاعرنا تقديمه لبعض الشخصيات المؤثرة في حياة الإسلام
والمسلمين ، فيتوقف هذه المرة عند شخصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -
رضى الله عنه - مشيدا بألمعيته، ومشيراً إلى شدته في الحق، وبعد نظرتة،
حيث يقول^(١):

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٢٢ .

العبقري الذي يخشى صرامته

(إبليس) أنى مشى في السهل والجلد^(١)

الملمم الألمي الذهن تحسبه

من الذكاء يرى الأشياء من صدد^(٢)

ذو (درة) ما رآها قط ذو أسر

إلا ارعوى ولو استعلى بعرق عدي^(٣)

ويستلهم بعض المواقف التي خلدها تاريخنا الإسلامي للخليفة الراشد علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - مبتدئاً بمببته في فراش الرسول ﷺ - ليلة الهجرة ، ثم بجلاء موقفه - رضى الله عنه - من الأحداث التي حفلت بها فترة خلافته^(٤) :

فكان ما كان وامتمدت يدا بطل

(مكرم الوجه) عبل الزند والعضد^(٥)

(١) الجلد : الأرض الصلبة .

(٢) صدد : قرب .

(٣) أسر : القوة والحبس .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٢٣ .

(٥) عبل : ضخم .

(أبي الحسين) الذي ضحى بمهجته

(فدى النبي) المفدى ليلة الرصد^(١)

العابد الزاهد الأواب من خضعت

لقوة الروح فيه قوة الجسد

فقاوم الريح والأنواء مهتديا

بالحق لم ينحرف عنه ولم يحد^(٢)

سياسة الفضل والإيمان ليس لها

إلا الوضوح وإن كان الطريق ردي

وسار ضد قوى التيار في ثقة

بالله يحمي حماه من هوى ودد^(٣)

(١) كناه الشاعر: بـ(أبي الحسين) بدلاً من كنيته الأصلية (أبا الحسن) حتى لا ينكسر الوزن الشعري الذي جاء إطاراً لقصيدته التي منها هذا البيت .

(٢) الأنواء : جمع نوء ، وأصله : الليل في شق ، والمراد بها هنا : الأثقال .

(٣) الدد : اللهو واللعب .

ويشير إلى أهم أحداث فترة توليه أمر المسلمين قائلًا (١):

فكانت (الجمل) الشوهاء عاصفة

لم تبق ركنا ولم تترك عرى وتد

وشق (صفين) صف المسلمين إلى

صفين يضرب بعض بعض في حرد (٢)

ولم تنزل شعلة الإيمان في يده

حتى مضى فمضت محلولة العقد

ونتوقف في نهاية جولتنا ، مع وقفات السنوسي مع أعلام المسلمين وأبطالهم العظام - عند عمر بن عبدالعزيز الذي يعد بحق المجدد البارِع الذي أعاد للإسلام رونقه وبهاءه المعروف عنه .

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(٢) حرد : الغيظ والغضب .

يقول السنوسي وقد أخذه العجب بتلك الشخصية الفذة (١):
ولاح في الأفق وجه في أسرته
يضيء إشعاع قديس وروح نبي
أهلا (أشج) بني مروان يا بطلا
سمت به سمعة الإسلام والعرب
ثم يصف حال أبناء الأمة الإسلامية في عهده قائلا (٢):
واستقبل الدهر عهداً لا نظير له
في كل ماسجل التاريخ من حقب
هديا وعدلاً وإيماناً ومرحمة
ووحدة صاغها الإسلام من ذهب
يمشون في ظلها الضافي وقائدهم
دين ينير خطاهم في دجى الدرب
يحدو سراهم ويشدو في مواكبهم
قرأنهم وحديث المصطفى العربي
نقية لم يشبها ما يكدرها
من التفاخر بالأعراق والنسب

(١) الأعمال الكاملة ص: ٥٢٦-٥٢٧.

(٢) المصدر نفسه ص: ٥٢٨.

إلى أن يقول (١):

أسطورة تلك لا والله بل بشـر

مشى على الأرض مشي الغيث في الجذب (٢)

قرأت تاريخه يومافرف فمي

شوقا لتقبيل ذاك العطر في الكتب

(ب) الأمجادومعارك الفتوحات الإسلامية:

يطوف شاعرنا في دروب أمجادنا التليدة عبر صور الفتوح والانتصارات التي مهرناها بقوافل الشهداء الأبرار، ففتحنا بها عيون البشرية على الهداية والنور (٣)، فيرى المسلمين الأوائل وقد دكوا أسوار فارس، وزلزلوا عرش قيصر، وانطلقوا يبلغون رسالة ربهم في كل أرجاء المعمورة:

وإذا تلکم الصحارى حديث الـ فرس والروم من قريب وناء
وإذا تلکم الجزيرة يمتدُّ سناها عبر الذرى والسماء

(١) المصدر نفسه : ص ٥٣٠ .

(٢) الجذب : القحط والمحل ، وهو نقيض الخصب .

(٣) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ص : ٩٧ « بتصرف » .

وإذا خالد وعمرو وزيد فلك دائر على الأجواء
يرسلون الضياء في كل أفق ويدأون كل سقم وداء
وينيرون بالعدالة والإسـ لام درب الحياة والأحياء
ويهيبون بالشعوب إلى الحق نقياً من دعوة الأعداء
حملوا مشعل العقيدة والإيـ مان والعدل والحيا والوفاء
ودعوا كل أمة تنشد الحق إلى كلمة وحكم سواء (١)
ويقف على ما شاده المسلمون في المغرب العربي في تلك الحقبة
الزمنية السالفة، والتي استطاع المسلمون فيها ذلك الصعوبات التي اعترضت
طريقهم وهم يحملون الرسالة الإسلامية، ساعين إلى نشرها :

على الشاطئ الرقراق في المغرب الأقصى

قرأت أحاديثا من المجد لا تحصى

مسطرة من عهد موسى وطارق

وعقبة لم تنصل شروحا ولا نصا

سواطع ملء البحر والصخر والذرى

تزيد اتلافا كلما زدتها فحفا (٢)

(١) الأعمال الكاملة ص : ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٦٢٤ - ٦٢٥.

ويعضي السنوسي مستلهماً الأحداث التاريخية ، قارئاً معالمها في كل زاوية من زوايا المغرب العربي ، وفي كل مظهر من مظاهره :

إذا غمغمت فيها الرياح حسبتها

سهيل جياذ تحمل العرب الخلصاً^(١)

وإن لاح قرص الشمس خلف جبالها

رأيت شعاع الفتح يحتضن القرصاً

تأملتها والذكريات يهزني

صداها كما تهتز أمواجه رقصاً^(٢)

ويستدعي - من ذاكرة التاريخ - الشخصيتين اللتين بنتا المغرب دينياً

وحضارياً، مستلهماً موقف طارق بن زياد ، عندما وقف في جموع

المسلمين خطيباً، بعد أن قام بإحراق السفن التي كانت بحوزتهم :

كأنني أرى موسى أمامي بخيله

وأسمع وثب الخيل والركض والقمصاً^(٣)

(١) غمغمت : الغمغمة والتغمغم : الكلام الذي لا يبين ، وقيل : هما أصوات الثيران عند الذعر ،

وأصوات الأبطال في الوغى عند القتال .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٦٢٥ .

(٣) القمص : يطلق على الخيل إذا استن أي : رفع يديه وطرحهما معاً .

ولمح المواضي والسفنين وطارق
يخوض عباب اليم واليم قد غصا
وخطبته كالرعد تقتحم الذرى
وإيمانه لا يعرف الخوف والحرصا
مآثر للإسلام وهاجاة السنا
قبايا وألبابا سوامق لا وقصا^(١)
وكم لهدى الإسلام في الأرض من يد
بها صفحت مستعمراً وورمت لصا^(٢)

ثم تبدأ تلك الصور في التلاشي، ويحل محل ذلك الفخر والاعتزاز بما كان للمسلمين من دور فعال في قيادة أم الأرض قاطبة - ألم طاغ، وحسرة مرة؛ لما آلوا إليه الآن من ضعف وهوان أفقدهم القدرة على المحافظة على أراضيهم، والتصدي لبطش المستعمرين .

يقول السنوسي متألماً من الحاضر الذي تعيشه أمته، مستحضراً صورة زاهية من صور ماضيها المشرق^(٣):

(١) الوقص : أي قصر العنق ، والمراد هنا : أن تلك المآثر عالية لا منخفضة .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٦٢٥ - ٦٢٦ .

(٣) المصدر السابق ص : ٤٨٠ - ٤٨١ .

هدأ الليل فاهدني يامشاعر
هدأ الليل وانطوت في دياجيد
ودعيني من الرؤى والخواطر
لم تعد مهجتي يرف هواها
به قلوب كليمة ونواظر^(١)
بات قلبي يحن شوقاً إلى الما
للحون المنى وعزف المزاهر^(٢)
أنا من أمة رعى الله ماضيها
ضبي وروحي تتن حزننا لحاضر
كان منها الهادي إلى الحق والحا
ها لقد كان جوهرأ من جواهر
كان منها محمد وأبو بك
مي حماه من كل طاغ وفاجر
وعلي وطلحة والثنسي
ر وعثمان والزيير وعامر
نفر كالنجوم إن أظلم الليل
وأبو حفص والشهيد ابن ياسر
ليس منهم إلا جواد وإلا
ل أضاءت بهم سماء المقاهر
فارس للفوارس الصيد قاهر
ويبلغ حزن الشاعر مداه وهو يرى أحفاد أولئك الأبطال وقد عانقهم
الذل على أيدي أعدائهم^(٣) :

كيف أضحى أحفادهم يا فلسطين
من صغاراً لا يأنفون الصغائر^(٤)
بردت في دمائهم نخوة العز وماتت تلك السجايا الحرائر^(٥)

(١) قلوب كليمة : جريحة .

(٢) المزاهر : واحدها مزهر : وهو الدف الذي يضرب به .

(٣) الأعمال الكاملة ص : ٤٨٢ .

(٤) صغاراً : الصغر والصغارة : خلاف العظم ، والصغائر : الآثام والذنوب .

(٥) نخوة : النخوة : العظمة والكبر والفخر ، والسجايا : واحدها سجية : الطبيعة والخلق .

ثم ييمم وجهه شطر الماضي هرباً من الحاضر الأليم ، مستلهماً بعض
المواقف البطولية التي صنعها رجال الإسلام الأوفياء ، ذاكراً بعض أسماء
أولئك الرجال الذين كانت لهم صولاتهم وجولاتهم في مسرح الأحداث
في مختلف فترات تاريخنا الإسلامي ، يقول السنوسي طالباً - لأولئك
الرجال والقادة - الرحمة إزاء ما قدموه للإسلام والمسلمين (١) :

رحم الله خالداً والمثنى وابن أيوب والفتى الحمداني
فلقد ضعضعوا قوى كل دهقا ن وعلج وأنقذوا كل عاني (٢)
حين كانت قوى الطغاة تهز ال أرض من فارس ومن رومان

٤ - الشعر المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين :

من الأمور المسلم بها أن لكل أمة من الأمم رصيدها الضخم الحافل
بالمعارف والأمجاد ، وأن ذلك الرصيد لم يولد فجأة ، ولم يأت من فراغ ،
وإنما كان ثمرة لسعي مضمّن وعمل دؤوب .

ولأن الحياة في تغير مستمر فإنه قد يترتب على ذلك التغير تراجع أمة
عن مكانتها ، وتقدم أخرى . وحتى تستطيع تلك الأمة - التي تراجعت عن
الركب وفقدت مكانتها - العودة مجدداً إلى سابق عهدها ، فإنه يتحتم
عليها الرجوع إلى ماضيها وتجاربها فيه ، ومحاولة الاستفادة مما حواه ذلك

(١) الأعمال الكاملة ص : ٥٦٨-٥٦٩ .

(٢) دهقان : الدهقان : رئيس الإقليم عند الفرس ، العليج : الرجل الضخم من كفار العجم .

الماضي بين صفحاته ؛ حتى تستند عليه في نهضتها المعاصرة باعتباره ركيزة أساسية ؛ ودعامة قوية ينبني عليه مجدها الآتي ، مع محاولة الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى، والإفادة من حضارتها.

وأمتنا الإسلامية واحدة من تلك الأمم التي فقدت مكانتها وتخلفت عن الركب، بفعل الفرقة والشتات، وجهل معظم أبنائها بتراثهم العريق، وانبهارهم بالحضارة الغربية التي كانت ثمرة من ثمرات حضارتنا الإسلامية التي امتدت في عصور القوة إلى أصقاع أوروبا . وحتى تعود أمتنا لتسهم أم الأرض من جديد فإنه يتوجب عليها العودة إلى تراثها ومحاولة الاستفادة منه، مع أخذ ما يفيدها من الحضارات الحديثة التي أسهم في وجودها ورقبها العلم الحديث بفروعه المختلفة.

ذلك لأن « إحياء هذا التراث ، وإيجاد الجسور بينه وبين الجيل الحاضر والأجيال التالية، يحقق معنى التواصل الإنساني في مسيرة الأمة، ويجعل من نهضتها بناء متماسكاً، ومتناسقاً، ومتمازجاً، كل حلقة فيه تفضي لما يليها، وكل عطاء فيه ركيزة لما فوقه، ومثل هذا الترابط في بنية الأمة بأفقه التاريخي، يجعلها مستعصية على شتى محاولات الاختراق الهدام، ويمنحها حصانة ذاتية تحول بينها وبين أية عملية تسلل غربية إلى كيانها، فتفسد تواصله، وتمزق روابطه»^(١).

(١) الغارة على التراث الإسلامي، تأليف جمال سلطان، ط (١) رمضان ١٤١٠هـ، أبريل

وقد أظهر شاعرنا - في شعره الذي اهتم فيه بإبراز هذا الجانب المشرق - مشاعر الاحترام والتقدير لحضارتنا الإسلامية وتراثها المنبثق عنها، وحرص على تبصير أبناء أمته بدور حضارتهم الإسلامية الرائدة، وإبراز الفوارق بينها وبين الحضارات الغربية الحديثة، وتوجيههم إلى بعث تلك الحضارة وتراثها، والاستفادة من معطياتها، مع أخذ ما يفيدهم من الحضارات الحديثة التي أسهم في رقيها العلم الحديث، بدلاً من تقليدها والانجراف في متاهاتها.

وأول ما اهتم شاعرنا بإبرازه في هذا الجانب دور الرسول - ﷺ - والرسالة الإسلامية في بناء تلك الحضارة، ومن ثم نشرها في الآفاق، والأسس القوية التي قامت عليها.

فعن دور الرسالة الإسلامية التي انبثقت أنوارها من جزيرة العرب في بناء تلك الحضارة، يقول شاعرنا (١):

من الجزيرة مهد العنصر العربي

ومولد النور والإيمان والكتب

توهجت سور القرآن وانطلقت

أضواؤها في مدار الشمس والشهب

(١) الأعمال الكاملة ص : ٥٢٥ - ٥٢٦ .

تبني الحضارة في الأفاق سامقة
بالعلم والفن والأخلاق والأدب
وترفع القيم السماء عالية
أعلامها من ذرى صنعا إلى حلب
وتطلق العقل من أسر القيود إلى
سر الرجود بلا خوف ولا رهب
بحشا وفحصا وتنقيبا وتجربة
عن الغوامض والأسرار والحجب (١)
حتى غدا الكون مفتوح الذراع لهم
بحراً وبراً وصخراً غير محتجب

ويبين دور الرسول - ﷺ - في نشر تعاليم تلك الرسالة التي حملت
إلى جانب الدعوة إلى عبادة الله أهم الأسس التي تبني عليها حضارات
الأمم، ويأتي في مقدمتها المساواة والمحبة والرحمة والعدل، يقول السنوسي
في ذلك (٢):

محمد رائد الدنيا وقائدها
إلى المحبة أجناسا وألوانا

(١) الحجب : واحدها حجاب وهو: الستر .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٣٩٤ .

شريعة كشعاع الشمس نيرة
الناس في ظلها كالمشط أسنانا
فأنت إليها شعوب الأرض واعتصمت
بحبلها وسمت أمنا وإيماننا

وعندما لمس اهتمام أبناء أمته بالحضارة الغربية ، وابتهاجهم بما توصل إليه الغربيون ، حرص على توجيههم إلى الاستفادة من الجانب المشرق فيها بدلاً من الانجراف في متاهاتها ، وتقليدها في زندقتهما وإلحادها ، يقول شاعرنا في ذلك مبدياً تدمره وحزنه (١) :

تفرق الجمع وانحلت شكيמתهم
وانهار إيمانهم بالله فانهاروا
نقلد الغرب إلحاداً وزندقة
ومن تحلله نجني ونشتار (٢)
ولا نقلده علماً وتقنية
ولا انطلقا له نفع وأثمار

(١) المصدر السابق ص : ٥٤٠ .

(٢) نشتار : نجني ، من شار العسل يشوره : اجتناءه من خلاياه ومواضعه .

ثم يدعوهم إلى الالتفات إلى تراثهم، والانكباب عليه، ودراسته دراسة جادة مستفيضة، ومن ثم نشره والاستفادة من معطياته في نهضتهم المعاصرة، قائلًا (١):

لقد هيئت أسبابنا وتدعمت وسائل نشر بالمعارف تزدان
وإن نحن فتشنا الكنوز وإنها لعمر العلا والمجد در وعقيان (٢)
ظفرنا بما لم يلحظ الدهر مثله ولا تحتويه في المتاحف حيطان
ويسترسل في دعوته لأبناء أمته وتوجيههم إلى الاهتمام ببعث تراثهم
العريق والاستفادة منه (٣):

أفيضوا على الأبواب من صحف العلى

روائع تهواها قلوب وأذهان

أفيضوا شأبيب العلوم زواخراً

لها القلب حقل والمشاعر وديان (٤)

أفيضوا شعاع الفكر يجلو حنادسا

تخبط سار في دجاها وركبان (٥)

(١) شعراء الجنوب ص: ٨٨-٨٩ .

(٢) در : واحده درة ، ، وهي : اللؤلؤة العظيمة ، والعقيان : الذهب .

(٣) الأعمال الكاملة ص: ٨٩ .

(٤) شأبيب : جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر وغيره .

(٥) حنادس : الخندس : الليل الشديد الظلمة .

فمن هاهنا رنت على الأفق صيحة

تنبه غاف من صداها ووسنان

ومن هاهنا شمس الهداية أشرقت

ومن هاهنا قناد السفينة ريان

وتشاء الأقدار أن يزور شاعرنا العراق ممثلاً لبلاده في وفد أدبي،
فجادت شاعريته بقصيدة استيقظ فيها حسه الحضاري، عندما انثالت عليه
رؤى الحضارة التي شهدها ذلك القطر، كما تراءت له جياذ المثني،
وسعد، والمقداد، ومنابر عدد من العلماء والأدباء والشعراء، ودنيا من
الزهو والمتعة والخلود.

يقول السنوسي واصفاً أشواقه لرؤية (بغداد) التاريخ والحضارة،
مستلهماً ذكرياتها الجميلة في حياة الإسلام والمسلمين والثقافة
والأدب (١):

حملت ملء فؤادي صبوة وهوى

إلى عبير الشذى من ورد بغداد

وجئت أملاً عيني من مآثرها

ومن مفاخر آبائي وأجدادي

(١) الأعمال الكاملة ص: ٧٦٩-٧٧٠.

وما بناه لها المنصور من قيم
ومن مناقب أعمال وأمجاد
وأستظل بأفـياء معطرة
تخضل بالسحر ملء الشط والنادي
ويوغل شاعرنا في ماضي بغداد المشرق، مستدعياً بعض
شخصياتها، ملمحاً إلى براعتهم وجهودهم كل في مجاله وميدانه (١):
عن المثني عن البدر بن حارثة
عن ابن ياسر عن سعد ومقداد
ويواصل استدعاءه للشخصيات المؤثرة في حياة بغداد قائلاً (٢):
عن النواصي عن الطائي عن نـفر
من الفطاحل كانوا زينة الضاد
عن جعفر (٣) عن أخيه الفضل (٤) عن غرر
أيامهم محض أعراس وأعياد

(١) المصدر السابق ص: ٧٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ص: ٧٦٨ - ٧٦٩ .

(٣) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، أبو الفضل (١٥٠ - ١٨٧ هـ = ٧٦٧ - ٨٠٣) وزير الرشيد العباسي ، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم . ينظر معجم الأعلام ، عبد الوهاب الجابي ، ص: ١٧٠ .

(٤) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (١٤٧ - ١٩٣ هـ = ٧٦٥ - ٨٠٨) وزير الرشيد العباسي ، وأخوه في الرضاع . ينظر معجم الأعلام ، عبد الوهاب الجابي ، ص: ٥٩٤ .

عن سادة قادة في كل مجتمع
لهم صدى بين أجواد وزهاد
ملء المحاريب من تقوى ومن ورع
ملء المنابر من شعور وإنشاد
ملء المحافل يهتز الندى بهم
ملء الجحافل من صيد وقواد (١)
أيام تعصم الدنيا بجمعتصم
وتهتدي بهدي المهدي والهادي

ومن مظاهر إخلاص السنوسي لحضارة أمته واعتزازه بتراثها دفاعه
عن لغتها أمام كل من حاول التقليل من شأنها، أو دعا إلى هجرها،
وإشادته بشروعتها، وقدرتها على احتواء المعارف الإنسانية التالدة منها
والطريف (٢) :

لغة ضاهت اللغات ففاقت لها حديثا وأعجزتها كتابا
بهرتها ترسلا خلب الألب باب منها وحيرتها اقتضابا
هي في مستوى البيان سماء جاء فرقانها يشع شهابا
أشرقت حولها (الحياة) وظلت مطمح الفكر منظرأ ولبابا

(١) المحافل : واحدها محفل : وهو مجتمع الناس ، والجحافل : الجيوش الكثيرة .

(٢) مجلة المنهل ، المجلد (٨) جمادي الثانية ، سنة ١٣٦٧هـ ، ص : ٢٥٥ .

خضلت بالرواء لفظاً وماست في حلاها كواعبا أتراباً^(١)
وسعت حكمة الدهور فصولا وزهت (بالعلوم) بابا فبابا
حكمت في اللغات دهرأ وكانت ملتقى دافق (الفنون) شبابا
وغدت منبراً ترف عليه نبرات العلا وتسمو خطابا

٥ - الشعر المتصل بالدعوة إلى الجهاد :

اجتاحت الأمة العربية والإسلامية في العصر الحديث عواصف عاتية، تمثلت في الحملات الاستعمارية الشرسة التي شنتها عليها معظم دول أوروبا، ساعية إلى توسيع رقعتها، والاستحواذ على الخيرات والنعمة التي تكتنزها أراضيها، إضافة إلى نشر مذاهبهم وفلسفاتهم الإلحادية الهدامة، والترويج لها بين أبنائها في محاولة جادة لطمس معالم العقيدة الإسلامية، واستئصالها من جذورها، وإحلال فلسفاتهم ومذاهبهم محلها كبديل صالح للحياة المعاصرة، كما سبق أن وضحنا.

ولم يكن الشعراء بمعزل عن تلك المعارك الدائرة في مختلف أقطار الأمة العربية والإسلامية، فقد أدركوا غايات المستعمرين، وأحسوا بجهامة الخطر المحدق بأممتهم؛ فشرعوا يبصرون أبنائها بذلك الخطر، حاملين لواء الجهاد بالكلمة، منددين بالاستعمار، مصورين فظائعه،

(١) كواعبا : الكاعب : الجارية التي نهد ثديها، وأتراباً : الترب : اللدة والسن، يقال : هذه ترب

هذه أي : لذتها.

مشعلين الثورة في حنايا أبناء أمتهم ضد المستعمرين ، ناشدين الحرية لإخوانهم المتضررين من ويلاتهم .

وشاعرنا واحد من أولئك الشعراء الذين أدركوا الخطر وحجمه ، فشرع - منذ البدايات - يدعو أبناء أمته إلى الجهاد ؛ دفاعاً عن أراضيهم ، وعقيدتهم ، وحرماتهم .

وقد سلك شاعرنا في دعوته للجهاد مسالك شتى : فتارة يعرض لنا صوراً دامية تحمل لنا - بصدق - ما يعانیه بعض أبناء أمتنا على أيدي المستعمرين ؛ وذلك لإشعال نار الثورة في حنايا أبناء أمته القاعدين عن خوض غمار الحرب ، ودفعهم إلى مشاركة إخوانهم في جهادهم لأعدائهم .

وتارة يتوجه إليهم باللوم والتقريع على تقاعسهم عن الجهاد ، مطالباً إياهم بالتخلي عن آمالهم في بلوغ ما يطمحون إليه عبر الطرق السلمية ، مؤكداً لهم أنه لا خلاص لهم إلا عن طريق الجهاد .

ثم نراه في بعض شعره يدعوهم إلى الجهاد ، ويحثهم عليه في صورة مباشرة ، مؤكداً لهم أن العصر ومنطقه يفرض عليهم ذلك .

وعندما يتفرض بعض أبناء أمته الواقعين تحت نير الاستعمار معلنين الجهاد ، حاملين السلاح والإرادة ، مزودين بإيمانهم بالله ، واثقين من نصره لهم ، طالبين من أراضيهم أن تقبل منهم أغلى ما يملكون : أرواحهم

ودماءهم ، وبقايا أجسادهم المتناثرة ؛ كي تغسل تلك الأدناس العالقة بها -
نجده يشد على أيديهم ، رافعاً من روحهم المعنوية ، محفزاً إياهم على
المضي قدماً في طريق الجهاد المقدس ، ثم محتفلاً ببعض الانتصارات التي
حققوها في مختلف الأقطار الإسلامية .

يقول السنوسي واصفاً ما يعانیه بعض أبناء أمته على أيدي
المستعمرين (١) :

هناك فوق ذرى (الأوراس) معركة
وقودها عزة الإسلام والشمم
والنار تلتهم الأرواح كاسحة
والأرض تقذف بالأشلاء والرم (٢)
والمسلمون الغيارى ييذلون دما
حرا يحررهم من ريقة الغشم (٣)
شبابهم وصباياهم وصببيتهم
في الريف والسيف والأكام والقمم (٤)

(١) الأعمال الكاملة ص : ٢٨٠-٢٨١ .

(٢) الرم : العظام البالية .

(٣) ريقة الغشم : أي قبضة الظلمة الغاصبين .

(٤) السيف : ساحل البحر .

يستقبلون المنايا في مشابرة
ذودا عن الدين والأعراض والحرم
والشكل واليتم والبأساء قائمة
في كل بيت على السكان منهدم
عارين إلا من الإيمان يشعلهم
حمية في صراع الظلم والظلم
ويلتفت إلى أمته - بعد عرضه لتلك المشاهد الدامية - متسائلاً عن
موقفها وأبنائها إزاء ما يحدث على بعض أراضيها (١):
كيف أصبحت وماذا تصنعين وإلى أي مكان تنظـرين؟
قد تساوى الشرق والغرب معاً ما الذي نرجو من المستعمرين؟
ويشتعل السؤال في عالم الشاعر ، مستكراً صمت أمته عما يحدث
على بعض أراضيها من قبل المستعمرين (٢):
أمتي قد (بلغ السيل الزبي) (٣) وبغى حتى على المستضعفين
أفما أن لنا يا أمتي أن نرد الصاع للمستهترين؟

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧١٦١) في ٢٩/١٢/١٤٠٢هـ.

(٢) المصدر نفسه، في ٢٩/١٢/١٤٠٢هـ.

(٣) بلغ السيل الزبي: مثل عربي يضرب لمن جاوز الحد، انظر ذلك في مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج (١) ط (٢) ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م، مطبعة السعادة بمصر،

وحتى لا تفقد أمته كل أراضيها - وهي منتظرة تدخل هيئة الأمم
ومجلس الأمن - نجده يدعو إلى الجهاد ، ويحث أبناء أمته عليه ، موضحاً
لهم حقيقة العصر الذي يعيشونه (١) :

إنه المنطق الأصيل لعصر مستريب يجفو الهدى والرشادا
لم يعد فيه للضعيف مكان بعدما أصبح القضاء مهادا
فإليه إلى الجهاد فقد أضد حتى قريباً ما كان ينأى بعادا
فإليه إلى الجهاد فلا والد له يحو الظلام إلا الجهادا
ويواصل دعوته إلى الجهاد ، حاثاً أبناء أمته على التضحية
بأرواحهم ، فداء لأوطانهم ، وحفاظاً على حرمتهم وأعراضهم من دنس
المستعمر ورجسه .

نقف على ذلك في قوله (٢) :

يا أخي يا أبا العروبة والإسلام سلام قم ننفض الأسي والحدادا
قم بنا نكتب البطولة بالدم زكياً فقد سئمنا المدادا
ثم نراه يوجه أبناء أمته إلى جهاد أعدائهم ؛ ليجددوا عزة الإسلام ،
مسترشدين في جهادهم بهدى القرآن الكريم (٣) :

(١) الأعمال الكاملة ص : ٤٩٣ .

(٢) المصدر السابق ص : ٤٩٠ .

(٣) المصدر السابق ص : ١١١ .

هزوا الجزيرة من أركانها حردا
وأشعلوا الشرق من أقطاره غضبا
ذودا عن الحق إيمانا بقـوته
من غالب الحق عدوانا به غلبا
واسترشدوا بهدى القرآن تنجدكم
عزائم صرع الباغي بها وكبا
وجددوا عزة الإسلام إن له
في جيد كل عظيم منة وحباً^(١)
إن الحياة جهاد والجدير بها
من غالب العاصفات الهوج والنوبا
وعندما تثور بعض أراضي أمته على مغتصبيها ، يبارك شاعرنا تلك
الثورة ، ويحتفل بما تمخض عنها من انتصارات .
من ذلك قوله واصفاً ثورة أبناء الجزائر على أعدائهم^(٢) :
تفجر واديها وفاضت جبالها
ودمدم بالموت الزوام سحاب

(١) حبا : الحب : القرط من حبة واحدة .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ١٨٨-١٨٩ .

وصاغت من (النير) الفرنسي صارما

عنت منه (للمستعمرين) رقاب^(١)

ويواصل وصفه لتلك الثورة محتفلا بما أسفر عنها من نصر مؤزر
لأبناء الجزائر على أعدائهم^(٢):

تصدعت الأسوار وانكدك حاجز

ومزق من ذاك الستار حجاب

مشينا على الألغام والشوك واللقى

وقدما سرينا والسيوف ركاب

وهبت على أرواحنا ونفوسنا

نسائم من فجر الخلاص رطاب

وبشت لنا الدنيا ندى وتهللت

وضاقت بأقدام اللصوص رحاب

٦ - الشعر المتصل بالدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية :

الوحدة العربية والإسلامية حلم استوطن أعماق الشعراء المسلمين ،
وأمل طالما تطلعت إليه أبصارهم ، وهم يرون أمجادهم التي شادها آباؤهم

(١) عنت : ذلّت وخضعت والنير : الخشبة التي تكون على عنق الثور بأداتها .

(٢) الأعمال الكاملة ص : ١٩٤-١٩٥ .

وأجدادهم تتهاوى على مرأى منهم ومسمع ، بينما يغطُّ أحفاد أولئك الأبطال في سبات عميق ، متمادين في إشعال نار الفرقة بانقساماتهم ، حتى أضحوا بدداً بعد طول اجتماع ، وأمست بلدانهم نهباً لكل من هب ودب ، وقد كانوا أولي عزة ومنعة .

ومما ساعد على تعميق ذلك الإحساس في عالم الشعراء الوجداني ، وحفزهم على الإلحاح في دعوتهم لتلك الوحدة - هبوب العواصف المدمرة التي اجتاحت الكثير من الأمصار الإسلامية ، والمتمثلة في الحملات الاستعمارية الشرسة من قبل الغرب على العالم الإسلامي .

ولو نظرنا إلى الشعر العربي الذي احتفل بهذه الدعوة ، نجد الشعراء فيه قد انقسموا إلى قسمين : منهم « من يريد لها جامعة العروبة الشاملة لكل من ينطق بلسان عربي دون نظر إلى دين أو طائفة أو مذهب ، وإنما تكون هذه الجامعة من مجموعة الأمم التي تضمها وحدة اللسان والجنس والعادات والتقاليد ، وهي بهذا المعنى أعم من الجامعة الإسلامية التي تضم كل من شهد أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فيدخل في الجامعة العربية المسلمون والنصارى دون نظر إلى تعدد النحل ، وتشعب المذاهب ، واختلاف الطوائف ، وهي أخص من الجامعة الإسلامية من ناحية أخرى ؛ لأنها تنفي غير قليل من الأمم التي تدين بالإسلام وليست عربية الأصل واللسان ، كإيران وأفغانستان والهند وكرديستان وتركيا وباكستان ومعتنقي

الإسلام عامة في أوروبا وفي غيرها...» (١).

وواضح من خلال هذا التقسيم خطر ما يصبو إليه شعراء القسم الأول وخطؤه، فهم ينظرون إلى اللغة وحدها كأساس تقوم عليه تلك الوحدة، دون اعتبار للدين الذي هو أساس الوحدة المرجوة. وتلك الدعوة إلى عدم اعتبار الدين في مفهوم الوحدة دعوة جاهلية، عمل على غرسها في نفوس الداعين إليها أعداء ديننا الإسلامي الخنيف، والكارهون لوحدة أمتنا الإسلامية المرجوة، وذلك « لأنها تقوم على الرابطة اللغوية فتخرج المسلمين من غير العرب وتدخل غير المسلمين من العرب، وفي هذا توجيه مباشر للبحث عن انتماء مضاد يحول المسلمين إلى طوائف متناحرة» (٢).

وشاعرنا واحد من أولئك الشعراء الذين رأوا ضرورة الوحدة، ولن أجانب الصواب إذا ما قلت: إنها كانت همه الأكبر؛ لإحساسه بالخطر المحقق بأتمته الإسلامية، ولإدراكه المبني على نظرة ثابتة أنه لا أمل يرجى للمسلمين في استعادة أمجادهم إلا عن طريقها.

وهو في دعوته إلى تلك الوحدة نراه أكثر إلحاحاً على الوحدة العربية

(١) معروف الرصافي، دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية، د. بدوي طبانة،

ط (٢) ص: ١٤٤.

(٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ص: ٢٧٥-٢٧٦.

لا على أساس قومي؛ بل لإحساسه العميق بأن تحقق تلك الوحدة في العالم العربي أولاً سيؤدي - حتماً - إلى الوحدة الإسلامية المنشودة؛ لأنها - في نظره - الأساس الذي سينبني عليه صرح الأمة.

وهذا الإحساس المتنامي في عالم شاعرنا الوجداني لم يأت من فراغ، وإنما ولّدهت وساعدت على تضخمه عدة أمور يضطلع بها عالمه العربي المترامي الأطراف، فهو قلب العالم الإسلامي النابض، وإليه يتجه روحياً ودينياً، وإليه ينظر كمهد للإسلام، ومشرق لنوره، ومعقل للإنسانية، وموضع للقيادة العالمية^(١).

والذي ساعدنا على التأكيد بأن دعوته إلى الوحدة العربية لا تمت إلى القومية بصلة؛ موقف بلاده العدائي من تلك الدعوة التي تنادي بالوحدة العربية لا على أساس ديني، فقد عملت - منذ البدايات - «على صب الإسلام في العروبة، ورفضت أن تبحث الأمور بنظرة عربية مستقلة^(٢)»، ورأى حكامها «أن الدعوة إلى العربية فرع من الدعوة الإسلامية، وأن الاقتصار على فكرة (العروبة) عصبية جاهلية نهى الشرع عنها^(٣)».

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ط (٩) عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٣م، ص: ٢٩٧-٢٩٨ «بتصرف».

(٢) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكري شيخ أمين، ط (٥) عام ١٩٨٦م، ص: ٣٣٠.

(٣) المرجع السابق ص: ٣٣١.

ولعل المتأمل في شعر السنوسي الذي دعا فيه أبناء أمته إلى ضرورة الوحدة، يقف على ما سبق أن أكدناه .

فهو في دعوته إلى الوحدة العربية لم يغفل الوحدة الإسلامية، فهما عنده متلازمان، وخير ما يؤكد ذلك قوله (١):

وما العروبة والإسلام إن نظرت

عينك إلا سنا وجهه لدينار

وعندما يتوجه إلى أبناء أمته العربية حاثاً إياهم على الوحدة، لا ينظر إلى اللغة وحدها كرابط وأساس لتلك الوحدة، وإنما يدخل معها الدين باعتبارها الموحد لشمليها .

نقف على ذلك في قوله (٢):

يا أيها العرب الكرام تكتلوا صفا بوجه الحادثات متينا
جمعتكم الفصحى ووحده شملكم دين أضاء العالمين قرونا
فتأهبوا للحادثات وبددوا ريبا تحوم إزاءكم وظنونا
وخذوا الطريق على البغاة وحاذروا أذنا وراء حديثكم وعيونا

وقد انتهج شاعرنا في دعوته للوحدة عدة وسائل ، فتارة ييمم وجهه شطر تاريخنا الإسلامي المليء بالتضحيات والبطولات ، فينقل لنا صوراً

(١) الأعمال الكاملة : ص : ٣١٢ .

(٢) شعراء الجنوب ص : ١٠٥ .

حية نابضة ، تحكي لنا بصدق أمجاد وبطولات أمتنا الإسلامية التي تحققت على أيدي أبطال الإسلام الأفاضل، الذين اعتصموا بحبل الله ولم يتفرقوا، فتمكنوا بسبب ذلك من دك أسوار الظلم والطغيان الذي كان متفشياً في المعمورة قبل نزول خاتمة الرسالات حاثاً - عن طريق عرضه لتلك الصور الزاهية - أحفاد أولئك الأبطال على اقتفاء آثارهم، والسير على منوالهم؛ لما في ذلك من خير للإسلام والمسلمين في شتى بقاع العالم .

وتارة يعمد إلى الحاضر الأليم، فيعلن حزنه وألمه وشكواه من الحالة التي آلت إليها أمتنا الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها .

ثم نراه يدعو إليها في صورة مباشرة ، ويرسم صورة مستقبلية لحال أمته في ظل وحدتها .

ومن شواهد دعوته الضمنية للوحدة العربية والإسلامية ، قوله مشيداً بوحدة المسلمين ، وبالانتصارات التي تحققت في ظلها مع قلة عددهم وعدتهم آنذاك^(١):

إخوان صدق لغير الله ماسجدوا
ولا استكانوا ولا مدوا يدا ليد
مهاجرون وأنصار يقودهم
(محمد) للعلی والمجد في سعد

(١) الأعمال الكاملة ص: ٥١٩-٥٢٠ .

فيالق في سبيل الله خافقة
أعلامها الغر في سهل وفي نجد
تدعو إلى الحق في سر وفي علن
في قوة تتحدى كل ذي صيد
حتى أضواء الهدى في الأرض وانطلقت
شعوبها من هوى طاغ ومضطهد
وزلزلوا عرش (كسرى) في ضخامته الـ
كبرى بإيمانهم لا كثرة العدد

فشاعرنا في هذه الأبيات ، يقدم لنا صورة زاهية ، من صور ماضي
أمته في ظل الوحدة التي كانت تعيشها ، واعتصام أبنائها بتعاليم دينهم
الحنيف وتمسكهم به ، غير أبهين بقله عددهم ، منازلين أعتى قوى الأرض
في سبيل نشر تعاليم الرسالة الإسلامية الخالدة .

ولعل السنوسي - عن طريق هذا الاستلهام لماضي أمته - يرغب في
تبصير أمته وأبنائها بما يتوجب عليهم عمله حتى تتم لهم تلك الوحدة ،
وتحقيق ما يطمحون إليه في ظلها ؛ ولهذا نراه يوجه أمته إلى محاسبة
نفسها ، والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي ، حتى يكون أساس وحدتها
المنشودة متيناً وقوياً .

نلمس ذلك في قوله مخاطباً أمته (١):

حاسبي النفس وعودي للهدى واحسمي شأنك بالجد الرصين
وخذي أمرك جدا خالصا واقطعي الشك بآيات اليقين
ضحكات الأمم عادت أدمعا والأهـازيج بكاء وأنين
سنة الأيام صحو وكرى فلماذا نحن دوـمانائمين ؟
وعندما يلتفت إلى حاضر أمته ، ويقف على حالها فيه ، يعزو ذلك
إلى تفرق أبنائها ، واستملاحهم لحياة الذل والهرمان في قوله (٢):

بردت في دمائمهم نخوة العـز وماتت تلك السجايا الحرائر
فهم القوم عدة وعديدا لو تصافت قلوبهم والسرائر
ويؤكد دور الفرقة والشتات في ذهاب قوة أمته وأمجادها
بقوله (٣):

يا لقومي من طفمة حاربتنا بانقساماتنا أذى وكبادا
ولأهلي من نكسة في حـزيرا نأناطت بعارضينا السوادا

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧١٦١) في ٢٩/١٢/١٤٠٢ هـ.

(٢) الأعمال الكاملة ص : ٤٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص : ٤٨٩ .

ثم يدعو إلى الوحدة في صورة مباشرة ، ويحذر من تمادي الفرقة ،
مبيناً ما يترتب عليها من عواقب وخيمة في قوله (١) :

والياس أقـتـل داء دب في أم

تعاورتها الليالي فاثنت نصبا

فاستشعروا العزم وامضوا رافعين به

لواءكم في مجال البأس متصبا

فلإن من أحكم الأقوال تجرية

(أعدت الراحة الكبرى لمن تعباً) (٢)

وإن أبلغ ما تمنى به فئـة

وقوفها ضد طغيان العدا شعبا

ويؤكد علو المسلمين في ظل اتحادهم واعتصامهم بحبل الله

بقوله (٣) :

ولم تزل عروة الإسلام جامعة

(كالجاذبية) للأرواح تعتلق

(١) المصدر السابق ص : ١١٢ .

(٢) تضمين لصدر بيت للشاعر أحمد شوقي ، انظر الشوقيات ، ٧٦/١ ، دار الفكر ، والبيت
بكامله :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعباً وفاز بالحق من لم يأله طلباً

(٣) مجلة المنهل ، المجلد (١٥) ربيع الأول ١٣٧٤ هـ ، ص : ١٢٠ .

والمسلمون هم الأعلون ما اعتصموا

بالله واتحدوا في الرأي واتفقوا

ويرسم صورة مستقبلية لأمته ، في ظل وحدتها المنشودة ، واعتصام

أبنائها بحبل الله جميعا في قوله :

وإذا المسلمون هبوا جميعا من قصي من البلاد ودان

وغدوا غدوة الغيورين للحق وحفوا براية القرآن

أقبل النصر مشرقا وعليهم من رضى الله بسمه الرضوان^(١)

(١) الأعمال الكاملة ص : ٥٧٠ .

الفصل الثالث

معاني الشعر الإسلامي

المبحث الأول

المعاني والأفكار

المعاني والأفكار

المعاني والأفكار هي روح الأدب ومادته الأولى ، وأي أدب يخلو من هذا العنصر المهم ، فهو كلام ساقط لا يعتد به ، ولا ينظر إليه ، مهما بالغ الأديب في تزويقه وبهرجته .

ويبلغ العمل الأدبي - شعراً كان أو نثراً - الذروة ؛ إن وفق مبدعه في المواءمة بين معانيه السامية وألفاظه ، مع مزجه بين تلك الأفكار وعاطفته ؛ لأن ذلك المزج من شأنه أن يكتب لأدب ذلك الأديب الحياة والخلود في ضمائر الناس ووجداناتهم .

ولو عدنا بعد هذه الإمامة - التي أكدنا فيها أهمية المعاني والأفكار في العمل الأدبي - إلى المعاني والأفكار التي دار حولها أغلب شعر شاعرنا الإسلامي ، لوجدناها معاني سامية ، تستمد ذلك السمو من الموضوعات التي دارت حولها ، ومن ينباع الثرة التي استقى شاعرنا منها معظم معانيه .

ويأتي في مقدمة تلك المعاني التأكيد على أهمية العقيدة الإسلامية ، وبيان أثرها في الحياة والأحياء ، والدفاع عنها أمام كل من حاول النيل منها ، ومحاولة بعث معالمها في نفوس معتنقيها ، وإحيائها في نفوسهم من جديد .

كما اهتم بتبرئة الإسلام من الدعاوي التي يرددها خصومه ، والإشادة به وبقيمه ومثله العليا التي أرسى دعائمها في الأرض ، وبال دعوة الجادة إلى اعتناقه ؛ لأنه دين الحق ، والعدل ، والمساواة ، والنظام الشامل الصالح لكل زمان ومكان .

واهتم - أيضاً - بدعوة المسلمين إلى الوحدة ، وحثهم على الجهاد ؛ أملاً في استعادة أمتة الإسلامية لمكانتها السابقة ، التي كانت عليها في عهد رسول الله - ﷺ - وصحابته الكرام ، وقادة الإسلام المخلصين .

كما اهتم بتدعيم السلوك الإسلامي ، من خلال وقفته مع بعض الأدواء المتناثرة على سطح الحياة في مجتمعه ، ودعوته إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية الحميدة ، ونبذ ما يتنافى معها . وحث على طلب العلم ، وبين أثره في حضارة البشرية وتقدمها ، لأنه من نعم الله الكثيرة على عباده إن أحسن استغلاله وتوجيهه إلى خير وسعادة الإنسانية جمعاء . وهناك قضايا عصرية وقف عندها السنوسي طويلاً ، وأهمها قضية السلام ، فقد تحدث عنه في صدق وبراعة ؛ لكونه مطلباً ضرورياً في حياة غصت بألوان الدمار ، والتشرد والضياع ، تهفو إليه نفوس الناس في كل مكان ، وتتحراه أحداقهم العطشى .

ومن شواهد ذلك قوله (١) :

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧١٧٩) في ٢٠/١/١٤٠٣ هـ .

رب يا رب إن شعب فلسطين — من سجين ولاجئ وشريد
وهو يرنو إلى السلام بعين — قرحتها الوعود والترديد
عطش الناس للسلام ومازا — لوعطاشا فهل إليه ورود
آه لو يخفق السلام على الأر — ض وتلغى من جانبها الحدود
وأهم ما يميز معاني وأفكار السنوسي في شعره الإسلامي - بالإضافة
إلى سموها وجلالها - وضوحها ، وامتزاجها بأحاسيسه ومشاعره . وخير
ما يؤكد ذلك قوله مشيداً بالدين الإسلامي ، والقيم والمبادئ التي أرسى
دعائمها في الأرض ، معرضاً بالمذاهب والفلسفات الغربية والمروجين
لها (١):

إن دين الإسلام دين المساواة — ودين السلام وهو الودود
ليس في شرعه التعصب للجنس — س ولا اللون وهو شرع فريد
يلتقي الناس فيه شرقاً وغرباً — سادة في ظلاله وعبيد
في تعاليمه هدى النفس تسمو — بسنانه نوازعاً وتسود
وهو كذلك دليل على رحمة الله بعباده ، لا كما يراه الماركسيون بأنه
أفيون الشعوب (٢):

(١) جريدة البلاد ، العدد (٧١٧٩) في ٢٠/١/١٤٠٣ هـ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٠٦ .

فالدين ظل الله في ملكوته والله بالإنسان جد رؤوف
من قال إن الدين أفيون الوري فهو الشقي بعقله المخطوف
ويؤكد أهمية الدين في الحياة ، ويبين حاجة الإنسانية له ، بقوله (١) :

هو الزمام وما الإنسان ليس له

دين سوى حيوان سائب سرب

وسوف يبقى هدى الإسلام منتصراً

على الطواغيت والإلحاد والريب

وكل إفك وبهتان يراد به

محو الحقيقة لا ينجو من العطب

فالأفكار والمعاني التي حملتها لنا الأبيات السابقة جليلة وسامية ،
وهي بالإضافة إلى ذلك واضحة وجلية ، وفي ذلك دليل على أن تلك
الأفكار قد أخذت منه كيانه كشاعر يحس ويتفاعل ، فهي قد ملأت عليه
وجدانه وخلجاته ، فأتى عليها من جميع أطرافها بعد أن حدد دائرتها ،
وخاص في أعماقها .

ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا : إن جميع المعاني التي دار حولها
شعر شاعرنا الإسلامي - معاني مطروقة ، حيث سبق للشعراء تناولها ،

(١) المصدر نفسه : ص ٥٣١ .

سواء الذين عاصروا الشاعر، أو الذين سبقوه بمراحل زمنية، قريبة كانت أو بعيدة، وإنما يتفاوت الشعراء في الإحساس بتلك المعاني، والتفاعل معها، كما يتفاوتون في كيفية أدائها، وفي طرقهم في التعبير عنها. وذلك التفاوت بين الشعراء هو الذي يدفعنا إلى الإعجاب والتفاعل مع شاعر دون الآخر، وهذا ماستفصح عنه دراستي لأسلوب الشاعر، ومظاهر صدقه الفني والشعوري فيها.

ونحن إن أمعنا النظر في المعاني التي دار حولها شعر شاعرنا - لوقفنا على تأثيره العميق - في أغلبها - بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والسيرة النبوية، وتاريخنا الإسلامي الخالد.

وسنحاول في الصفحات التالية الوقوف على أهم تلك المعاني، والمصادر التي استمدتها واستوحاها منها.

أولاً: استيحاء بعض معاني القرآن الكريم:

استمد السنوسي كثيراً من معانيه التي حرص على توصيلها للمتلقي المعاصر من القرآن الكريم، والقرآن الكريم كما لا يخفى معين لا ينضب للمعاني الجليلة السامية.

ونحن إن أمعنا النظر في تلك المعاني القرآنية التي ضمنها في شعره - نجدها كثيرة ومتشعبة، وحتى يتسنى لنا الإلمام ببعضها رأينا تناولها في أطر ونقاط محددة، تبلغنا الغاية، وتفي بالغرض.

أولاً : الاستمداد من القرآن الكريم في تأمل آلاء الله في الكون :

وقف السنوسي وقفات أمام بعض المظاهر الكونية لاسيما الطبيعة، فشدده جمالها، وفتنه حسن تنسيقها، وامتزج ذلك الجمال الموحى بعظمة وابداع صانعه بوجدانه المفطور على عشق الجمال، فوصف تلك المشاهد فأجاد وأبدع . وقد قاده ذلك الجمال الأسر - في نهاية المطاف - إلى مبدعه وخالقه .

نلمس ذلك في وقفته أمام جبل فيفاء وقد زاحم النيرات بمنكبه الضخم، وازدحمت أرجاؤه بكل ألوان الجمال، حيث يقول^(١):

متحف من أشعة وظلال في إطار من نضرة واخضلال
سابع في الفضاء يغمره النو ربفيض من السنا والجلال
يتحدى الذرى ويخترق السح ب ويزهو في عزة واختيال
صنعة المبدع المصور جل ال له ربي رب العلا والكمال
وفي وصفه للأرض وقد كساها الربيع من حلله القشبية؛ فأضحت بذلك مصدر سعادة وأنس دائمين لبني البشر :

والأرض في حلال الربيع وروضة تلقاك شاعرة تهز الأبكما
فتانة القسمات تحسب أنها نقلت من الفردوس رسما محكما

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٤٠ .

تلقاك في نفحاتها ونباتها فنا إلهي الخطوط منظما^(١)
وفي انبهاره بجمال مدينة فيفاء، حيث يقول^(٢):

إنه فوق بياني جل من أبدع فنه
كل شيء فيك حلو أنت يا فيفاء جنه

هذه النماذج - التي امتزج فيها جمال الطبيعة بوجدان الشاعر - تشهد
بوحداية وعظمة خالقها ، وقد صدقت ذلك الآيات القرآنية التي استهدى
بها الشاعر في نظرتة إلى ذلك الجمال، ومن تلك الآيات ، قوله تعالى :
﴿ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في
السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ بديع
السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾^(٤) .

وهناك شواهد شعرية تؤكد استمداده من القرآن الكريم
ما يوحى بعظمة الخالق - جل شأنه - من خلال آياته المبثوثة في الكون ومنها
قوله^(٥):

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٠٦ - ٦٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٢٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٥) الأعمال الكاملة : ص ٥٤٨ - ٥٤٩ .

جل من سخر الرياح فسارت تتهادى رحية بالسفائن
وأفاض الحيا فأحيا موتا وأهال الربى فسالت معادن
كلما في السماء والأرض مبسو ط لمن يتقسي ويخشى الملاعن
فهذه الأبيات الموحية بعظمة الخالق مستمدة من آيات القرآن الكريم
الكثيرة التي أكدت كل ذلك في مواضع متعددة، منها قوله تعالى ﴿إن في
خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به
الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (١).

ثانياً : استمداده من القرآن الكريم ما يؤكد قضاء الله وقدره :

الإيمان بقضاء الله وقدره واحد من الأسس التي تقوم عليها عقيدتنا
الإسلامية، والآيات التي تدعو إليه كثيرة، وهي بالإضافة إلى كثرتها
متنوعة ؛ لأنها تخدم موضوعات عدة تهتم الإنسان في دنياه، وتوصله إلى
رضا الله في آخرته .

وقد استمد السنوسي في دعوته إلى الإيمان بقضاء الله وقدره شيئاً من
أي الذكر الحكيم، خاصة في مجال الرزق الذي يعد من أهم الأسباب في

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤ .

نشوء بعض الفلسفات والمذاهب الإلحادية في عالمنا المعاصر ، نلمس ذلك في قوله (١) :

يا هموم الحياة إن فؤادي لا يباليك فاقصري أو تمادي
إنني في سكبنة من هدى الديق من ونور اليقين ذخري وزادي
كتب الله لي حياتي ورزقي فتتحى يا فلسفات العباد
وفي قوله (٢) :

وثق أن من أعطى الحياة جمالها وأقواتها لم يهمل الدود والنملا
فهذه الشواهد تدور حول إيمان الشاعر بقضاء الله وقدره ، خاصة في مجال الرزق ، وعلنا لانجاوز الصواب إن قلنا : إن تلك الشواهد بما حملته من معاني مستمدة من قول الله تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ (٤) .

(١) الأعمال الكاملة : ص ٧٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٢٢ .

(٤) سورة هود ، الآية ٦ .

ثالثاً : استمداده من القرآن الكريم ما يؤكد اليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر من أهم أسس العقيدة الإسلامية ، وخير ما يدل على ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - قد قرنه بالإيمان به في قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾ (١).

والقرآن الكريم يذكره ، ويسميه أسماء متعددة ، فهو يوم القيامة ، والبعث ، والساعة ، ويوم الدين ، والحساب ، والجمع ، والطامة ... الخ .

ومن الشواهد الشعرية التي بدا فيها أثر القرآن واضحاً فيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر قوله (٢) :

أخي إنما الإسلام بر ورحمة وعطف له في راحتك عبير
ودنياك جسر في الطريق إلى الهدى ففكر إلى ماذا غدا ستصير
فقدم إلى أخراك ماشئت إنه لظى جاحم أو نضرة وسرور
وقوله (٣) :

وأنت ملاق كل شيء عملته جزاء وفاقا والحساب عسير

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧٧ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٥٤١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٤٢ .

فالمعاني التي تدور حولها هذه الأبيات مستمدة من قول الحق - جل شأنه - : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ ^(١) ، ومن قوله تعالى : ﴿ قدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴾ ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وإن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ ^(٣) .

ومما يتصل بإيمان الشاعر باليوم الآخر إيمانه بحتمية الموت وحقيقته ، نلمس ذلك في قوله :

كلنا رائح على الموت غادي وعيون القضاء بالمرصاد
ومجاز هي الحياة فسيان مخب أو سائر في اتقاد
سائق الركب غير ناء عن الركب ولا حائد عن الركب حادي
سنة لم تدع لقلب مريض شبا في حقيقة الميعاد ^(٤)

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣ .

(٣) سورة النجم ، الآية : ٣٩-٤١ .

(٤) شعراء الجنوب ، ص ٩٦ .

وقوله أيضا (١):

إلى الله إنا راجعون وكلنا سيذهب لا فرد سيبقى ولا جمع
فالمعاني التي تحتويها هذه الآيات مستمدة من قوله تعالى : ﴿ كل
نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار
وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ (٢) ومن قوله
تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾ (٣).

رابعا ، استمداده لبعض قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم ، والإشارة
لبعض معجزاتهم والأحداث التي رافقتهم .

ومن ذلك إشارته لقصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه ، حين
ألقوه في النار ؛ لتكسيهه أصنامهم ، وخروجه منها سليما ، في قوله (٤) :

فالنار إبراهيم لم يعبأ بها ونجا سليما
خاض اللظى لم يرتعد فرقا ولم يرهب خصوما
كانت على إيمانه بردأ وكان بها كريما

(١) الأعمال الكاملة : ص ٦٠١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٥ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية ٥٧ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٤٩٨ .

فالسُنوسي يستمد هذه القصة بأحداثها من قوله تعالى : ﴿ قالوا
حرقوه وانصروا آلهمكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على
إبراهيم ﴾ (١).

ومن ذلك إشارته لقصة موسى - عليه السلام - مع أهله ، بعد أن
أبصر ناراً فطلب من أهله المكوث حتى يتسنى له المجيء منها بقبس ،
ليفاجأ بالنور الإلهي . نلمس ذلك في قوله (٢) :

نور على البطحاء لمـاح الذرى يهدي القرون ضياؤه والأعصرا
أنست فيه سنا من القبس الذي موسى تشوفه هدى وتنورا
فهذه الإشارة لتلك القصة مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وهل أتاك
حديث موسى ، إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني أنست ناراً العلي آتيكم
منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك
فاخرج نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ (٣).

ويشير إلى قصة الرسول - ﷺ - مع قومه ، وخروجه من مكة
واختبائه ورفيقه الصديق - رضى الله عليه - في الغار بقوله (٤) :

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ١٥ .

(٣) سورة طه ، الآية : ٩ - ١٢ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٥٣٢ - ٥٣٣ .

نجمان في كنف الرحمن مالهما سواء في الغار لا حام ولا جار
أبصرت أشباح أقدام وهممة وألسنا تتناجى تلك آثار^(١)
ففر قلبك من جنبك محتضنا بدرا تغذيه أفلاك وأقمار
خوفا عليه وحرصا أن يحيط به من عصبة الشر أو غاد وأشرار
يا صاحبي لا تخف الله يحرسنا بلطفه وللطف الله أسرار

فالإشارة التي تحتويها هذه الأبيات مستمدة من قول الله تعالى : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾^(٢).

ويشير إلى إحدى معجزات سيدنا عيسى - عليه السلام - في قوله مخاطبا طيب العيون^(٣) :

فلتكن في يدك أسرار عيسى وهدهد ومعجزات الأمين
ففي هذا البيت إشارة إلى إحدى معجزات عيسى - عليه السلام - ،

(١) هممة : الهممة : الكلام الخفي ، وقيل : ترديد الصوت في الصدر .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٧٢١ .

وهي إبراء الأكمه ، وقد أكدها القرآن في قوله تعالى : ﴿ أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص... ﴾ (١).

خامساً : استمداده لبعض الآيات الحاتئة والمرغبة في الجهاد والاستشهاد في سبيل الله :

وشواهد هذا الاستمداد كثيرة في شعر السنوسي ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله (٢) :

إن الحياة جهاد والجدير بها

من غالب العاصفات الهوج والنوبا

وقوله (٣) :

فإليه إلى الجهاد فلا وال له يحو الظلام إلا الجهادا
وفي قوله حاثاً على الجهاد بالمال (٤) :

أخي إنها أرضي وأرضك أشرفت بأبائنا طوبى لهم ومآب
فكل (ريال) من يدك رصاصة لكل (فرنسي) طغى وعذاب

(١) سورة آل عمران ، الآية ٤٩ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ١٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .

فهذه الشواهد تستمد حضورها ووجودها من الآيات القرآنية الحاثية على الجهاد، كما في قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جواده...﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (٢).

سادساً، استمداده من القرآن لبعض الآيات المرغبة في الإخوة والوحدة الإسلامية، وعدم الاختلاف :

نلمس ذلك في قصيدته (فرحة اليمن) التي منها هذه الأبيات (٣):

يا للسلام يهزبال — الحان أعطاف الموات
قرت به عينا وأك — ببادا قلوب الأمهات
وتعانق الإخوان واط — رحوا أكاذيب العداة
رفعوا قضيتهم عن ال — أمواء فوق النيرات
وغدوا إلى أرض النب — وة والأخوة والهداة
زمر إلى زمر حثي — ثي السير من كل الفئات

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٣) الأعمال الكاملة: ص ٥٠٤-٥٠٥.

وعلى رحاب النور من أرض الهدى والمكرمات
نحروا خلفات الهوى وسموا إلى أسمى الصفات
فالمعنى الذي تتضمنه هذه الأبيات وتدور حوله مستمد من قوله
تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴾ (١).

ومن شواهد دعوته إلى الوحدة الإسلامية ، وتحذيره من الفرقة
والاختلاف قوله (٢):

ولم تزل عروة الإسلام جامعة
كالجاذبية للأرواح تعتلق
والمسلمون هم الأعلون ما اعتصموا
بالله واتحدوا في الرأي واتفقوا

فالمعنى الذي يدور حوله البيت الثاني مستمد من قوله تعالى :
﴿ وَاِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٣).
سابعاً : استمداده من القرآن الكريم بعض صفات المؤمنين :

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٢) مجلة المنهل المجلد (١٥) ربيع الأول ١٣٧٤هـ ، ص ١٢٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

ومن أبرز تلك الصفات التي امتاز بها المؤمنون إقامتهم العدل في الأرض، نلمس ذلك في قوله (١):

عرب بنوا الدنيا بناء محكما بالعدل وهو أساس كل بناء
وقوله عن الصحابة - رضوان الله عليهم - (٢):

يرسلون الضياع في كل أفق ويداوون كل سقم وداء
وينيرون بالعدالة والإسلام لام درب الحياة والأحياء
والآيات التي تحت على تحري العدل كثيرة جداً، وتشمل شتى أمور
الحياة، إلا أن أقرب الآيات لمعاني آيات السنوسي قوله تعالى: ﴿وممن
خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ (٣).

ومن تلك الصفات التي تخصصهم دون غيرهم الإيثار، نلمس ذلك في
قوله (٤):

قد أفلح المؤمنون المؤثرون على نفوسهم واستحقوا النصر من أم
وهذه الصفة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان

(١) الأعمال الكاملة : ص ٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٨١ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٢٨٤ .

من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون ﴿ (١) .

ومن تلك الصفات الوفاء بالعهود والمواثيق ، نلمس ذلك في إشارات
بالمسلمين حيث يقول (٢) :

حتى غدا من مفاهيم الحياة لهمم البر (بالعهد) قربي والوفاء نسبا
ومن تلك الصفات العفو عند المقدرة والإحسان (٣) :

وعفى العاهل العظيم وأضفى حلمه واسعا وأرعى الستارا
وحمى الأنفس المباحة للسيب ف اقتدارا وعف عنها اقتدارا
ورعى أرملا وضم يتيما وأغاث اللهياف والمحترارا
فهذه الصفات مستمدة من قوله تعالى : ﴿ الذين يوفون بعهد
الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ الذين ينفقون في
السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين ﴾ (٥) .

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١١ .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٠ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٣٤ .

ومن تلك الصفات الصبر ، نلمس ذلك في قوله (١) :
الشاكرين إذا مس الحياة ندى والصابرين على الآلام والحزن
فهذه الصفة مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (٢) .
ومن قوله تعالى : ﴿ إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن
في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ (٣) .
ثانياً : استيحاء بعض معاني الحديث النبوي :

استلهم السنوسي في تجاربه التي عرضنا لها في دراستنا بعض المعاني
التي تضمنتها بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، ومن ذلك قوله واصفاً اتحاد
العرب والمسلمين :

أملى إرادته وضم صفوفه والتف من قطر إلى البيضاء
تباين الأسماء في تعريفه كالجسم وهو موحد الأعضاء (٤)
فالسنوسي في وصفه هذا يستلهم قول الرسول - ﷺ - : (المؤمن
للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه) (٥) .

(١) الأعمال الكاملة : ص ٦٤٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٣) سورة الشورى ، الآية ٣٣ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٤١ .

(٥) فتح الباري ، الجزء العاشر ، ص ٤٥٠ .

ويستلهم قول الرسول - ﷺ - : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم
وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحُمى » (١) في قوله (٢) :

ونحن في كل دنيا الضاد ما خلصت قلوبنا نحن قلب واحد حان
حان على كل جرح يشتكي الما من نكسة جرحتنا في حزيان
ويأخذ من قول الرسول - ﷺ - : (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما
تأرز الحية إلى جحرها) (٣) قوله (٤) :

مدينة النور عاد النور منطلقا من لابتيك قويا مثلما كان
وفي حديثه عن المساواة التي أوجدها الرسالة الإسلامية يستلهم قول
الرسول - ﷺ - : « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا
لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود
ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى . . . » (٥) . نلمس ذلك في قوله (٦) :

رسالة لم تكن للعرب بل نزلت للعالمين بلا حصر ولا عدد
فكل من أعلن التوحيد معترفا بالله ربا بلا ند ولا ولد

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ص ٢٧٠ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٥٨٤ .

(٣) فتح الباري ، الجزء الرابع ، ص ٩٣ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٣٩٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٥) ص ٤١١ .

(٦) الأعمال الكاملة : ص ٤١١ .

فإنما هو من لا يفرقه عنا لسان ولا لون على جسد
ويقتبس من قول الرسول -ﷺ- : « ما قعد قوم يذكرون الله إلا
حفتهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وتغشتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن
عنده»^(١) في حثه على طلب العلم والإشادة بأهله كما في قوله^(٢) :
صرح تظلل الأملك خاشعة للعلم في جيله السامي إلى الأمم
وفي قوله حاملاً على بعض أبناء مجتمعه المستهترين ببعض القيم
الإسلامية^(٣) :

حقوقه وانتهروه وابتدعوا رأيا هدى الإسلام ينتقده
سألوه في زهو وغطرسة ماذا هويته وما بلسده
فهو هنا يستهدي بقول الرسول -ﷺ- : (المسلم أخو المسلم لا
يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج
عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً
ستره الله يوم القيامة)^(٤) .

ويستمد من قول الرسول -ﷺ- في الحث على الجماعة والتحذير
من الفرقة : « ما من ثلاثة في قرية فلا يؤذن ولا تقام فيهم الصلوات إلا

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٢) ص ٤٤٧ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٢٩٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .

(٤) فتح الباري ، الجزء الخامس ، ص ٩٧ .

استحوذ عليهم الشيطان عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»^(١).

نقف على ذلك في قوله معللاً سقوط فلسطين في أيدي اليهود :
ولن تكون فلسطين التي ذهبت في غفلة حين عاث الذئب بالغنم^(٢)
ثالثاً : استلهاهم بعض أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي :

استلهم السنوسي في بعض شعره - الذي دارت حوله دراستنا - كثيراً من أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، خاصة في شعره الذي حاول فيه استنهاض همم أبناء أمته ، وحثهم على الاقتداء بمن سبقهم في كل أمور حياتهم .

ومن ذلك استلهاهم لأحداث الهجرة النبوية ومارافقها من أحداث ، ابتداء بموقف كفار قريش من هجرته إلى المدينة المنورة ؛ خشية على مكانتهم إن وجد الرسول - ﷺ - من يناصره فيها ، وتديبرهم لأمر الخلاص منه ، وانتدابهم لذلك شاباً من كل قبيلة ؛ حتى يتفرق دمه - عليه السلام - بين القبائل ، فيصعب على بني هاشم المطالبة بدمه ، ويقبلون بالدية^(٣) ، ثم يعرض لنجاة الرسول - ﷺ - من مكيدة كفار قريش ،

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٦) ص ٤٤٦ .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٢٨٣ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (١) ص ٤٨٠-٤٨٢ .

وخروجه من بينهم بعد أن قام بذر التراب على رؤوسهم .

يقول السنوسي في ذلك (١) :

رصدوا داره كما يرصد الجا نبي وثاروا عليه كالغوغاء (٢)

وطغى مكرهم فشاه وشاهت أوجهه مزقت رداء الحياء

ونجاسيد النبيين والرسـ ل محاطا بهالة بيضاء

مر من بينهم مرور شعاع الـ بـ برق بين السحابة الدكناء (٣)

ويشير إلى خروج سراقه بن مالك في طلب الرسول - ﷺ -

وصاحبه ؛ طمعاً في جائزة كفار قريش ، ويعرض لما حفلت به تلك

المغامرة - من قبل سراقه - من أحداث أسفرت عن رجوعه (٤) ، وتبشير

الرسول - ﷺ - له بسوار كسرى بن هرمز (٥) كما في قوله :

(١) الأعمال الكاملة : ص ٢٦٣ .

(٢) الغوغاء : أصل الغوغاء : الجراد حين يخف للطيران ، ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين

إلى الشر .

(٣) السحابة الدكناء : أي السحابة السوداء .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (١) ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٥) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، المجلد (٢) دار صادر ، بيروت ص ١٠٥ .

هذا سراقاة قد جنت مطامعه

حسا ونفسا وجسما فهو رادار

تألفت مقلتاه وامتطى فرسا

يعدو به في سبيل الشر دينار

رأكم ما ورأى موتا يحيط به

ولاح من تحته قبر وحفار

مادت به الأرض حتى صاح من فزع

أمنت يارب فاغفر أنت غفار

تبسم المصطفى في وجهه طربا

مبشرا بسوار ما به عار

وعاد أدراجه في قلبه عجب

وملء عينيه أحلام وأشعار^(١)

ويلتفت إلى التاريخ الإسلامي مستلهما في قصيدته التي خص بها أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - مواقف البطولية والشجاعة ، ويأتي في مقدمتها موقفه من موت الرسول - ﷺ - وتصديه لمن أنكروا تلك الحقيقة .

(١) الأعمال الكاملة : ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

يقول السنوسي مستلهما موقف عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -
من موت الرسول - ﷺ - والقائلين به (١):

أما حقار رسول الله لا وأبو حفص يهدد من قالوا ومن ماروا
ففي هذا البيت إشارة إلى مقولة عمر بن الخطاب : (إن رجالا من
المنافقين يزعمون أن رسول الله - ﷺ - قد توفي ، وإن رسول الله - ﷺ -
مامات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن
قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل : مات ، ووالله ليرجعن
رسول الله - ﷺ - كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا
أنه مات) (٢) .

ثم يشير إلى موقف الصديق - رضى الله عنه - مما قاله عمر بن
الخطاب - رضى الله عنه - مستلهما ما جاء في خطبته بعد تأكده من موت
الرسول - ﷺ - حيث قال : (أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن
محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله تعالى ، فإن الله حي لا يموت ، قال
ثم تلا هذه الآية ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن
مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٦-٥٣٧ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (٢) ص ٦٥٦ .

وسيجزي الله الشاكرين ﴿١﴾ ﴿٢﴾ في قوله (٣):

وقفت في جمعهم كالنجم مؤتلقا
وفي محياك إيمان وتذكار
من كان يعبد طه إنه بشر
قدمات والله حي وهو قهار
وما محمد يا لله هل نسيت
آياتها وهي إعلام وإنذار
فلنعبد الله في صدق وفي ثقة
النور بين يدينا كيف نحتار

ويعرض لموقف أبي بكر -رضى الله عنه - من المرتدين عن الإسلام ، مضمنا مقولته في مانعي الزكاة : (والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله - ﷺ - لقاتلتهم على منعها) (٤) في قوله (٥):

وقلت قولتك الغراء ترفعها
كالسيف في وجه من خاروا ومن ثاروا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، المجلد (٢) ص ٦٥٦ .

(٣) الأعمال الكاملة : ص ٥٣٧ .

(٤) مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، المكتبة
الفيصلية ، ص ١٧٢ .

(٥) الأعمال الكاملة : ص ٥٣٩ .

والله لو منعوني حبل راغية

قاتلتهم ليس إلا ذاك إقرار

ويستلهم بعض ماجاء في خطبته عند توليه أمر المسلمين في قوله (١):

والضعيف المحق فينا قوي رغم أنف القوي من أعدائه

فالمعنى الذي يدور حوله البيت السابق مأخوذ من قول أبي

بكر الصديق -رضى الله عنه - : (. . . والضعيف فيكم قوي عندي ،

حتى أريح عليه حقه ، إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف ، حتى آخذ

الحق منه ، إن شاء الله) (٢) .

ويشير إلى مقولة عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - في حثه على

الاهتمام بشئون الرعية : (والذي بعث محمداً بالحق ، لو أن جملاً هلك

ضياًعاً بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب ، قال أبو زيد :

آل الخطاب يعني نفسه ، ما يعني غيرها (٣) في قوله (٤) :

قالها قبل أن أقول أبو حنف -ص فكانت أمودجا للخلائف

أنا لو ضاع في العراق بغير جئت يوم الحساب والحشر خائف

وفي وقفته مع الأمير الزاهد عمر بن عبدالعزيز يستلهم ما سمعه عمر

بن الخطاب -رضى الله عنه - في إحدى جولاته الليلية متفقداً أحوال

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢٩) ج (١١) ذو القعدة ١٣٨٨ هـ .

(٢) مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ١٧١ .

(٣) تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، لبنان ، ج (٤) ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٤) الأعمال الكاملة : ص ٧٠٩ .

رعيته ، حين استوقفه صوت أم تطلب من ابنتها خلط ما جاد به ضرع شاتها بالماء ، حتى يزداد فيفي بمتطلبات يومهما الآتي ، وسروره - رضى الله عنه - برفض الفتاة ؛ لخوفها من الله ربها ورب عمر . وطلبه من ابنه عاصم الذي كان مزماً على الزواج أن يتزوج بتلك الفتاة التي كانت - فيما بعد - جدة عمر بن عبدالعزيز^(١) نقف على ذلك في قوله^(٢) :

وراح يروي أبو حفص حكايته

واستغرقا في حديث شيق^(٣) عذب

عن الفتاة التي قالت وقد غضبت

لن أمدق الماء يا أماء بالحلب^(٤)

واستنكرت أن يراها الله واقفة

تبيع ألبانها بالغش والكذب

فأنجبت عمر الثاني لأمتها

فكان فاروقها جدا بلالعب

(١) خلفاء الرسول ، خالد محمد خالد ، دار الشروق ، بيروت ، يناير ١٩٧١ ، ص ٥١٤-٥١٥ «بتصرف» .

(٢) الأعمال الكاملة : ص ٥٢٧-٥٢٨ .

(٣) استخدم الشاعر كلمة (شيق) للحديث الممتع ، والصواب (شائق) .

(٤) أمدق : أخلط .

المبحث الثاني

التجربة الشعرية
والصدق الفني

التجربة الشعرية والصدق الفني

القصيدة الشعرية : هي التعبير عن تجربة شعورية كاملة في صورة موحية .

والتجربة : هي الحدث الوجداني أو العاطفي الذي ينبع من نفس صاحبه وعقله ومن كل حواسه ودخائله النفسية والفكرية الظاهرة والباطنة (١) .

والتجربة الشعرية - في حد ذاتها - ليست هي الغاية في العمل الأدبي ، ولكن الغاية هي الانفعال والإثارة التي تحدثه فينا التجربة ، وقدرتها على الارتفاع بنا ولو للحظات إلى عالمها عن طريق الانفعال بها والتفاعل معها ؛ لأن التجربة لاتعدو أن تكون المحرك أو الدافع إلى ذلك التعبير .

وليس ثمة فرق بين أن تكون التجربة المعبر عنها نابعة من ذات الشاعر ومعاناتها ، أو أن تكون عامة أحس بها الشاعر حوله ، فعمد إلى جمع عناصرها ، ولم شتاتها ، وقام بمعايشتها والاندماج فيها ، ثم عبر عنها ونقلها إلينا ؛ ليحملنا على مشاركته في التأثر بتجربته تلك .

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، ص ٨ وما بعدها ، واتجاهات وآراء في النقد

الحديث ، د. محمد نايل ، ص ٣٨ وما بعدها «بتصرف» .

والصدق الفني لا يراد به مطابقة الحقيقة والواقع دائماً، لأن ذلك من شأن العلم ولكن المراد به «صدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي يحس بها فعلاً، وإعلان عقيدته التي اعتقدها»^(١) سواء طابق ذلك التعبير الواقع بكل حذفه أو لم يطابقه.

ويعد الصدق الفني الفارق الأول بين أصالة المهوبة الأدبية وفقدانها عند أديب ما، وهذا ما أكده سيد قطب بقوله: «ولن يكون للشاعر طابع خاص، ولن يستطيع أن يصلنا بالكون الكبير، إلا إذا كان صادقاً.. ولكن أي صدق؟ لسنا نعني الصدق الواقعي، فذلك مبحث يهم الأخلاق، وإنما نعني صدق الشعور بالحياة وصدق التأثير بالمشاعر أي الصدق الفني»^(٢).

وبناء على ما تقدم نستطيع أن نقول: إن صدق التجربة - سواء أكانت ذاتية أم عامة - هو الذي يميز أعمال الأديب أو الشاعر من غيرها، ويسمها بسمته، ويطبعها بطابعه الشخصي الذي يميزه عن غيره من الأدباء والشعراء.

وأبرز عناصر التجربة الشعرية هي: الأحاسيس، والعقل، والخيال، والموسيقى، كما يرى الدكتور شوقي ضيف^(٣).

(١) عنصر الصدق في الأدب، د. محمد النويهي، ص ٢٣٨، ط ١٩٥٨م، القاهرة.

(٢) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ص ٣٥.

(٣) في النقد الأدبي، ط (٥) ص ١٤٦-١٥٢.

ويرى الدكتور محمد غنيمي هلال : أن لكل تجربة شعرية عناصر مختلفة، فكرية، وخيالية، وعاطفية، والشاعر يتخذ منها مواد تصويرية، إذ يستعين بها على جلاء صورة تتوافر لها قوة الإيحاء والتعبير (١).

وتلاحم تلك العناصر الأربعة وتضافرها في التجربة الشعرية يحقق لها النجاح المأمول، فالمشاعر والأحاسيس هي غاية العمل الأدبي، والفكر هو الذي يقوم بتنظيم المشاعر وتنسيقها، ويؤلف بين خواطر الشاعر، والخيال هو الأداة التي تثير العاطفة، وهو الذي يخرج التجربة إلى العالم النفسي... والموسيقى هي التي تمنح التجربة الأنغام التي تتناسب مع مشاعرنا وعواطفنا (٢).

والشعر الذي عرضنا له بالدراسة تحققت في أكثره عناصر التجربة الشعرية الناجحة فتجاوزت المناسبة، وبلغت درجة الإبداع والتفوق لتوافر أبرز عنصرين فيه، وهما : سمو الأفكار، وحرارة وقوة العاطفة، إضافة إلى الخيال والصور الشعرية واللغة والموسيقى (٣) . « وتلازم

(١) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٣٦٤ «بتصرف».

(٢) النقد العربي الحديث ومذاهبه، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط الفجالة الجديدة بمصر، سنة ١٩٧٥م، ص ٨٤ «بتصرف».

(٣) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت، ص ٧٦٧ «بتصرف».

العنصرين (فكر وعاطفة) هو المقياس الأساسي والمسير الحقيقي للشعر، فلا يرتفع الشعر الهادف إن فقد عنصر العاطفة والانفعال، ولا يسمو إذا تجرد من قيمته الفكرية وهدفه الرفيع، وتمرغ في الضلالة والفساد، وإن تحققت فيه العناصر العاطفية» (١).

وجل الشعر الذي عرضنا له بالدراسة توافرت له الفكرة الصالحة والعاطفة الصادقة، وقد سبق لي دراسة المعاني والأفكار في شعر السنوسي الإسلامي، لذا سأفرض لدراسة عنصر العاطفة والمشاعر في تجاربه الشعرية. ومعيار القيمة في العاطفة « هو صدقها، أي قدرتها على أن تجعل العمل الفني يشق طريقه وسط زحمة الموجودات ليبرز بدلالة ويلوح برسالة . والصدق هنا ليس الصدق العلمي ولا الصدق الأخلاقي، لكنه الصدق الذي ينم على أن العمل الأدبي يخبر بشيء يتوافق مع الحياة ومع المحصلات الوجدانية دون أن يكون له أثر من شأنه أن يؤدي إلى النفور أو الشذوذ . إنه الصدق الفني الذي ينبع من منطق العمل الأدبي، أو من موضوعيته بكل أبعادها وتفصيلاتها» (٢).

(١) المرجع السابق، ص ٧٦٧ .

(٢) النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، د. أحمد كمال زكي، دار النهضة العربية للطباعة

والنشر، ص ٩٣ .

ولو نحن عمدنا إلى تطبيق هذا المعيار على الشعر الذي دارت حوله دراستنا لوجدناه متحققاً في جل الأغراض والموضوعات التي طرقها الشاعر، حتى في المدح - الذي هو أقرب الأغراض الشعرية من المناسبات التي أنكرها معظم النقاد؛ لتجردها كما يرون من الصدق الشعوري والفني - نجح السنوسي في التعبير عن مشاعره وعواطفه تجاه الممدوح، وأراق فيه همومه وطموحاته ورغباته البعيدة، إما متمنياً تحقيقها من قبل ممدوحه، أو مشيداً بتحققها على يديه .

نلمس ذلك في مدحه للملك عبدالعزيز، والملك سعود، والملك فيصل - رحمهم الله - ولن أجانب الصواب إن قلت : إن هم الوحدة الإسلامية، والعودة بأمتنا إلى سابق عهدها، يكاد يغلف كل قصائده المادحة، فهو دائم الحث عليها، والتنويه بها، وهذا ما يجعلنا نستبعد أن يكون السنوسي من طلاب الجوائز والمكافآت عن طريق مدائحه، وإنما هو شاعر قضية، دأب - منذ بداياته الشعرية - على الدعوة إليها والمنافحة عنها . نجد ذلك في قوله ضمن مديحه للملك سعود - رحمه الله - :

مولاي يا أمل الإسلام في زمن

للشرق فيه صوى شتى بها الطرق (١)

(١) صوى : حجارة تكون علامات في الطريق .

إن العروبة قد ألفت إليك يدا
وصافحتك فمر ما شئت ننطلق
في راحتك سراج الحق فاسر بنا
وهنا يشع على أثارك الألق
سموت بالوحدة الكبرى إلى أفق
للدين مؤتمر فيه ومتفق
نهج أنرت سبيل السالكين به
حتى تقاربت الأبعاد والشقق (١)
إلى أن يقول (٢):

إليك تتجه الأرواح يجذبها
هذا المحيا وترنون نحوك الحدق
تنورتك وديهاها ممزقة
روح على المسجد القدسي تحترق
حامت بأجنحة شلاء واهية
تعلو وتهبط خفاق بها الفرق

(١) مجلة المنهل ، المجلد (١٥) ربيع الأول ١٣٧٤هـ، ص ١٢٠ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٠ - ١٢١ .

تلفتت فإذا الأيك الذي نشأت
في ظله قد جفاه الظل والورق
أنت المؤمل لليوم الأغـر إذا
هزت فلسطين سيفنا والظبا علق

فالسنوسي - كما هو واضح في هذه الأبيات - يتجاوز المديح إلى الإفصاح عن حلم يراوده تحققه، وأمل تؤرقه مرارة انتظاره، ولهذا نراه يبحث على تحقيق ذلك الحلم، ويرسم عزة المسلمين في ظل تحققه، ويشعل فتيل دعوته إلى الوحدة الإسلامية؛ بتركيزه على القضية الفلسطينية التي تعد جرحاً عميقاً في صميم أحشاء أمتنا العربية والإسلامية، ويشد على يد الملك سعود - رحمه الله - في دعوته إلى تلك الوحدة المرجوة التي ستكفل عودة كل الأراضي الإسلامية التي سلبت في ظل الفرقة التي منيت بها أمتنا الإسلامية على يد أبنائها.

أما رثاء السنوسي فقد كان حافلاً بالمشاعروالأحاسيس، والعاطفة الصادقة، وقد وقفنا على شيء من ذلك في دراستنا لشعر الرثاء عنده، سواء في رثائه لأبيه أو لأصدقائه أو لبعض حكام بلاده من آل سعود. وإن كانت مراثيه للملك عبدالعزيز - رحمه الله - قد حملت في طياتها بعض المبالغات، إلا أنها مبالغات مقبولة وحسنة لتوافر عنصر الصدق الفني فيها، وهذا ما اشترطه الدكتور محمد غنيمي هلال في قبوله

للمبالغات في قوله : « ليس من الصواب قبول المبالغة ، وما يتصل بها على وجه الإطلاق ولا رفضها كذلك ولا تعميم القول بقبولها في حال الاعتدال والتوسط كما ذهب إلى ذلك النقاد العرب القدامى ، بل الصواب أن نقبل هذه الوجوه وما سواها على أساس الصدق فإذا لم تزيّف الحقائق ولم تصور غير الواقع ، ولم توهم الباطل كانت مقبولة ، بل قد تكون دعامة الصدق الفني لتصوير المعنى ، وإثارة الخيال ، وتوصيل أعمق الحقائق إلى العقل والقلب» (١).

ومعنى ذلك أنه لا بأس من المبالغة التي يقصد بها إبراز عاطفة صادقة واستجلائها ؛ لأن هذه المبالغة في هذه الحالة تكون أداة لزيادة قدراتنا على تمثيل هذه العاطفة ولا تكون حاجزاً بيننا وبين تصورها . . وهذه المبالغة المقبولة يوحى بها الخيال الفني ، والخيال الفني كما يرى الدكتور محمد النويهي : « ليس معناه محض الاختلاق ولا إطلاق حرية التزييف ، بل معناه رؤية حقائق الوجود بدرجة من الوضوح والحدة والصفاء أكبر مما توجد عليه في الطبيعة ، أو أكبر مما يستطيع الناس العاديون أن يروها» (٢).

(١) النقد الأدبي الحديث ، ص ٢٢١ .

(٢) عنصر الصدق في الأدب ، د . محمد النويهي ، ص ٥٣ .

وإن نحن تأملنا ما جاء في قصيدة السنوسي في رثاء الملك
عبدالعزیز-رحمه الله- لوجدنا مبالغاته فيها مما أجازته النقاد ورأوا فيها قدرة
على جلاء المعاني وتوضيحها . ومنها قوله واصفاً وقع نبأ وفاة الملك
عبدالعزیز - رحمه الله - على أبناء أمتة الإسلامية (١) :

ضجت شعوب الأرض لما قيل قد
أودى المناضل عن حماها الرامي
ريعت لمصر عك النفوس وزلزلت
قمم النهى وشوامخ الأحلام
وقوله (٢) :

نبأ كقصف الرعد مزديه
قلب (العراق) وذاب قلب (الشام)
ضجت له (مصر) الشقيقة لوعة
وارتاع في (صنعاء) فؤاد دام
وتفطرت (لبنان) حزننا وانطوت
(عمان) في شجن من الإيلام

(١) مجلة المنهل ، المجلد (١٤) ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، ص ٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٨ .

فالمبالغات التي تحفل بها هذه الأبيات، مكنت الشاعر من تصوير هول المصاب على نفسه، وعلى نفوس أبناء أمتة الإسلامية الذين كانوا يرون فيه قائداً إسلامياً، يعول عليه إن حزّب بهم الضرر، وعمقت مكانة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في نفوس من هم حوله. وهذا يدلنا على أن مبالغة الشاعر هنا من النوع المقبول الذي أجازته معظم النقاد.

أما غزل شاعرنا فقد وضحت عليه آثار العقيدة الإسلامية، فجاء لذلك عفيفاً في مجمله، يربط فيه بين جمال المرأة المادي والمعنوي. وقد تجاذبته - كما تفصح تجاربه فيه - عاطفتان :

إحداهما : تحمل لنا روح السنوسي المحبة في أيام شبابه، وقد قرّ تيار ذلك الحب كما يقول الشاعر (١).

وثانيتها : تفصح عن إعجاب السنوسي بجمال المرأة الحسي والمعنوي، وتفاعله مع ذلك الجمال. نلمس ذلك في قوله (٢) :

مـدت أناملها تـزير
فبدا ضياء الفجر فـو
قـ حببها نوراً ونـسمه
قـ حببها نوراً ونـسمه
قـ حببها نوراً ونـسمه
قـ حببها نوراً ونـسمه
قـ حببها نوراً ونـسمه
قـ حببها نوراً ونـسمه

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥٣.

(٢) المصدر السابق : ص ٦٤٤.

فهذا النموذج لا يشف عن معاناة للشاعر، وإنما يشف عن تعلقه بالجمال، وعشقه له، وهو كما ترى لم يبتعد فيه عن الطهر والعفة التي طبعت سائر قصائده الغزلية. وهذا يدلنا على أثر العقيدة في توجيه شعره الغزلي.

وفي وصفه للطبيعة نقف على صدق عاطفته في تفاعله مع جمالها الحي، وليس أدل على ذلك من قصيدته: (جبل فيفاء) و (موكب السحاب) فقد توفر لهاتين القصيدتين ما يرتفع بهما إلى مصاف التجارب الشعرية الخالدة، من روعة في الأداء وصدق في التعبير.

يقول الشاعر واصفاً شموخ ذلك الجبل وبعض مظاهر الجمال فيه (١):

جبل تعشق النجوم مجالِبُه وتصبو إلى ذراه العوالي
يزحم النيرات منكبه الضخْم ويحتك بالسها والهلال
مشرئب إلى السماء برأس صلف في شموخه متعال
إلى أن يقول (٢):

يا لتلك الذرى الموشاة بالزهر رنضيرا وبالثمار حوالا
أولئك الربى يرف شذاها بعبير الصبا ونفح الشمالا

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤١.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

ولذلك السحاب والماء يجري من خلال الصخور جري الصلال ا
فشاعرنا - في هذه الأبيات - مأخوذ بارتفاع جبل فيفاء الشاهق،
ومفتون بكل مظاهر الجمال فيه، ولهذا جاء وصفه له في غاية الإبداع
والروعة . وفي ذلك دليل على أن عالمه الوجداني قد تفاعل مع ذلك
الجمال، فرأى فيه مالم تره عيوننا، فهو لم يعد - كما تفصح صور
السنوسي - حجارة جامدة لا حياة فيها، وإنما استحال إلى إنسان يزاحم
الكواكب بمنكبه الضخم، متعالياً على الناس في صلف وغرور، ومتباهياً
بما وهبه الله من مظاهر جمالية أسرة، تتمثل في انتشار الأشجار والنباتات
ذات الروائح العطرية على سفحه وبين جنباته، وانسياب مياه الأمطار بين
صخوره وشعابه - صباح مساء - في أشكال جمالية أخاذة ؛ تجلي كآبات
النفوس ، وتشهد لتأملها بعظمة خالقها . وهذه الحقيقة هي التي وصل إليها
الشاعر في نهاية المطاف، حيث يقول (١):

صنعة المبدع المصور جل الـ له ربي رب العلا والكمال
وفي شعره الاجتماعي، يتضح الصدق في حمله على بعض العادات
التي طرأت على أبناء مجتمعه، كتقليدهم للغربيين في ملابسهم، وفي
طريقة سيرهم، وفي قصات شعرهم . أو في حمله على بعض الأدواء التي

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٤٠ .

تتنافى مع أخلاقنا الإسلامية، كالنفاق، والكبر، والسخرية. والحث والترغيب في أمور أخرى كان لها حضورها في مجتمعنا الإسلامي، إلا أنها أخذت في الاختفاء تدريجياً، كالتواضع والقناعة والرحمة. وخير ما يؤكد صدق عاطفة الشاعر في شعره الاجتماعي قوله متألماً من النفاق والمنافقين، ومنفراً من الاختلاط بهم^(١):

يالنفسي من أنفـس تقذف الحبـ
وعلى كل جانب من قذاهـا
خضت في بحرها وكنـت غريـراً
أوجه كالبلاط لا تنبت الزهـ
ر عداء على الشياـب النظيفة !
قذريـزكم الأنوف وجيفهـ
نطقـا موجها وكانت حصيفهـ
ر وإن كانت المياه كـثيفهـ
وقلوب مثل الكهوف ظلاماً
والضحى يغمر الوجود مخيفهـ
وقوله مرغباً في التواضع، وداعياً إليه^(٢):

وكبير القلب تلقاه على
هو كالبـحـر جلالاً رائعاً
نفسه في يده مبسوطـة
وضياء البشر في غرتـه
كل حالـيه عظيمـا وخطيرا
وهو كالروض زهوراً وعطورا
تزرع الخيرو تبنيه قصورا
خلقاً سمحاً وإيماناً غزيراً

(١) المصدر السابق، ص ٤٣٩-٤٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧١٦.

ففي هذين النموذجين يتضح لنا مدى صدق عاطفة شاعرنا في شعره الاجتماعي، فهو في النموذج الأول يوضح أثر النفاق على الناس الأبرياء منه، ويقدم لنا المنافقين في صورة تدعونا إلى الحذر منهم وعدم الاختلاط بهم.

وفي النموذج الثاني، يرغب في التواضع ويحث عليه، عن طريق تقديمه لذلك الإنسان المتواضع في صورة تدعونا إلى الإعجاب به، وتحملنا على الاقتداء به.

وصدق العاطفة ملمح بارز في شعره الوطني، سواء في قصائده التي بدا فيها الفخر واضحا وجليا بماضي وطنه وحاضره، أو في حثه على الارتقاء به، والتغني بمظاهر الجمال فيه، والدفاع عنه أمام كل من حاول النيل منه.

ومن شعره الوطني الذي بدت فيه عاطفة الشاعر صادقة وقوية قوله (١):

هاهنا ريو كناصرية الشمس تمد الشعاع في الأرض مدا
باركتها يد الإله فأضحت لبناء العلى سريرا ومهدا
الرياض الرياض عاصمة العرب ملاذ القلوب شيبا ومردا

(١) المصدر السابق، ص ١٠١ - ١٠٢ .

منتدى أمتي وقلب بلادي شرفاً باذخاً وركناً أشداً (١)
 بلد في دماننا من هواها قوة تطرد الجراثيم طرداً
 إلى أن يقول (٢):
 أين منك الخيال والليل يجلو في سنا أفقها المتوج عقداً
 وأديم الثرى يفوح عبيراً عبهري الشذا أقاحاً وورداً (٣)
 والذرى تنطح السحاب سناء والسنا يقدح الكواكب زندا
 والدروب الفساح ترسم خطا كسطور الكتاب شكلاً وقداً
 وظلال الغصون تمتد كالشعر ر على متنها أثيثاً وجعداً (٤)
 وعلى كل رفرف وجدار تتجلى الفنون قوساً وعقداً
 وعلى كل قمة ومنار علم شيد الصروح ومدا
 الهدى حولها يواكب العلى م وركب العلوم بالدين يحدى
 مرفاً السالكين في حلك الشك ومرسى اليقين جزراً ومدا
 فالأبيات التي أمامنا تفصح عن حب الشاعر لوطنه، وإعجابه بمظاهر
 جماله .

(١) شرفاً باذخاً : أي عال .

(٢) الأعمال الكاملة، ص ١٠٣-١٠٥ .

(٣) عبهري : رقيق .

(٤) الأثيث : الشعر الطويل الغزير، والجعد : الشعر القصير .

وقد أبدع في تصويره لتلك المظاهر الجمالية، في لغة عذبة موحية،
وخيال خلاق يألف بين الأشياء المتناثرة، ثم يقدمها لقارئه في صور فريدة،
تروي ظمأ النفس والشعور.

ولم يتوقف شاعرنا عند تلك المظاهر التي جعلت وطنه أثيراً لديه،
وإنما أتبعها بما يستوجب ذلك الحب، فبين الأسس التي قام عليها وطنه،
والمكانة الرفيعة التي يحتلها في نفوس أبناء أمته الإسلامية، ولم ينس وهو
مندمج في تجربته أن يشيد بمن له الفضل في ذلك، قائلاً^(١):

باركته أيد الإله فأضحت لبنة العلى سريراً ومهددا
أما في شعره الذي عرضنا له في دراستنا تحت عنوان
(موضوعات الشعر الإسلامي) فتبدو العاطفة الصادقة في كل تلك
الموضوعات، وإن تخلفت - قليلاً - في بعض شعره الذي حلق فيه في آفاق
عقيدتنا الإسلامية؛ وذلك لطغيان عنصر الفكر فيه. ولكن هذا لا يعني انتفاء
عنصر العاطفة من تجاربه في هذا الموضوع، لأنه يسعى - عن طريق عرضه
لمثل تلك القضايا - إلى التأثير في عواطف المتلقين وعقولهم في آن واحد،
لحملهم على الاستجابة.

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٠١.

ومن نماذج شعره في هذا الجانب قوله (١):

فدع ليد الأيام غريلة القذى

فإن لها كفا تغريلها نخلا

ولذ بحمى الإيمان وارض بما قضى

به الله واعلم أن حكمته أعلى

فللدين فضل في الحياة لأنها

بغير الهدى تغدو جحيما به نصلى

وثق أن من أعطى الحياة جمالها

وأقواتها لم يهمل الدود والنملا

ففي هذه الأبيات نحس بصدق عاطفة الشاعر المناسبة في ذلك

التوجيه المباشر لأخيه المسلم إلى التمسك بالدين الإسلامي الحنيف ،

والإيمان المطلق بقضاء الله وقدره ، والثقة في رحمة الله وعطفه .

ونلمس صدق العاطفة وقوتها في عدد من التجارب التي تندرج تحت

ذلك الإطار ، ومن أبرزها قوله مناجيا خالقه (٢):

رب إنني ظلمت نفسي فغفرا نك ربي إنني مقر وذاعن

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤٨ .

رب إن الحياة زاغ بها السيد روحادت فاشدد عراها واطامن
وأثر بالضياء والطهر مسرا ها وزحزح عن سيرها كل مائن
فلأنت العظيم حقا وصدقا عالم بالذي يكون وكائن
فصدق العاطفة ملمح بارز في هذه الأبيات، ولا يعقل أن يكون
الشاعر هنا كاذباً، فهو يتوجه إلى خالقه، طالباً منه المغفرة على ما ارتكبه في
حق نفسه، راجياً أن يسود الطهر والصفاء على سطح الحياة الدنيا.
وفي شعره المتعلق بالإسلام ورسالته نشعر بسريان العاطفة وصدقها
في إشادته بالرسالة الإسلامية، وجللاء قيمها ومبادئها، ودفاعه عنها،
والدعوة إليها.

ومن نماذج شعره في هذا الجانب قوله (١):

رسالة من هدى الرحمن بلغها (محمد) وفدتها روح (عمار)
نحيا عليها ونسمو ضارين بها قوى الضلالات في عزم وإصرار
ونفتديها بأرواح وأفئدة خفاقة ذات إيمان وإيثار
ونجد صدق العاطفة وقوتها في دعوته لاعتناق الدين الإسلامي، كما
في قوله (٢):

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٢ .

(٢) المصدر السابق، ص ٥٥٠-٥٥١ .

يا خليلي الدين نور القلوب وطبيب الحياة أي طبيب
لا تدع للأسى إلى قلبك الشفاف دريا ولا تلن للخطوب
كم رأينا وكم سمعنا فـدع قلبك يرتاح من عناء عجيب
ودع الفلسفات واستلهم الإيمـان وانضح به جفاف النضوب
فالشاعر - في هذه الأبيات - حريص على راحة وسعادة أخيه الإنسان
في كل مكان، تدفعه إلى ذلك عاطفة إنسانية نبيلة، تحب الخير وترجوه
للجميع . ولهذا نراه بعد أن عايش حلاوة الدين الإسلامي ، وأحس بالراحة
التي يمنحها لمعتنقيه - يحث أخاه غير المسلم على اعتناقه ، ومشاركته في
التلذذ بتلك الحلاوة والاستمتاع بتلك الراحة .

أما شعره في الآفاق العبادية والمناسبات الإسلامية فصدق العاطفة
ملمح بارز فيه ، وذلك لأن صلته بالتجربة قوية قوة النزعة الإسلامية في
نفسه وسيطرتها على مشاعره وانفعالاته .

نقف على ذلك في قصيدته (رمضان) ^(١) التي ضمنها مناجاته لذلك
الشهر العظيم ، بالإضافة إلى شكواه الممضة من الحالة التي وصلت إليها أمته
الإسلامية من ضعف وهوان ، ومعالجة بعض الأدواء المتناثرة على بساط
الحياة الممتد .

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٤-٣٢٩ .

وفي قصيدته (اليوم الخالد) ^(١) وصف بديع لوحدة المسلمين المتمثلة: في اللبس ، وفي التوجه ، وفي الغاية .

وفي قصيدته (أذان الفجر) ^(٢) وقف مع ذلك الصوت وقفة تنم عن مدى عمق إيمانه، ومدى يقظة حسه الشعري في إدراك الجمال الذي تكتنزه تلك الدعوة، وقدرتها على تنقية أجواء النفس البشرية، مما يعلق بها من شوائب وأدران .

وقد كان شاعرنا صادق العاطفة في دعوته إلى تلبية تلك الدعوة، والتبكير في السعي؛ طلباً للرزق . وصادقاً في تفاعله مع صوت الأذان وهو يشق أسمال الليل وسكونه الممتد على الأفق .

وفي قصائده المستلهمة لتاريخنا الإسلامي الخالد نجد تجارب شعورية صادقة، تفصح عن عشق الشاعر لذلك التاريخ الحافل بالأمجاد والبطولات في شتى المجالات، وألم دفين لما آل إليه حال أمته في العصر الحاضر .
ومن نماذج تجاربه في هذا المجال قوله في قصيدته (عقدة الأسي) مخاطباً أمته الإسلامية ^(٣):

(١) المصدر السابق، ص ٤٤٨ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤٥-٥٤٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦٧-٥٦٩ .

أتريدين أن يكون بيانسي رائع اللفظ عبقري المعاني ؟
 كيف يا أمتي وأنى وفي جنـ بـيك جرح يهزني من كياني ؟
 كلما أبصرته عيناى فاضت بالأسى لاهبا وبالدمع قاني (١)
 أنطقيني إذا أردت بـيـوم قادسي مدمدم أرجواني (٢)
 أنطقيني بوثبة ذات ومض واحللي عقدة الأسى من لساني
 فلقد كدت من أسى ألفظ النفـ س على كل لفظة من بياني
 لم هذا وكيف يا نسل عدنا ن وقحطان والسنا والسنان ؟
 أيعيث الذئاب فينا ونحتا ر ونهار ياله من هوان ؟
 رحم الله خالدا والمثنى وابن أيوب والفتى الحمداني
 فلقد ضعضعوا قوى كل دهقا ن وعلج وأنقذوا كل عاني
 حين كانت قوى الطغاة تهزال أرض من فارس ومن روماني
 فالسنوسي في هذه الأبيات استطاع أن يندمج مع التجربة ، ويتفاعل معها ، ويهبها من عاطفته وذاته الشيء الذي جعلنا نشاركه الحنين لماضي أمتنا الإسلامية المشرق ، والتطلع إلى عودته .

(١) قاني : شديد الحمرة .

(٢) مدمدم : دمدمت الشيء إذا ألزقته بالأرض وطحطحته ، ودمهم يدمهم دماً : طحنهم فأهلكهم ،

وأرجواني : الأرجوان هو : الأحمر الشديد الحمرة .

والتأمل في تلك الأبيات يجد أن السنوسي لم يسرد لنا ذلك الماضي سرداً تاريخياً مجرداً، إنما صبغه بأحاسيسه ومشاعره، فاستاف نكهة الأمجاد الإسلامية في سابق عهدها وفي مختلف أقطار المعمورة على أيدي قادة الإسلام الأفاضل، أمثال: خالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة، وصلاح الدين الأيوبي، وسيف الدولة الحمداني.

وفي دعوته للجهاد، والوحدة الإسلامية، كان صدق العاطفة وقوتها ملمحاً بارزاً، خاصة وإن وحدة المسلمين - كما سبق أن أكدنا - كانت هم الشاعر الأكبر الذي سعى إلى تحقيقه، وألح عليه، بعد أن أفقدت الفرقة والشتات الأمة الإسلامية قوتها ومجدها وعزتها، وحكمت عليها بالذل والهوان على أيدي المستعمرين، الذين نكلوا بعدد كبير من أبنائها، وأباحوا أعراضهم وحرماتهم.

المبحث الثالث

الوحدة العضوية

الوحدة العضوية

تعد الوحدة العضوية من معالم التجديد في الشعر العربي الحديث ، ويراد بها «وحدة الموضوع ، ووحدة الشاعر التي يثيرها الموضوع . وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها . ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر» (١) .

فالقصيدية كما يرى العقاد : « ينبغي أن تكون عملاً فنياً ، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أدخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدتها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي ، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغني عنها غيره في موضعه ، إلا كما تغني الأذن عن العين ، أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة ، أو هي كالبيت المقسم ، لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها» (٢) .

(١) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٣٧٣ .

(٢) الديوان ، عباس محمود العقاد ، وإبراهيم المازني ، ج (٢) ص ١٢٠ ط (٣) .

ويرى العقاد أيضاً أن هذه الوحدة من أهم مقومات القصيدة ، وهي غيرها تفقد سماتها ومكانتها كعمل شعري . وفي ذلك يقول : «ومتي طلبت هذه الوحدة المعنوية في الشعر فلم تجدها، فاعلم أنه ألفاظ لا تنطوي على خاطر مطرد أو شعور كامل بالحياة»^(١).

والوحدة المعنوية في القصيدة، تقتضي ترتيب الأفكار، واستقصاء كل فكرة - على حدة - قبل الانتقال إلى غيرها، يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : «تقتضي هذه الوحدة استيفاء كل فكرة في النظم في موضعها المحدد لها من القصيدة، قبل الانتقال إلى الفكرة التالية، بحيث لا يصح الرجوع - بعد - إلى الفكرة الأولى في القصيدة، وإلا بدا الفكر مضطرباً، واختلت بنية القصيدة»^(٢).

وهذه الوحدة التي حدد معالمها العقاد ، ودعا إلى جعلها مقياساً من المقاييس التي ينبغي أن نفهم وندرس بها شعرنا العربي - يرى معظم النقاد ومن بينهم الدكتور بدوي طبانة ، إمكانية تطبيقها على الشعر المسرحي والملحمي ، أما في الشعر الغنائي فيرى أن نترك للشاعر حريته في التعبير عن عواطفه بترتيب ما سبق منها إلى ذهنه، وما يتعاقب عليه من الأخيلة

(١) المرجع السابق، ص ١٣٠ .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص ٣٧٥ .

والصور ؛ وذلك لأن طبيعة الشعر الغنائي « أن يكون انفعالات يتلو بعضها بعضاً وليس انفعالاً واحداً متصلاً، وذلك لتعدد الانفعالات وتباينها نوعاً وقوةً وضعفاً» (١).

أما الوحدة لعضوية في الشعر المسرحي وشعر الملاحم فهي « أرسخ ، ومقاييسها أوضح ؛ لأنها ترجع إلى ترتيب أجزاء الحكاية أو الخرافة، وأثر ذلك في نفسية الأشخاص وتوالي الأحداث، فإذا اختلت الوحدة بأن نقلنا منظرًا مسرحياً إلى غير مكانه، أو جزءاً من الملحمة إلى غير موضعه، انهار العمل الفني من أساسه» (٢).

ولعل خير كلام قيل في الوحدة التي ينبغي أن تتوافر في النص الشعري، كما ينبغي أن نفهم، وكما ينبغي أن نقيس به الشعر العربي وغيره من ألوان الشعر الغنائي، ما قاله مصطفى السحررتي عنها، فهي عنده «الرباط الذي يضم التجربة، والصور، والانفعالات، والموسيقى، والألفاظ في وشاح خفي أثيري، وبهذه الوحدة يتكامل القصيد وتدب فيه الحياة، وتلمح هذه الوحدة إبتداءً، من دوران أبيات القصيد دوراناً منطقياً شعرياً، وتنقل هذه الأبيات تنقلاً فكرياً، ويتأتى هذا الدوران المنطقي من

(١) قضايا النقد الأدبي، د. بدوي طبانه، المطبعة الفنية الحديثة، ص ٤٨ «بتصرف».

(٢) في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ج(٢)، ص: ٢٥١.

توفر التجربة الشعرية، وعرضها عرضاً جميلاً، وصياغتها صياغة محكمة - صياغة لا هي بالطريقة المجرجرة، ولا بالقصيرة الكاشفة، فإذا اختلطت التجربة، أوقف عليها اللبس اضطربت الوحدة وتخلع بنيانها»^(١).

ونحن في دراستنا للوحدة العضوية، ومن ثم تطبيقها على شعر السنوسي الإسلامي، نذهب مذهب الأستاذ مصطفى السحررتي في رؤيته للوحدة العضوية في القصيدة الغنائية، وذلك لأن الوحدة في الشعر القصصي والملحمي والمسرحي وحدة موضوع، أما الوحدة في الشعر الغنائي هي وحدة مشاعر وأحاسيس في المقام الأول، تقوى إذا التقت هذه المشاعر مع الموضوع.

وقد توافر لمعظم قصائد السنوسي - التي عينا بدراستها - وحدة الموضوع ووحدة المشاعر، وذلك لاستقلال معظم قصائده بموضوع واحد «تدور حوله الأفكار والمعاني، وتتجاوب مع المشاعر والعاطفة والخيال في البناء الفني للقصيدة وحينئذ يتلاءم المضمون في العمل الفني مع الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى والإيقاع»^(٢).

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى عبداللطيف السحررتي ط (٢)

١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص ٨١.

(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، ص ١٤٨.

وأكثر ما تبدو الوحدة العضوية واضحة وجلية في قصائده ذات النزعة القصصية، وليس أدل على ذلك من قصائده (ليلة الهجرة^(١)، عودة الماضي^(٢)، موكب السحاب^(٣)، أنشودة الصقر^(٤)، الفيلسوف والطائر الأعمى^(٥)، الكيان الكبير^(٦)، فارس الأحلام^(٧)، اليتيم السعيد^(٨)، وعصبة السفاح^(٩)).

وسنقتصر من هذه المجموعة على قصيدتين لنين من خلالهما معالم الوحدة العضوية في قصائده ذات النزعة القصصية .

ففي قصيدته (ليلة الهجرة) استلهم السنوسي بعض الأحداث التي شهدتها تلك الليلة العصبية، كما عرض لما ترتب على نجاة الرسول - ﷺ - من انتشار للرسالة الإسلامية بعد أن كثر أعوانه .

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦١-٢٦٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤-٥٦ .

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٥-١٣٢ .

(٤) المصدر السابق، ص ١٧٢-١٨٧ .

(٥) المصدر السابق، ص ٦٢٨-٦٣١ .

(٦) المصدر السابق، ص ٥٨٥-٥٨٩ .

(٧) المصدر السابق، ص ١٣٣-١٤٢ .

(٨) المصدر السابق، ص ٤٠٦-٤٠٩ .

(٩) جريدة الندوة، العدد (٦٤٠٨) في ١٤/١/١٤٠٠هـ .

والشيء الملحوظ في هذه القصيدة أن السنوسي لم يتعرض لكل الأحداث التي سايرت هجرة الرسول - ﷺ - إلى لحظة وصوله إلى المدينة المنورة، وإنما اكتفى منها بما يخدم موضوع قصيدته تلك، والتي تدور حول أثر ليلة الهجرة في انتشار أنوار الرسالة الإسلامية في آفاق المعمورة، وانحسار مد الظلم والطغيان الذي كان متفشياً فيها.

فهو يبدأ في تلك القصيدة بتمهيد بين فيه أثر تلك الليلة وفضلها وتفرداها دون سائر الليالي، ثم يعرض لبعض أحداثها، واصفاً تعاطف الطبيعة ومظاهر الكون مع الرسول - ﷺ - نلمس ذلك في قوله (١):

بين إشراقه الهدى من حراء	وانطلاق الشعاع نحو قباء
ليلة ماتنفس الصبح عن مث	ل سناها على ثرى الصحراء
فردة فذة تنوء بسر	أبيض في دجنة سوداء (٢)
جثمت حوله تضم جناحيه	هاحنوا عليه كالورقاء (٣)
والسكون العميق يملأ قلب ال	أرض والكون عامر بالرجاء
وعيون السماء من كل نجم	رصد للعصابة الرصداء
يطأ الأرض نورها في خفوت	ويرى لاثداً بكل خباء

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) دجنة : ظلمة .

(٣) جثمت : أي لزمتم مكانها ولم تبرحه .

كم أنفاسه الدجى واقشعر الـ ليل رعبا واريد وجه القضاء^(١)
 فالسنوسي في هذه الأبيات، يصف تلك الليلة منذ أن جثمت على
 الكون موارية بظلامها الكثيف رسول الله - ﷺ - ، ويصف تعاطف بعض
 مظاهر الكون والطبيعة مع الرسول - ﷺ - ، ويجسم خشيتها عليه . ثم
 ينتقل إلى إبراز المكيدة التي دبرها كفار قريش للقضاء على رسول الله -
 ﷺ - ويجلي موقفه من مكيدتهم ، فيقول^(٢) :

ومشت عصبه الجريمة والكيـ د إلى غاية لها نكراء
 رسموا خطة القضاء على النو روهبوا كالزعزع الهوجاء
 والرسول العظيم كالطود إيما نا وكالنجم في السنا والسنا
 يتحدى قوى الضلال بقلب عامر باليقين والأضواء
 رصدوا داره كما يرصد الجا ني وثاروا عليه كالغوغاء
 وطغى مكرهم فشاها وشاهت أوجه مزقت رداء الحياء
 ثم يعرض لنجاة الرسول - ﷺ - من تلك المكيدة ، ويصف مروره
 من بينهم بعد أن ذر على رؤوسهم التراب :

(١) كم : حبس ، واقشعر ، القشعريرة : الرعدة واقشعرار الجلد ، واريد : أي تغير لونه ، والريدة :
 الغيرة .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

ونجاسيد النبيين والرسد - بل محاطا بهالة بيضاء
 مر من بينهم مرور شعاع ال - سبرق بين السحابة الدكناء
 ورماهم بحفنة من تراب - كللت كل هامة جوفاء
 وانثنى ينفض التراب رجمال - نفض الله كيدهم في الهواء (١)
 ويصف ما ترتب على نجاة الرسول - ﷺ - ومعه خاتمة الرسالات
 السماوية من الواد، إذ مثلت تلك النجاة فتحاً مبيناً للرسالة الإسلامية، فقد
 كثر معتنقوها، وكثر الداعون إليها، والمدافعون والمنافحون عنها، نلمس
 ذلك في قوله (٢):

إنها الليلة التي ولد العا - لم في مهد فجرها الوضاء
 لاح في ثغرها الفلاح على الكو - ن وفاح الصلاح في الغبراء (٣)
 وسمت في صباحها عزة الإس - لام والمسلمين في علباء
 واستدار التاريخ يملئ على الدن - ياسطور الرسالة الغراء
 وفي الجزئية الأخيرة منها يصف انتشار الرسالة الإسلامية الواسع على
 أيدي معتنقيها من الصحابة الأبرار، أمثال خالد بن الوليد، وزيد بن حارثة،
 وعمرو بن العاص - رضوان الله عليهم - الذين حملوا مشعل العقيدة،

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٥.

(٣) الغبراء : الأرض لغبرة لونها، أو لما فيها من الغبار.

ليضيئوا به آفاق المعمورة، ويرسوا قيمها، ومبادئها، ومثلها. ويتجلى ذلك في قوله (١):

وإذا تلکم الصحارى حديث الـ فرس والروم من قريب وناء
وإذا تلکم الجزيرة يمتد سناها عبر الذرى والسماء
وإذا خالد وعمرو وزيد فلك دائر على الأجواء
يرسلون الضياء في كل أفق ويداون كل سقم وداء
وينيرون بالعدالة والإسلام درب الحياة والأحياء
ويهيئون بالشعوب إلى الحق نقيماً من دعوة الأدعياء
حملوا مشعل العقيدة والإيمان والعدل والحيا والوفاء
ونحن لو تأملنا هذه القصيدة التي استعرض فيها الشاعر بعض أحداث
الهجرة النبوية، وما أسفرت عنه من انبثاق فجر الرسالة الإسلامية في آفاق
المعمورة - لوجدنا الوحدة العضوية فيها بجميع مظاهرها. فموضوعها
الذي تدور حوله هو بيان أثر الهجرة النبوية في انتشار الرسالة الإسلامية،
كذلك تبدو مظاهر الوحدة في تسلسل الأحداث داخل تلك القصيدة.

فهو عرض - أولاً - لوصف تلك الليلة التي أمر فيها الرسول - ﷺ -
بمغادرة مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وجلّى تعاطف الطبيعة وبعض

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦٦-٢٦٧.

المظاهر الكونية مع شخص الرسول - ﷺ - وشخص مشاعر الرغبة والرغبة التي انتابت تلك المظاهر ، ثم تعرض بعد ذلك لبيان مكيدة كفار قريش ، وألح إلى خطتهم التي دبروها للإطاحة بسيد البشرية ورسالته . ثم يعرض للأثار التي ترتبت على نجاة الرسول - ﷺ - تلك الليلة ، وما واكب تلك النجاة من انتصارات خالدة سطرها معتنقو الرسالة الإسلامية - بعد أن كثر عددهم ، وقويت شوكتهم - في شتى أرجاء المعمورة .

ومن مظاهر الوحدة في هذه القصيدة ، استقصاء الشاعر للمعاني الخاصة بكل فكرة على حدة ، لذلك لانجد تكراراً للأفكار والمعاني في أحداث تلك القصة من أولها إلى آخرها . فقد رتب الشاعر الأفكار ثم وفي كل فكرة حقها من المعاني اللازمة بها .

وهذا كله دليل على بروز جانب الوحدة العضوية في هذه القصيدة التي استلهم فيها - من السيرة النبوية - بعض أحداث ليلة الهجرة النبوية .

وتتجلى الوحدة العضوية بجميع مظاهرها في قصيدته (الفيلسوف والطائر الأعمى) التي كانت دفاعاً منه عن العقيدة الإسلامية - ممثلة في أهم أسسها ، وهو الإيمان بوجود الله ، خالق هذا الكون ورازق كل ما فيه - ضد من أنكروا وجوده ، وربطوا كل مظاهر الحياة التي نعيشها بالمصادفة .

وقد بدأ السنوسي قصيدته تلك بعرضه لمزاعم القائلين بالمصادفة على لسان أحد فلاسفتهم فيقول (١):

زعموا أن فيلسوفا عظيما دائم الفكر راحلا ومقيما
كان من سخفه الكبير غرورا لا يرى للوجود ربا رحيفا
ويرى الأرض والسماء شموسا ويدورا تألقت ونجوما
والمحيطات والجبال وما هب وما دب طائرا وبهيما
كلها صدفه بها فاضت الأكـ وان لا خالق ولا قيوما
ثم يعرض السنوسي لوصف إحدى رحلات ذلك الفيلسوف ،
ورؤيته في تلك الرحلة لمشهد من مشاهد الحياة ، حمل في بداية الأمر دليلا
على مزاعم ذلك الفيلسوف ، فيقول (٢):

كان في رحلة فأدركه الأيـ من فالقى العصا يروم الجموما (٣)
وارتمى في ظلال أيك نضير وتراخى يحاول التهويما (٤)
فراى طائرا على فرع غصن غائر الناظرين أعمى سقيما

(١) المصدر السابق ، ص ٦٢٨-٦٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٢٩ .

(٣) الأين : التعب والإعياء ، ويروم : يطلب ، والجموم : الراحة .

(٤) التهويما : النوم الخفيف .

جائما فوق غصنه في سكون وهو مدوء لا يعرف التحويما
فرأى فيه للجحود دليلا واحتجاجا يعزز المفهومما
ويواصل السنوسي تقديمه لمزاعم ذلك الفيلسوف بعد أن رأى ذلك
المشهد:

واستخفت به الحماسة واستل قى من الضحك هازنا منهوما^(١)
كيف يقتات ذلك الطير إن را م طعاما محاولا أن يقومما ؟
كيف يسعى لرزقه كيف يمشي فاتحا محضرا وسينا وجيما^(٢) ؟
ثم يعرض للمفاجأة التي ترتبت على نهاية ذلك المشهد، والتي حملت
رداً قوياً وملموساً على مزاعم ذلك الفيلسوف التي رسخت في ذهنه^(٣) :
لم يرعه إلا حفيف جناح وصدى طائر يروم الخثوما^(٤)
ورآه مرفرفا في اعتناء يقصد الطائر الضرير المقيما
مد منقاره إليه وألقى في يديه المشروب والمطعموما
وغدا الطائران إلفا إلف مثلما يألف الحميم الحميما
ويصف الشاعر في نهاية هذه القصيدة تحول ذلك الفيلسوف من حالة

(١) منهوما : النهمة : بلوغ الهمة في الشيء .

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٦٣٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٣٠-٦٣١ .

(٤) الخثوما : الخثمة : أكمة صغيرة سوداء من حجارة .

الكفر والإنكار والجحود - التي كان عليها قبل رؤيته لذلك المشهد - إلى الإيمان بالله وتوحيده:

فإذا الفيلسوف من حكمة الله - ومن لطفه يخرو وجوما
فتهاوى خزيا وأمن بالله - تعالى .. وجل ريارحيما
ملهم الطائر البصير - أطمع الطائر الضرير العديما^(١)

فهذه القصيدة كما نرى قد تحققت فيها كل مظاهر الوحدة العضوية، فهي من بدايتها إلى نهايتها، معنية بتتبع ذلك الفيلسوف، وتحوله من حالة الكفر والجحود إلى الإيمان بالله خالقاً ورازقاً. كذلك تبدو مظاهر الوحدة في تسلسل الأحداث داخل القصيدة، فقد عرض الشاعر - أولاً - لمزاعم ذلك الفيلسوف الذي ينكر وجود خالق مدبر لهذا الكون بكل مظاهره، ثم يعرض لمشهد من مشاهد الحياة عزز في بادئ الأمر مزاعم ذلك الفيلسوف وقواها في عالمه، ثم بدأ في رصد التحولات في حياة ذلك الفيلسوف، بعد أن وقع بصره على ما قوض كل تلك الصروح التي اختزنها فكره، بعد رؤيته لذلك الطائر السليم وهو يد صنوه الضرير بالطعام والشراب؛ لينتهي به ذلك المشهد إلى الإيمان بوجود خالق مدبر لهذا الكون بكل مظاهره التي نبصرها، والتي لا نبصرها.

(١) الأعمال الكاملة، ص ٦٣١.

ومن مظاهر الوحدة العضوية في هذه القصيدة، استقصاء الشاعر للمعاني الخاصة بكل فكرة، فنحن لانجد تكراراً للأفكار والمعاني في أحداث هذه القصيدة التي جاءت في أسلوب قصصي جميل، يغري بمتابعته إلى حيث ينتهي، وعدم التكرار للأفكار والمعاني راجع إلى ترتيب الشاعر لها في ذهنه، ثم منحه لكل فكرة معانيها اللازمة لها.

وتبدو الوحدة العضوية - أحياناً - في بعض قصائده التي خلت من النزعة القصصية، ويأتي في مقدمة هذه القصائد، قصيدته (حطم المارد القيود) (١) و(اللحن السجين) (٢) و(آل سعود في التاريخ) (٣) و(انتصار الحرية) (٤) و(هوية الإنسان) (٥) و(خطر لاجئ) (٦) و(الليل والشاعر) (٧) و(وعقدة الأسي) (٨) وغيرها كثير في شعر السنوسي.

وقد توافرت الوحدة الفنية لهذه القصائد وغيرها، من خلال هيمنة إحساس واحد وشعور واحد على كل منها، وتضافر الألفاظ والصور في كل قصيدة من تلك القصائد لإبراز الإحساس أو الشعور المهيمن عليها.

(١) المصدر السابق، ص ٢٦-٣١.

(٢) ص ٩٥-٩٧.

(٣) ص ١٦٤-١٧١.

(٤) ص ٣٣٠-٣٣٤.

(٥) ص ٣٧٨، ٣٨٠.

(٦) ص ٤٧٦-٤٧٩.

(٧) ص ٤٨٠-٤٨٢.

(٨) ص ٥٦٧-٥٧٠.

ونقف في بعض قصائده الأخرى على هذه الوحدة ، إلا أنها لا تشمل النص بكامله ، وإنما تستقل بعدة أبيات منها ، فنرى تلك الأبيات بنية حية متماسكة ، تتصافر فيها الألفاظ والصور ؛ لتجلية المعنى الذي يرمي إليه ، أو إبراز الإحساس الذي اعتراه فيها .

ومن نماذج تلك الوحدة في بعض قصائد الشاعر ، قوله في قصيدته (رمضان) باناً شكواه لذلك الشهر الكريم من حالة الضعف التي تمر بها أمته الإسلامية ، واصفاً تهقورها أمام الأمم (١) :

رمضان معذرة فإن لا وراء ولا أمام
 نمنا وأسرى المدجورن وما عسى يجد النيام
 طال الطريق بنا وضل وهد منكبنا الزحام
 ولوى الطموح عنانه وانقد من يدنا الزمام
 سخرت بنا الأهواء وانطلقت تهقه في عرام (٢)
 وتخاذلت همم النفوس فلا انطلاق ولا اقتحام
 حال يغص بها الكرام شجى وينتهج اللثام
 فالشاعر - كما هو ملاحظ هنا - قد استوفى عناصر الفكرة التي أراد التعبير عنها ، فهو هنا يصف حالة التهقر التي تمر بها الأمة الإسلامية على

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٢٦-٣٢٧ .

(٢) تهقه في عرام : أي تضحك بشدة إمعاناً في السخرية .

مرأى ومسمع من أبنائها ، وقد تظاهرت الألفاظ والصور في تلك الأبيات في إبراز تلك الفكرة وذلك الإحساس الذي هيجته في عالمه إطلالة شهر رمضان المبارك وذكريات أول انتصار للمسلمين على الكفر والطغيان .

ونقف على تلك الوحدة في بعض أبيات من قصيدته (جهاد واتحاد) كما في قوله واصفا تحفز أبناء فلسطين للجهاد (١) :

فعلى شاطيء القناة وفي الأبر	دن نهرا وقمة ووهادا (٢)
نفر يغزلون للنصر فجرا	عريبا يحوسناه السوادا
نفر أقسموا بربهم الأعـ	لى يمينا لأرضهم أن تعادا
وقفوا كالجبال حزما وعزما	وتحدوا الطغاة والمـرادا
وتباروا إلى اللظى والمنايا	يرخصون الأرواح والأجسادا
لا يقيمون للصواريخ وزنا	حين تنقض جملة أو فرادا
في الطريق الرهيب طاروا صقورا	ومشوا في ظلاله أسادا

فالوحدة التي نشدها قائمة في هذه الأبيات ؛ لأن الفكرة التي تدور حولها الأبيات السابقة واحدة ، وتمثل في تأكيد استعداد أبناء فلسطين لملاقاة عدوهم وتحفزهم له ، وقد أسهمت الصور الجزئية التي استعان بها السنوسي في هذه الأبيات في رسم معالم الصورة الكلية التي حققت تلك الوحدة .

(١) الأعمال الكاملة : ص ٤٩٠-٤٩١ .

(٢) الوهاد : المكان المظلم من الأرض والمنخفض كأنه حفرة .

الفصل الرابع

الشكل والصورة في الشعر الإسلامي

المبحث الأول

المعجم الشعري

المعجم الشعري

من الأمور البديهية في عالم الشعر أن لكل شاعر معجمه الذي يظهر لنا عن طريقه مفهومه للكون المحيط به ويحدد علاقاته بالآخرين ، ولعل هذا لا يكاد ينطبق إلا على الشاعر المبدع الذي لا نرى فيه صورة غيره ، وإن كنا نؤمن بوجودها في مسيرة الشاعر الشعرية قبل أن يتم له النضج (١) ، وهذا نفسه ينطبق على شاعرنا ، فبداياته الشعرية نلمس فيها احتذائه لشعرائنا القدماء - من العصر الجاهلي والأموي والعباسي - في حبكهم للقصيدة وبنائها وإثارهم للألفاظ الجزلة والفخمة فيها . ومرد ذلك لقراءاته الأولى التي أبان عن أثرها في شعره بقوله : « ولعل قراءتي الأولى للشعر كانت المعلقات ، ثم وجدت في مكتبة والدي مختارات البارودي بأجزائها الأربعة ؛ فكانت مدرستي وجامعتي الأدبية ، فنهلت من شعر الشعراء الذين ضمت أشعارهم تلك المختارات حتى استقامت في لساني ، وجرت على قلبي الكلمة العربية الأصيلة في أسلوبها الفني وديباحتها » (٢) .

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد عبدالله صالح المحسن ، ط (١) ١٤١١/٧/١ - ١٩٩١/١/١٦ م ، ص ١٦١ «بتصرف» .
(٢) مجلة الفيصل ، العدد (٧٣) ، رجب ١٤٠٣ هـ ، في حوار أجراه معه أحمد عائل فقيه .

وكما تأثر معجم شاعرنا بقراءاته في كتب التراث ، والمختارات والدواوين الشعرية لشعرائنا القدماء ، تأثر أيضاً بواقعه وعصره الذي يعيشه ، « ذلك لأن الشاعر يعيش وسط المجموع ، وفي إطار فترة تاريخية تتميز عن سابقتها ولاحقتها بميزات أهمها التطور الحضاري ، الذي يؤثر بصورة أو بأخرى بكل مجريات الحياة ويطبعها بالطابع العصري» (١) ولم يكن الشعر بمنجاة من هذا التطور الذي أثر في مجريات الحياة خاصة في ألفاظه (٢) .

والذي يعيننا في هذه الدراسة هو الوقوف على معجم شاعرنا الإسلامي ، ومحاولة الإمام بالروافد التي شكلت ذلك المعجم في شعره الذي عينا بدراسته . ولعل التأمل في شعر شاعرنا الإسلامي يقف على عمق أثر ثقافته الإسلامية في ثراء معجمه الشعري الإسلامي ، وتعدد مصادر ذلك المعجم . وسنقتصر - في دراستنا - على ما يؤكد تأثر معجم شاعرنا بمصادر ثقافتنا الإسلامية .

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية، ص ١٧١ .

(٢) يقول الدكتور عبدالقادر القط عن الشعر إنه «يتأثر بالتطور الحضاري ، وإن لم يتخذ صورة تغير حاسم من مرحلة إلى أخرى» الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ط(٢) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٣٥٠ .

أولاً : الاقتباس من القرآن الكريم :

يقول السنوسي في قصيدته (أم القرى) التي كانت صدى واستجابة لذلك التجمع الإسلامي الذي شهدته مكة المكرمة ، في أول مؤتمر يجتمع فيه المسلمون لمناقشة أوضاعهم المختلفة ، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لما يعانونه من جراء حالة التفرق والتشتت التي شلت قواهم ، وأفقدتهم عزتهم ومنعتهم :

أنست فيه سنا من القبس الذي موسى تشوفه هدى وتنورا (١)
فمعظم ألفاظ هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وهل أتاك حديث
موسى ، إذ رأى نارا ، فقال لأهله امكثوا إنني آنست نارا لعلني آتيكم منها
بقبس أو أجد على النار هدى ﴾ (٢) .

وفي قصيدته (حطم المارد القيود) يصف السنوسي مشاركة إخوانه العرب ، في دحر العدوان الثلاثي ، وتأميم قناة السويس إلى جانب إخوانهم في مصر :

أسفر الحق من وراء الأباطي — ل وسرنا يحد وسرانا الفلاح
واعتصمنا بعروة الوحدة الوث — قى وشدت على القلوب الصفاح (٣)

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٥ .

(٢) سورة طه، الآية ٩ - ١٠ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٣٠ .

فلفظتا (العروة ، الوثقى) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ (١).

وفي قصيدته (بطولة الجزائر) يؤكد إيمان أبناء الجزائر بقضيتهم ، وأحقيتهم باستعادة أراضيهم التي ظن المستعمر البغيض أنها امتداد لأراضيهم ، واصفا شجاعتهم وبسالتهم :

هنا جبهة التحرير والحق والهدى تخر النواصي عندها وتصاب (٢)
فلفظة (النواصي) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ (٣).

ويميضي شاعرنا في نفس القصيدة ، مؤكدا ومعتمدا إيمان الجزائريين بقضيتهم ، وتصميمهم على دحر طغيان فرنسا ، وتحسيسها بمرارة الهزيمة ولوعات الذلة والانكسار ، قائلا :

هنا النار زاد للجياح وها هنا حميم لأكباد الظماء شراب (٤)
فلفظة (حميم) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ (٥).

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٠ .

(٣) سورة الرحمن ، الآية ٤١ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ١٩١ .

(٥) سورة يونس ، الآية ٤ .

وفي قصيدته (تأميم وتصميم) التي كانت صدى لذلك التكتل العربي في وجه العدوان الثلاثي الذي شتته بريطانيا وحليفاتها على مصر. يقول مستنكراً على لسان الملك فيصل - رحمه الله - تلك الفعلة الشنيعة ، متناسية مواقف البلدان العربية - بما فيهم السعودية - الجميلة معهم في حروبهم مع الألمان :

فيا خلعاء السين والمنش إننا نذكركم لو تنفع الغادر الذكرى (١)
فألفاظ الشطر الثاني من هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ (٢).

وفي قصيدته (اليوم الخالد) التي كانت استجابة لذلك المشهد الروحاني الجميل ، الذي يجتمع فيه المسلمون من كل حذب وصبوب ، في وحدة رائعة في الوجهة ، والنزي ، والغاية . يقول السنوسي :
من كل فج أقبلوا حسرا شوقا إلى البيت العتيق الحرام (٣)
فلفظ (فج) مأخوذة من قول الله تعالى : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ (٤).

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٦٠ .

(٢) سورة الأعلى ، الآية ٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤٨ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٢٧ .

ويستلهم موقف الرسول -ﷺ- في ذلك اليوم الخالد وخطبته التي أتم بها للمسلمين رسالة ربهم إليهم قائلا :

اليوم أكملت لكم دينكم وتمت النعمة فيكم تمام (١)
فألفاظ هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (٢).

وفي قصيدته (دعوة الحق) التي يرد فيها على متهمي الدين بالجمود والرجعية يتذكر ماضي الإسلام والمسلمين بقوله :

وكنا خير أمته خلالاته بدين محمد متمسكيننا (٣)
فمعظم ألفاظ الشطر الأول مأخوذة من قوله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (٤).

ويؤكد في نفس القصيدة وضوح الدين الإسلامي بقوله :

طريقا واضحا لا أمت فيه ولا عوجا هداة مهتديننا (٥)

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٤٩ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٣ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

(٥) الأعمال الكاملة، ص ٥٥٤ .

فلفظتا (عوجا ، أمتا) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ (١).

وفي قصيدته التي خص بها أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - يقول :
سيرا - فديتكما - سيرا إلى بلد لله في حواريون أنصار (٢).

فلفظتا (حواريون ، أنصار) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ (٣).

ويقول في نفس القصيدة :

هذا وقد جاء نصر الله منبلجا وأشرقت بالهدى دور وأمصار (٤)

فالألفاظ (جاء نصر الله) من قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ (٥).

وفي قصيدته (هي الجزيرة) يؤكد دعوة الدين الدائمة إلى الحق بقوله :

(١) سورة طه ، الآية ١٠٧ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٥ .

(٣) سورة الصف ، الآية ١٤ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٣٦ .

(٥) سورة النصر ، الآية ١ .

دين إلى الحق يدعو كل ذي شطط

ودعوة الحق لا تعنو لجبار (١)

لفظة (شطط) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وأنه كان يقول سفيها

على الله شططا ﴾ (٢).

وفي قصيدته (قوس حاجب) يحث المسلمين على الوحدة ومن ثم

تجديد عزة الإسلام عن طريق الجهاد وقيادة العالم من جديد ، مبلغين رسالة ربهم ، مؤكدا لهم أنهم يستطيعون ذلك فالوقت لازال فيه متسع لهم :

وفي الخضم لمن شدت سواعده سبح يهون به التيار مصطخبا (٣)

لفظة (سبح) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ إن لك في النهار

سبحا طويلا ﴾ (٤).

ويقول في قصيدته (بطولة الجزائر)

وإن لم يكن إلا عتو وغلظة فليس لنا إلا الرصاص جواب (٥)

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣١٢ .

(٢) سورة الجن، الآية ٤ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ١١١ .

(٤) سورة المزمل، الآية ٧ .

(٥) الأعمال الكاملة، ص ١٩٩ .

فلفظتا (عتو ، غلظة) مأخوذتان من قوله تعالى : ﴿ أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ (٢).

وفي نفس القصيدة يقول :

فكل ريال من يدك رصاصة لكل فرنسي طغى وعذاب (٣)
فلفظة (طغى) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ (٤).

ويقول في قصيدته (إفاقة) :

كان على الإنسان ضربة لازب عبور الطريق الوعر مهما تزودا (٥)
فلفظة (لازب) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ (٦).

وفي قصيدته (أبي) يقول :

وتدجى الدجى الكثيف بجلبا ب التياعي وسابغات حداد (٧)

(١) سورة الملك ، الآية ٢١ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٣ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٦ .

(٤) سورة النازعات ، الآية ١٧ .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٣٦٤ .

(٦) سورة الصافات ، الآية ١١ .

(٧) شعراء من الجنوب ، ص ٩٧ .

فلفظة (سابغات) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ أن اعمل سابغات
وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير ﴾ (١).

وفي قصيدته (فرحة اليمن) التي كانت صدى جميلاً لروح الأخوة
الحقة التي سادت بين الأشقاء في اليمن ، بعد سنوات من الشقاق والحروب
الأهلية المدمرة يقول :

وتريق فوق النار ثجاجا _____ سخى المعصرات (٢)

فلفظتا (ثجاجا ، المعصرات) مأخوذتان من قوله تعالى :
﴿ وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا ﴾ (٣).

وفي قصيدته (أبي) التي كانت دمعة حرى كاوية ، أراقها رحيل والده
ومغادرته الحياة الدنيا . يقول :

وارسل الطرف رائدا يرجع الطر ف حسيرا ولن ترى غير باد (٤)
فلفظة (حسير) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ ثم ارجع البصر كرتين
ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾ (٥).

(١) سورة سبأ ، الآية ١١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٠٦ .

(٣) سورة النبأ ، الآية ١٤ .

(٤) شعراء الجنوب ، ص ٩٦ .

(٥) سورة الملك ، الآية ٤ .

وعلى لسان فرسان الحرس الوطني يقول :

إي ورب العاديات في الضحى والموريات
والمغيرات صباحا ومساء كالبزات^(١)

فالألفاظ (العاديات ، الضحى ، الموريات ، المغيرات ، صباحا)
مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات
صبحا ﴾^(٢) .

وفي قصيدته : (بطولة الجزائر) يقول :

أخي إنها أرضي وأرضك أشرفت بأبائنا طوبى لهم ومآب^(٣)
فلفظنا (طوبي) و (مآب) مأخوذتان من قوله تعالى :
﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾^(٤) .

ومن مظاهر اقتباسه من القرآن ذكره لعدد من الأنبياء والرسل ،
وإشارته لبعض قصصه لأخذ العبرة منها . حيث نجد في معجمه أسماء
بعض الرسل والأنبياء . نلمس ذلك في قوله :

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٧٩٢ .

(٢) سورة العاديات ، الآية ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٦ .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٩ .

ميلاد (عيسى) ومسرى (أحمد) وهدى

(موسى) ومجمع خطابي ومقدادي (١)

وقوله :

مقام (إبراهيم) سامي الخطى وحجر (إسماعيل) نعم الغلام (٢)

وقوله :

أجل إنه ما زال شرخا ولم تزل بفي القوافي من مزامير (داوود) (٣)

وقوله :

(يوسف) كان الجمال له محنة والطهر في أزره (٤)

ومن قصص القرآن التي أشار إليها السنوسي قصة (عاد وثمود) في

وصفه لشجاعة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وهمته التي دفعت به إلى

مواجهة الأخطار في سبيل استعادة ملك آبائه وأجداده من الذين اغتصبوه

منهم ، وعملوا على نشر الظلم في أنحاءه :

والشرى تسرح في أشباحه العماليق وعاد وثمود (٥)

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٤٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

وإشارته إلى قصة (قارون) الذي أهلكه الله عقاباً له على طغيانه ،
بسبب ما وهبه الله من أموال :

مضت منذ قارون بنا وحياتنا تدور على أهوائها وتسير (١)
وهناك ألفاظ قرآنية يكثر الشاعر من تكرارها ، منها ما يتعلق بأصول
العقيدة مثل : الهدى ، التقى ، البر ، الإيمان ، التوحيد ، التكبير ،
التهيل ، وما يقابلها من ألفاظ الشرك والكفر .
وكذلك العبادات مثل : الصلاة ، الصوم ، الحج ، الركوع ،
السجود . بالإضافة إلى الألفاظ التي تتعلق باليوم الآخر مثل : النار ،
الحساب ، الجحيم .

ومن شواهد ذلك قوله : (٢)

رصيد الحياة الخير والبر والتقوى وكل رصيد غيرهن قشور
وقوله : (٣)

فللدين فضل في الحياة لأنها بغير الهدى تغدو جحيماً به نصلى
وقوله : (٤)

قدمي ثابت يوطئ هذه الإيب — مان بالله والنهي والحقوق

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .

- وقوله : (١)
- هلل الكون على أصدائها واستهل النصر وافتتر السعود
- وقوله : (٢)
- تملاً بالتكبير قلب السما على اختلاف في اللغى والكلام
- وقوله : (٣)
- في حياة طليقة الخطولكن في حدود الرشاد والتوحيد
- وقوله : (٤)
- ظن الصيام عن الغذاء هو الحقيقة في الصيام
- وقوله : (٥)
- حج كما شاءت نفوس الورى مبراً من كل عيب وذام
- وقوله : (٦)
- تسـمـو بهـا الصلوات والدعوات تضطرم اضطرام

(١) المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .

(٥) المصدر نفسه ص ٤٥١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .

وقوله : (١)

ملك لم يطأ طئ الرأس إلا في ركوع لربه أو سجود

وقوله : (٢)

صبينا عليه النار صبا فأجفلت

تهاوى ورحنا نحصد الشرك والكفرا

وقوله : (٣)

وأنت ملاق كل شيء عملته جزاء وفاقا والحساب عسير

ثانياً : الاقتباس من الحديث النبوي :

تأثر معجم السنوسي الشعري بالحديث النبوي كما تأثر بالقرآن الكريم، إلا أن تأثيره لم يكن بنفس العمق، ويبدو لي أن سهولة حفظ آيات القرآن الكريم وسوره، ومن ثم تلاوة تلك الآيات والسور في عباداته وبالأخص في صلواته الخمس كانا وراء ذلك الأثر والعمق .

ومن مظاهر تأثر معجم السنوسي بالحديث النبوي قوله عن عمر بن

الخطاب - رضي الله عنه - :

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٥ .

(٣) المصدر السابق، ص ٥٤٢ .

العبقري الذي يخشى صرامته

(١) إبليس أني مشى في السهل والجلد

فلفظة (عبقري) مأخوذة من قول الرسول - ﷺ - : (أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قلب فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له . ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربياً ، فلم أر عبقرياً يفري فريه ، حتى روى الناس وضربوا بعطن) (٢) .

وقوله في قصيدته (إلى غزاة الفضاء) :

مدينة النور عاد النور منطلقاً

من لا بتيك قويا مثل ما كانا (٣)

فلفظة (لابة) مأخوذة من قول الرسول - ﷺ - (إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاها ، أو يقتل صيدها . . .) (٤) .

وقوله في قصيدته (جامعة سعود) :

بخ بخ يا شباب الضاد إن لكم

من الثقافة إكسيراً من الهرم (٥)

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٢٢ .

(٢) فتح الباري ، كتاب فضائل الصحابة ، ج (٧) ص ٤١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٣٩٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (١) ص ١٨١ .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٢٩٥ .

فقوله (بنخ بنخ) مأخوذ من قول الرسول - ﷺ - : (بنخ بنخ) لخمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده . .) (١) .

وقوله في قصيدته (أمامك دنيا) :

حياتك أن تلقى الحياة بهمة

تخوض الخضم العد والشمذ الضحلا (٢)

فلفظة (ثمذ) مأخوذة من قول الرسول - ﷺ - : (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت به قال : فعدل عنها حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء . . .) (٣) .

ثالثاً : إقتباسه من التاريخ الإسلامي :

يعد تاريخنا الإسلامي بأحداثه المختلفة من المصادر التي أثرت معجم شاعرنا الإسلامي .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ص ٢٣٧ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٩ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد (٤) ص ٢٢٩ .

والتأمل في تجارب السنوسي الشعرية يقف على استدعائه لبعض شخصيات تاريخنا وأحداثه ، كما يجد ذكراً لبعض الأماكن التي وقعت فيها بعض الأحداث المهمة في تاريخنا الإسلامي . فمن الشخصيات التي استدعاها وضمنها في تجاربه الشعرية شخصية أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي ابن أبي طالب ، والزيير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح ، والمثنى بن حارثة ، وأسامة بن زيد ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمار بن ياسر ، وخولة بنت الأزور ، وموسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وصلاح الدين الأيوبي ، وسيف الدولة الحمداني . . . وغيرهم . ومن شواهد ذلك قوله :

في ردة لا (أبا بكر) يصولها

ولا يقاومها (عمرو) و(عمار) (١)

وقوله :

ملك في إهابه (عمر) الفا روق رمز الرشاد والعبقريه (٢)

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥٤٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٢ .

وقوله :

إيه يا أخت (خولوة) و (المثنى)

قد رفعا بك الرؤوس اعتددا (١)

وقوله :

أنجبت (خالدا) و (سعدا) ومازا

لت مدى الدهر تنجب الروادا (٢)

وقوله :

و (علي) و (طلحة) و (المثنى)

و (أبو حفص) والشهيد ابن (ياسر) (٣)

وقوله :

أ (أبو عبيدة) في الكتيبة صائل

أم (خالد) يسقي الكماة منونا (٤)

وللأماكن التي شهدت بعض الأحداث المهمة في تاريخنا الإسلامي

والغزوات والمعارك الهامة وجود في معجمه الشعري .

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨١ .

(٤) شعراء الجنوب ، ص ١٠٥ .

ومن شواهدنا على ذلك قوله :

بين إشراقة الهدى من (حراء) وانطلاق الشعاع نحو (قباء)^(١)
وقوله :

وثق أن للإيمان بالحق قوة

وأن له في كل معركة (بدر)^(٢)

وقوله :

ومن رباها رباها الطاهرات ثرى

تنفس الصبح من (بدر) ومن (أحد)^(٣)

وقوله :

يا لها أمة أعادت إلينا

ذكريات (اليرموك) و (القادسية)^(٤)

وقوله :

فكانت (الجمل) الشوهاء عاصفة

لم تبق ركنا ولم تترك عرى وتد

وشق (صفين) صف المسلمين إلى

صفين يضرب بعض بعض في حرد^(٥)

(١) الأعمال الكاملة، ص ٢٦١ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٢ .

(٣) المصدر السابق، ص ٥١٥ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٣ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٢٤ .

المبحث الثاني

الأسلوب

الأسلوب

تعددت الأساليب في تجارب السنوسي الشعرية تعدداً واضحاً وملموساً، ولعل في ذلك التعدد دليلاً على سعة ثقافة الشاعر وشمولها، ومقدرته في اختيار الشكل أو الإطار الملائم لكل تجربة من تجاربه؛ وذلك لإدراكه بأن لكل تجربة معجمها الخاص بها، وصورها، وموسيقاها، فما يصلح من تلك العناصر لتجربة لا يصلح - في الغالب - لتجربة أخرى .

ومن المعروف أن الأسلوب (الإطار) والأفكار والمعاني (المضمون) هما: الدعامتان الأساسيتان لكل عمل أدبي، رغم اختلاف النقاد قديماً وحديثاً حول هاتين الدعامتين ممثلتين في (اللفظ والمعنى) وانقسامهم حيالها إلى فئتين: فئة تناصر اللفظ وبلاغته مقدمة إياه على المعاني، كأبي عثمان الجاحظ، وأبي هلال العسكري وغيرهما. ومن المحدثين الأستاذ مصطفى صادق الرافعي. وفئة تناصر المعاني فتقدمها، وتجعل الألفاظ تابعة لها، ويأتي في مقدمة هذه الفئة، ابن قتيبة، وعبدالقاهر الجرجاني، ومن المحدثين الدكتور زكي مبارك، ورغم ذلك الإختلاف حول اللفظ والمعنى، أو (الإطار والمضمون) إلا أن الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان «أنه لا انفصال بين الإطار والمضمون، بل هما مترابطان أشد ما يكون

الترابط ، وامتزجان في كل تعبير مقصود أقوى ما يكون الامتزاج»^(١) نظراً
للصلة الوثيقة بين المعاني وطريقة التعبير عنها بالألفاظ ، وللعلاقة القوية
القائمة بين الدال والمدلول .

فصاحب الصياغة الفنية - مهما حرص على إبراز صياغته -
لايستطيع - بأي حال من الأحوال - إغفال الأثر الذي يتركه المعنى في
العمل الفني ، وكذا الحال مع الذي يُغلب جانب المعاني على الألفاظ ،
فهو لايستطيع - أيضاً - إنكار ما للصياغة من دور فعال ومؤثر في
عمله الفني .

وقصارى القول في هذه القضية أنه متى ما «استطاع الأديب أن يطابق
بين بلاغتي اللفظ والمعنى فقد جمع بين الحسنيين ، . . . أما إذا فرغ في
جانب دون جانب فإنه لن يسلم من ألسن الناقدين»^(٢) .

والشعر الجيد هو الذي يمتاز بتجانس الألفاظ والمعاني ، فترق تلك
الألفاظ في المواضع التي تتطلب تلك الرقة ، وتجزل وتشتد في المواضع التي
تتطلب تلك الشدة والجزالة .

وإذا نحن تتبعنا ألفاظ شاعرنا التي استعان بها لأداء تجاربه الشعرية

(١) قضايا النقد الأدبي ، د. بدوي طبانة ص ١٧٢ .

(٢) بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، د. محمد نبيه حجاب ، ط (٢) ١٤٠٦ هـ -

١٩٨٦ م ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة .

فإننا سنقف على مدى توفيقه في اختيار الألفاظ الملائمة لكل تجربة من تجاربه، حيث ترق تلك الألفاظ في بعض التجارب التي تتطلبها، وأكثر ما تتجلى تلك الألفاظ في وصفه، وشكواه، وغزله، وراثته، وتشد وتجزل في فخره بماضي أمته، ومدحه، وفي تجاربه التي كانت صدى للحملات الاستعمارية الشرسة التي شنتها أوروبا على عالمنا العربي والإسلامي.

ففي وصفه نجده يلائم بين رهافة حسه ورقة معانيه، وبين ما يختاره لها من ألفاظ تتسم بالركة والعدوبة كما في قوله واصفاً الجو الروحاني السائد في الحرم المكي الشريف قبل اقتحامه من قبل الفئة المارقة (١):

في سنا الفجر في انبلاج الصباح	والهدى في عبيره الفواح
والورى يستظل في كنف اللـ	ه وفي يته بخير جناح
زمرا بين طائف ومصل	ومنيب إلى نداء الفلاح
يستمدون من ندى رحمة اللـ	ه وغفرانه بكف وراح
وسكون الأرواح بين يديه	خاشعات في بهجة وانسراح
وحفيف الملائك الطهر ينسا	ب على المسلمين في خير ساح

فالألفاظ المستخدمة في وصف الشاعر لذلك الجو ألفاظ سهلة رقيقة رشيقة الجرس، تلائم الجو الروحاني الذي عني بتجسيده في وضوح

(١) جريدة الندوة، العدد (٦٤٠٧) في ١٤/١/١٤٠٠ هـ.

تام ينبئ عن رقة طبعه ورهافة ذوقه ، نلمس ذلك في مثل قوله : (انبلاج الصباح) و (عبيره الفواح) و(الورى يستظل في كنف الله) و(منيب إلى نداء الفلاح) و(سكون الأرواح) و(خاشعات في بهجة وانسراح) و(حفيف الملائك الطهر ينساب). ونستمع إلى مثل هذه الألفاظ الرشيقة العذبة في قوله واصفاً كلام أحد ابنائه الصغار (١):

وزقا يطلب قربي	رفرف العصفور جنبي
وهدى ناعم الخط	وهدى ناعم الخط
وأراق اللحن في سم	وأراق اللحن في سم
فتلفت إلى صو	فتلفت إلى صو
شد إحساسي وأنفا	شد إحساسي وأنفا
إلى أن يقول :	

إنها أفصح من أف	صح شعر المتنبي
إي وربي إنه ابني	إنه عصفور قلبي
ونجد في مناجاته ألفاظاً رقيقة ، عذبة ، سهلة ، نستمع إليها في مثل قوله من قصيدة (رمضان) (٢):	

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٦٩ - ٣٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

رمضان يا شهر الصيا
م الحر من أسر الظلام
أطلق بأضواء الهدى
أسر النفوس من الحطام
وأرب قدسي الصفا
رؤى الحياة من القتام (١)
وانضح عواطفنا تقى
واغمرنوا زعنا وئام

فالألفاظ هنا واضحة ، قريبة المأخذ ، حلوة الجرس ، نلمس ذلك في قوله : (الظلام) و(أسر) و(الحطام) و(قدسي الصفاء) و(رؤى الحياة من القتام) و(عواطفنا) و(وئام) .

وفي بعض قصائده الوطنية نقف على ألفاظ رقيقة ، واضحة ، ومن ذلك قوله (٢) :

هتفت والشعور روح وراح
ويك غرد فقد أضاء الصباح
الصباح الذي له من منى النفس
س انبلاج ومن هواما انصباح
قف على قمة الزمان مع التأ
رينخ واهتف يهزك الارتياح (٣)
وتأمل شواطئ النيل والبش
رى على ضفتيه والأفراح
هدأت ثورة الخضم وقمرت
ونجا بالسفينة الملاح

(١) القتام : الغبار .

(٢) الأعمال الكاملة ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) الارتياح : السرور والنشاط .

فالشاعر هنا يشارك إخوانه في مصر فرحتهم بتأميم قناة السويس وطرده البريطانيين منها. مظهراً فرحته تلك، بألفاظ رشيقة، تحمل جرساً رقيقاً يتناسب مع جو الفرحة التي يعيشها، وتبدو تلك الألفاظ في مثل قوله: (أضياء الصباح) و(له من منى النفس انبلاج) و(من هواها انصياح) و(يهزك الارتياح) و(البشرى على ضفتيه والأفراح).

ونقف في رثائه وشكواه من حاضر أمته الأليم على ألفاظ رقيقة موحية تشاكل الموضوع وتناسبه، ومن ذلك وصفه لحزنه الساري بين جوانحه في قوله رثياً أباه (١):

حاطني يا أبي بفقلك ليل أدني طوله وأعياسه هاد
سلب النوم من جفوني وأورى بفؤادي جمر الغضا والقتاد
وفي قوله :

صور تبعث الأسى وعهود أنا منها في حرقه واتقاد
رددت صوتي السماء ولم أسـ مع جوابا فمن تراني أناد
وملات الفضا جهشة بك رجعتها الرياح في كل واد

فالشاعر في هذه الأبيات يعبر عن الأسى والحزن الذي ألم به؛ نظراً لوفاة أبيه، بألفاظ تقطر ألماً، فيها كثير من الإيحاءات الموجعة، وتتجلى

(١) شعراء الجنوب، ص ٩٦ - ٩٧ .

تلك الإيحاءات في قوله: (أدني طوله) و(أعيا سهاد) و(سلب النوم من جفوني) و(أورى بفضادي جمر الغضا) و(صور تبعث الأسي) و(جهشة باك).

وفي فخره بماضي أمته ، وإشادته بالرسالة الإسلامية ، وكثير من شعره الوطني ، نقف على ألفاظ تخالف ما سبق أن أشرنا إليه ، وأهم ما يميز هذه الألفاظ الشدة والجزالة الملائمتان لمعاني تجاربه . ومن ذلك قوله مشيداً بالرسالة الإسلامية (١) :

نور تألق من نور فـرق به

قلب الحياة ويض الصخر بالبرد (٢)

وفاض عبر شعوب الأرض مندفا

يحي القلوب ويشفي ثغر كل صدي

جري فأخصبت الدنيا ندى وهدى

تمازجا كما متزاج الروح بالجسد

وأشرقت بآبن عبد الله وأتلفت

رسالة الله زاه نورها الصمدي

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥١٥-٥١٦ .

(٢) بض : سال .

ففي هذه الأبيات تظهر ألفاظ قوية فخمة تناسب مقام الإشادة بالرسالة الإسلامية . مثل : (بض الصخر) و (وفاض عبر شعوب الأرض مندفعاً) و (زاه نورها الصمدي) .

ومثل هذه الألفاظ القوية الفخمة نجدها في قصائده التي كانت صدى لبعض الحملات الاستعمارية الشرسة ، كما في قوله (١) :

أثرها على المستعمرين وشنها

لظى تشعل الأجواء والبر والبحرا

فقد أصلت منك الكنانة صارما

وأطلق منك النيل في جوه نسرا

وهبت أعاصير العروبة والردى

على المارد الجبار تعصره عصرا

وثارت شعوب الأرض للحق غضبة

على حلفاء البغي تمطرهم زجرا

صراع يهز الغرب رعبا وثورة

تدوس الهوى والطيش والتهيه والكبرا

فالأبيات التي أمامنا تحفل بألفاظ جزلة قوية تحمل دلالات التهديد والإنذار للمستعمر الغادر، وتركيبات تكشف عن ثورته الحماسية، فيشحن

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٥٣ .

حديثه بالألفاظ الطنانة الثائرة، المليئة بالإيقاع والحركة . مثل : (أثرها على المستعمرين) و(شنها لظى) و(تشعل الأجواء والبر والبحرا) و(تمطرهم زجرا) و(يهز الغرب رعبا وثورة) و(تدوس الهوى والطيش والسيه والكبرا).

ويمكننا بعد هذه الإمامة أن نقول : إن السنوسي قد استطاع أن يحقق في شعره سلامة اللفظ وفصاحته ووضوحه ، وأنه قد وفق - كثيراً - في الملائمة بين ألفاظه ومعانيه .

وأسلوب السنوسي - كما أفصحت تجاربه - عربي محض ، لا تشوبه شائبة عجمه ، ولا ترى عليه أثارة سخر . ولعل السبب في ذلك راجع إلى تمكنه من اللغة ، وإمساكه بناصية الكلام ، لذلك نسمع في أسلوبه موسيقى عذبة النغم ، مستوية الجرس ، لانحس فيها نبواً ولا شذوذاً .

وكثيراً ما يكون أسلوبه خطابياً ، يغلب عليه التنويع والتقطيع ، فاسترسال وتوقف أو التفات أو اعتراض ، وإخبار أو تعجب أو إضراب ، فإذا جلجلة يتنوع فيها النغم ، وتتابع الحركات في رشاقة وإسراع ، نسمع لمثل ذلك في قوله من قصيدته (اليقظة العربية) (١) :

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

يا دعاة السلام تلك فرنسا
تحدى مشاعر البشريه
تحرق الأرض باللهيب وتشو
بها جهارا وتصلب الحريه
وهي في ظلكم تروح وتغدو
أفلاتزجرون تلك الشقيه ؟
أنقيمون مآتما يملا الكو
ن ضجيجا لكلبة روسيه ؟
وتصموا أذانكم عن عويل
صارخ في الجزائر العربيه
يا لها دعوة يصلي لها الذئ
ب إماما بين الصفوف التقيه ا

وهناك ظواهر أسلوبية متنوعة قد يشترك فيها كثير من شعراء العربية، إلا أنهم يتفاوتون في تناولها من شاعر إلى آخر من ناحية الكم والكيف، ويجد الدارس لشعر أحد الشعراء جملة من الخصائص اللفظية التي تكون عبارته الشعرية، وتكرر هذه الخصائص حتى تصبح سمة بارزة، ولازمة من لوازم أسلوبه.

ومن أبرز الظواهر الأسلوبية في شعر (السنوسي) الإسلامي ما يأتي :

الاقتباس من الأسلوب القرآني:

يقف المتأمل في تجارب السنوسي التي عينا بدراستها على تأثيره ببعض الأساليب القرآنية، ومن تلك الأساليب: أسلوب الدعاء، والنداء، والمدح، والذم، والقسم، والتحذير.

ولن نقف في دراستنا هذه عند كل تلك الأساليب، وإنما سنقتصر على أكثرها دوراناً في شعره، وأعمقها تأثيراً في نفس المتلقي.

ومن المعروف سلفاً «أن الأسلوب الثري القرآني له تعامله الخاص مع هذه الأساليب اللغوية، وللشعر أسلوبه الخاص أيضاً»^(١) فتعامل الشاعر مع الأسلوب القرآني الذي تأثر به فيه شيء من التصرف في الجملة القرآنية، وذلك التصرف يقتضيه منه الشعري القائم على مجموعة من العناصر، لكل عنصر منها أهميته في البناء الشعري، وفي التأثير على المتلقي، ولهذا نرى الشاعر يلجأ إلى الحذف أو الإضافة من وإلى الجملة القرآنية، أو التقديم والتأخير فيها؛ حتى يحافظ على الوزن الشعري الذي أطربه تجربته، والصياغة الشعرية ذات الطابع الخاص.

وأكثر الأساليب القرآنية حضوراً في تجارب السنوسي أسلوب الدعاء.

(١) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، د. شلتاغ عبود شراد، ط(١)، ١٤٠٨هـ -

وهذا الأسلوب في شعره لم يكن مقصوراً على موقف شعري بذاته، بل يرد في مواقف عدة، وفي تجارب متنوعة، منها: قصائده في الرثاء، وقصائد مناجاته، وفي قصائده التي كانت صدى لبعض الانتصارات التي حققها أبناء بعض دول عالمنا العربي والإسلامي ضد المستعمرين الأوربيين .

ومن صيغ الدعاء المتكررة لدى شاعرنا (عليك سلام الله) و(سلام لهم). ومن نماذجها قوله في رثاء الملك خالد بن عبدالعزيز - رحمه الله - (١):

يا أبا بندر عليك سلام الـ له تشدوبه إليك الحناجر
تتهادى به المحاريب والساحات في كل مسجد ومنابر

فالسنوسي في استخدامه لهذه الصيغة (عليك سلام الله) الواردة في البيت الأول، لا يتعد بها كثيراً عن الصياغة القرآنية، وإن كان هناك اختلاف فهو في المقام الذي وردت فيه هذه الصيغة، فهي عند السنوسي ارتبطت بمقام الدعاء للملك خالد - رحمه الله -، في حين وردت في القرآن مرتبطة بتحية الملائكة للمؤمنين وهم يتوافدون على الجنة. كما في قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى

(١) جريدة البلاد، العدد (٧٠٧١) في ٢٨/٨/١٤٠٢ هـ.

إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم ،
فادخلوها خالدين ﴿ (١) .

ولا يخفى على المتذوق ما في لفظ (السلام) من الخصائص الموسيقية
الفياضة ، والظلال الموحية ، التي تجعله حلو الوقع في الأذان ، سريع
التمكن من الاستقرار في القلوب . وإذا كان القرآن أغنى أثر أدبي في لغة
الضاد من حيث الموسيقى اللفظية ، قد اتخذ من هذا اللفظ - لفظ السلام -
لغة لأهل الجنة ، ولأهل الوحي من الأنبياء والرسل حين يقول :
﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾ (٢) وحين يقول : ﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾ (٣) ؛
فالأن القرآن ما يزال مجالاً عبقرياً للعروض البلاغية العليا التي لا
يتعلق بها قلم كاتب من كتاب العربية (٤) .

والشاعر عندما يحاول أن يقترب في شعره من النص القرآني ،
ويستهدي بأساليبه وطرقه في التعبير ، فإنه يحقق بذلك السمو والرفعة
لفنه ، ويجعله يتفياً ظللاً لغوية معجزة (٥) .

(١) سورة الزمر ، الآية : ٧٣ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٤٦ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٣ .

(٤) نهضة الأدب المعاصر في الجزائر ، د. عبد الملك مرتاض ، ط (٢) ، ١٩٨٣ م ،
ص : ٦٢ نقلاً عن أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شراد ،
ص ٨٨ .

(٥) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ص : ٨٨ بتصرف .

وتأتي صيغة (سلام لهم) في قوله مهنتاً أبناء الجزائر بانتصاراتهم
على الفرنسيين :

فسلام لهم وطوبى لأرض أنجبتهم سهولها السندسية
وسلام لدولة يفخر الضا د ويزهو بها ويشدو تحببه (١)
فهو هنا لا يتعد بصيغة دعائه (سلام لهم) كثيراً عما جاءت عليه في
القرآن كما في قوله تعالى : ﴿ لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا
يعملون ﴾ (٢).

إلا أنه لم يلتزم بالصياغة القرآنية في هذا الدعاء، وإنما قدم ما أخر في
الآية؛ لاعتبارات شعرية تفرض عليه ذلك التقديم. فالوزن العروضي الذي
سارت عليه أبيات القصيدة يفرض على الشاعر ذلك التعامل مع تلك
الصيغة حتى يحقق لقصيدته تلك الانسجام الموسيقي في سائر أبياتها.

وإذا كانت صيغة الدعاء السابقة صيغة دعاء مباركة ورضا، فهناك في
شعره صيغ دعاء وغضب ونقمة مثل (لك الويل) كما في قوله (٣) :

لك الويل إن الحرب قد دار قطبها

فمهلا يصفي للديون حساب (٤)

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٣٤ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٩٣ .

(٤) قطبها : القطب : القائم الذي تدور عليه الرحى .

فالسنوسي في استخدامه لهذه الصيغة لا يتعد بها عن الجو القرآني الذي وردت فيه هذه الصيغة كثيراً، ومنها قوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ (١).

وإذا كان هناك اختلاف في الصياغتين فهو في المدعو عليه، حيث جاءت في القرآن بصيغة الجمع (لكم) في حين جاءت في بيت السنوسي السابق بصيغة المفرد (لك) وإن كان يريد بها الجمع، لأنه يدعو على أعداء الجزائر، وهم جمع غفير، ولا يتصور أن السنوسي في دعوته تلك قد خص بها واحداً منهم، وإنما وجهها إليهم جميعاً، وهذا ما تفصح عنه سائر أبيات القصيدة.

وقريب من هذا الأسلوب في شعر السنوسي أسلوب النداء الذي توجه به إلى بارئه - عز وجل - وصور النداء في القرآن الكريم كثيرة جداً، والسنوسي - كما تفصح تجاربه - قد وافق الأسلوب القرآني في صياغته للنداء وقد خالفه.

والمتأمل في أسلوب النداء في القرآن الكريم يجد أن الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز يخاطب المخلوقات بذكر أداة النداء في كثير من المواقف، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ (٢).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١.

وقوله تعالى : ﴿ يا أرض ابلعي ماءك ﴾^(١) أما نداؤنا نحن لله - سبحانه وتعالى - « فينبغي أن يكون غير ذلك . ينبغي أن يكون للمستوى الإلهي - إن صح التعبير - لأن ما ورد خطاباً لنا كان مشاكلاً لأسلوبنا ، وبهذا علمنا القرآن الكريم ، فلم ترد آية واحدة خطاباً من البشر لله - سبحانه وتعالى - بها أداة نداء مصرحاً بها ، وإنما كان النداء منوياً^(٢) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾^(٣) .

والسنوسي - كما سبق أن قلنا - وافق الأسلوب القرآني عندما يكون الخطاب صادراً من الانسان إلى خالقه وخالفه . ومن شواهد موافقته له قوله^(٤) :

رب إنني ظلمت نفسي فغفرا نك ربي إنني مقر وذاعن
رب إن الحياة زاغ بها السي ر وحادث فاشدد عراها وطامن

(١) سورة هود ، الآية : ٤٤ .

(٢) المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، د . محمد بدوي عبدالجليل ، دارالجامعات

المصرية ، الاسكندرية ، ط(١) ، عام ١٩٧٥م ، ص ٢٣١ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٥١ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٥٤٨ .

وقوله (١):

رب أوزع عبادك الحمد شكرا

فمن الشكر للنعيم وقود

ومن نماذج مخالفته للأسلوب القرآني قوله (٢):

فأدره يا رب ملء الأحاسي — — — ملء النهي وملء الشواجن

ومخالفة السنوسي للأسلوب القرآني شعرنا « بأن أسلوب النثر الفني

في القرآن له طريقته الخاصة في التعامل مع اللغة ، وهو يختلف عن

الأسلوب الشعري ، لاعتبارات دينية كما لاحظنا في صورة خطاب العبد

لربه في القرآن ، أو اعتبارات فنية ، إذ أن الأسلوب الشعري قد يضطر

الشاعر فيه إلى سلوك طريقة أخرى في التعامل مع هذه اللغة ، بناء على

ضرورات الوزن ، أو الحالة النفسية للشاعر» (٣).

ومن الأساليب القرآنية التي لها حضورها في تجارب شاعرنا أسلوب

القسم ، وقد لجأ إليه لمعان في نفسه يريد توكيدها ، وإثبات صدقه فيها .

ومن المعروف أن هذا الأسلوب قد ورد في أشكال متعددة في القرآن

(١) المصدر السابق : ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٥٤٧ .

(٣) أثر القرآن الكريم في الشعر الحديث ، ص ٩١ .

الكريم، فالله - سبحانه وتعالى - أقسم بذاته في مواضع كثيرة، كما أقسم بمخلوقاته - أيضاً - في مثلها، وقد اختلفت الصيغ التي ورد بها هذا الأسلوب في القرآن الكريم، فهو قد يأتي بصيغة القسم، أو الحلف أو لفظة (شهد)، وقد تكون بالياء أو الواو، أو غير ذلك (١).

والسنوسي - كما تفصح الشواهد التي سنورها - قد تأثر بالقرآن - حيناً - في القسم بذات الله، و - حيناً - في القسم به - سبحانه وتعالى - مضافاً إلى مخلوقاته وهو في هذه أو تلك لا يتعد عن أجواء القرآن الكريم ولا عن معانيه.

ومن نماذج قسم السنوسي بذات الله قوله (٢):

نفر أقسموا بربهم الأعلى يمينا لأرضهم أن تعادا

فهذه الصيغة التي استخدمها الشاعر في البيت السابق قد وردت

في القرآن الكريم كثيراً، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ﴾ (٣). وقوله تعالى

﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن، قل لا تقسموا طاعة

(١) التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، ط (٢) دار الشروق، بيروت

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ «بتصرف».

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٤٩٠.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٠٩.

معروفة إن الله خبير بما تعملون ﴿ (١) .

ومنها أيضا قوله (٢) :

إي ورب العاديات في الضحى والموريات

والمغيرات صباحا ومساء كالبزاة

فالسنوسي في هذين البيتين يقسم بالرب مضافاً إلى بعض مخلوقاته ، وبأداة القسم (الواو) المسبوقة بما يؤكد ما أراده الشاعر .

وهو في هذه الصيغة لا يتعد البتة عما جاء في قوله تعالى :

﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ (٣) وقوله

تعالى : ﴿ والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صباحا ﴾ (٤) وإن

كان هناك اختلاف بين الصياغتين فهو راجع إلى طبيعة الشعر .

فالشاعر - كما سبق أن ذكرنا - قد يضطر في أساليبه المتأثر فيها

بأساليب القرآن إلى التقديم والتأخير، أو الحذف والإضافة إليها؛ ليحافظ

على فنه البالغ الحساسية، ولا يؤاخذ الشاعر على ذلك التصرف، وإنما

يؤاخذ إن هو ضحى بأحد عناصر فنه في سبيل ذلك .

(١) سورة النور : الآية : ٥٣ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧٩٢ .

(٣) سورة يونس : الآية : ٥٣ .

(٤) سورة العاديات : الايات ١، ٢، ٣ .

تلك بعض الأساليب التي بدا فيها الأسلوب القرآني واضحاً وجلياً، ليس في الطريقة أو في الإطار فحسب، وإنما حتى في المعنى الذي حملته لنا تلك الصيغ التي استخدمها السنوسي .

وهناك أثر لبعض الأساليب القرآنية في شعر السنوسي، إلا أن ذلك الأثر قد لا يدركه كثير من المتلقين لأن مظاهر التأثير فيه قد لا تتضح إلا لمن وقف على الأساليب القرآنية وطرق التعبير الفني فيها .

وهذا الأثر الذي نقصده هو تأثير السنوسي ببعض أساليب وطرق التعبير في القرآن الكريم في مواضع ومواطن معينة، تقتضي ذلك الأسلوب، أو تلك الطريقة؛ حتى يكون تأثيرها أعمق، وفائدتها أعم وأشمل .

ومن نماذج ذلك التأثير قوله مادحاً الفلاح الريفي بعدد من الصفات والمعاني الجميلة^(١) :

والنسيم النشوان يحتضن الزهـ — رقيقا كطيبة الفلاح
الذي قلبه أرق من الطلـ وأصفى من الزلال القراح
والذي يزرع الحقول بذورا وزهورا بهمة وكفاح
والذي يملأ القلوب شعورا بجمال الطبيعة المراح

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

والذي يغرس الثواة بكـف طبعت من بسالة وسماح

فالسنوسي في الأبيات السابقة يورد جملة من الصفات التي يمتاز بها الفلاح في ريف وطنه، وبها يعرف ويمتدح؛ لأنها - في نظر السنوسي - تخصه دون غيره، وقد لجأ السنوسي في إيراده وإبرازه لتلك الصفات إلى تكرار الاسم الموصول (الذي) وقد أعانته هذا الاسم لا في إبراز تلك الصفات فحسب؛ بل في توكيدها وإثباتها، وذلك لأن الجملة التي تعقب ذلك الاسم مرتبطة به أشد ما يكون الارتباط.

والتأمل في هذا الأسلوب بجميع مظاهره - خاصة إذا كان ذا ثقافة قرآنية عالية - يدرك أثر الأسلوب القرآني في أسلوب الشاعر . فالله - سبحانه وتعالى - في مواضع كثيرة من كتابه العزيز امتدح المؤمنين بعدد من الصفات التي تميزهم عن غيرهم، وقد كان للاسم الموصول حضوره في تلك الأساليب . وخير ما يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . . . ﴾ (١) .

فالله - سبحانه وتعالى - يمدح المؤمنين بجملة من الصفات التي لا يشاركهم فيها أحد من أبناء هذه المعمورة ، فتلك الصفات - الحسية

(١) سورة المؤمنون : الآيات : ١ - ٦ .

والمعنوية - هي الإطار الذي يحمل في فضائه وبين زواياه شخصية الإنسان المؤمن الحقبة التي ارتضاها الله له ، أما في حالة فقدان تلك الشخصية لأحد مكوناتها ، فإن ذلك الإطار سيمجها ، ولن يسمح باحتوائها حتى تستكمل بقية جوانبها التي تميزها عن غيرها .

وكذا الحال في تلك الصفات التي تتكون من مجموعها شخصية الفلاح الريفي كما في أبيات السنوسي السابقة . وفي حالة فقدان الفلاح لأي صفة منها فإنه لا يكون أهلاً لأن يكون فلاحاً ريفياً .

فالتيبة ، والعمل الجاد المثمر ، والصبر الشديد ، من أهم الصفات التي تتكون من مجموعها شخصية الفلاح الريفي وبها يعرف . تلك بعض الأساليب التي بدا فيها تأثر السنوسي بالأسلوب القرآني سواء في المبنى والمعنى كما سبق أن بينا ، أو في طريقة تعبيره ، وهذا ما أفصحت عنه تجارب السنوسي التي عرضنا لها في الصفحات السابقة .

التكرار

التكرار من الوسائل اللغوية التي جنح إليها الشاعر المعاصر في التعبير عن تجاربه الشعرية حتى أصبحت هذه الوسيلة اللغوية سمة تمتاز بها التجربة الشعرية الحديثة ولوناً من ألوان التجديد فيها^(١).

وليس معنى ذلك انتفاء هذا اللون من ديوان الشعر العربي القديم، فهو «ظاهرة نصادفها في الشعر العربي القديم عند كثير من الشعراء ذوي الاتجاه الوجداني الذاتي وفي الشعر السياسي الذي يصدر عن عقيدة صادقة تخلع عليه صفة الذاتية كشعر الكميت، وشعر العذريين»^(٢).

والتكرار عند شاعرنا له أشكال متعددة، إلا أنها لا تتجاوز التكرار البسيط، الذي يدل على إلحاح فكرة ما على ذهن الشاعر، وتأكيد عليه عن طريق التكرار، ويمكننا تقسيمه في شعره إلى (تكرار الحروف، تكرار الألفاظ، تكرار العبارات).

ونبدأ حديثنا بتكرار الحروف الذي يعد أبسط أنواع التكرار على

(١) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ط (٧) نيسان (إبريل) ١٩٨٣م، دار العلم للملايين، ص ٢٦٣ «بتصرف».

(٢) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص ٣٨.

الإطلاق، وقد لجأ إليه الشاعر لتعزيز الإيقاع في قصائده، ولخدمة بعض أغراضها وأفكارها. ومن نماذج تكراره للحروف في قصائده قوله في قصيدته (اليوم الخالد) مكرراً حرف العطف (الواو)^(١) :

في مثل هذا اليوم من كل عام
يزدهر الحجر ويزهو المقام
مقام إبراهيم سامي الخطى
وحجر اسماعيل نعم الغلام
وتسبح الأرواح رفافة
أطيافها مثل رفيف الحمام
وتلتقي الدنيا بأجناسها
في وحدة رائعة وانسجام
من كل فج أقبلوا حسرا
شوقا إلى البيت العتيق الحرام
كالسيل فاضوا وأفاضوا به
وانسكبوا بين الذرى والخيام
فالشاعر في هذه الأبيات يحاول بواسطة الكلمة أن يرسم الفرحة التي

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

تغمر المسلمين وهم يتنقلون بين المشاعر والأماكن المقدسة في موسم الحج،
ومشاركة الأماكن المقدسة لهم في تلك الفرحة .

وقد ساعد حرف العطف (الواو) الشاعر على التنقل بين تلك
الأماكن، ورسم تلك الفرحة، وذلك السرور الشامل، بالإضافة إلى ما في
صوته من جرس موسيقي عذب، ناجم عن كثرة ترديده في تلك
الآيات المحدودة العدد، حيث تكرر حرف (الواو) في الآيات السابقة
ثمانى مرات .

ومن نماذج تكراره للحروف أيضا قوله في قصيدته (خواطر
لاجئ) (١) :

تشابهت فيك أيامي وملء يدي
عشرون عاما أساهم رائح غاد
وأنت يا عيد ماذا أنت غير لظي
ما بين جنبي وشوك ملء أبرادي
أمسي وأصبح لا ليلي بذني قمر
أرنو إليه ولا يومي برعاد

(١) المصدر السابق : ص ٤٧٨ .

تهيج لي فيك ذكرى يستطير لها
قلبي وتهتز أحشائي وأعضادي
أيام أستقبل الأعياد في بلدي
أرض النبيين من قومي وأجدادي
في القدس والقدس مهوى كل جانحة
مني ومجلي أحاسيسي وأمjadi

فقد تكرر حرف (الياء) في هذه الأبيات سبع عشرة مرة ، وقد نجح السنوسي بواسطته في إلباس تجربته تلك ثوباً من الحزن والأسى الشفاف ، عن طريق تلك النغمة الخافتة المنكسرة التي يرسمها صوته مع ماجاوره من أصوات عمقت أسى الشاعر وحزنه ، أضف إلى ذلك أنه بهذا التكرار أكد عمق مشاركته الوجدانية لإخوانه في فلسطين ، حيث بدا وكأنه واحد منهم ، يجتر ما يجترونه من آلام ، ويتجرع ما يتجرعون من مأس وأحزان . أما تكرار الألفاظ عند السنوسي فيشمل : تكرار (الأسماء ، الأفعال ، الصيغ) ويتجلى تكرار الأسماء عند الشاعر في بعض قصائده ، كتكراره لفظ (جزيرتي) ست مرات في قصيدته (الجزيرة ماضياً وحاضراً) وتكراره ذاك يوحى بشدة ارتباطه بجزيرته التي تمثل في عصرنا الحاضر ذلك الوطن الذي حوى السنوسي في مراحل حياته المختلفة ، ويوحى بحبته لذلك الوطن .

وتكراره لذلك اللفظ جاء في الآيات الآتية (١) :

جزيرتي يا هوى روعي ويا أملي
أنت الجديرة بالتشبيب والغزل
جزيرتي حديثيني إنني وصب
وفي حديثك ما يشفي من العلل
جزيرتي أنت ماوى أمة سمقت
أخلاقها الغر واستعلت عن الوحل
جزيرتي ألهميني نظم قافية
تشدو بصقرك صقر الأمة البطل
جزيرتي أنت للإسلام عاصمة
والأرض يغمرها الطوفان بالزلل
جزيرتي ربما جاءت معلقتي
في كعبة الشعر دون الوعد والأمل
ومن نماذج تكراره للأسماء ، قوله مكرراً اسم الإشارة (هنا) (٢)

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٦٧٢ - ٦٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

لقد مات عصر الذل والخوف وانقضى
وهيل على ذاك الزمان تراب
هنا جبهة التحرير والحق والهدى
تخر النواصي عندها وتصاب
هنا عصابة الأحرار أما سماؤهم
فرعد وأما بحرهم فعباب
هنا الأرض زلزال هنا الجو عاصف
هنا الجبل الراسي وغى وضراب
هنا النار زاد للجوع وها هنا
حميم لأكباده الظماء شراب

فالسنوسي - كما هو واضح - قد عمد إلى تكرار اسم الإشارة (هنا) سبع مرات في أبيات معدودة لا تتجاوز الخمسة أبيات، وهذا يدلنا على أن السنوسي في هذه الأبيات لا يسعى إلى مجرد التأكيد على أن سحب الخوف التي ظلت تعانق أفئدة الجزائريين فترة من الزمن قد انقشعت، أو على استعداد أبناء الجزائر الرهيب لاستعادة حريتهم المفقودة وإنما كان يسعى إلى نحر إحساس ترسب في أعماقه وأعماق الكثيرين من أمثاله الذين شهدوا إنهزام أبناء أمتهم أمام الحملات الاستعمارية. وقد أعان اسم الإشارة (هنا)

السنوسي على تحقيق غايته المقصودة، ووسع له دائرة التناول، ومهد لأدلته القوية التي أذابت ذلك الاحساس، وعملت على دحر ذلك الوهم.

أما تكراره للأفعال فقليل في تجاربه الشعرية، ومن نماذجه قوله (١):

أفيضوا على الأبواب من صحف العلى

روائع تهواها قلوب وأذهان

أفيضوا شأيب العلوم زواخرا

لها القلب حقل والمشاعر وديان

أفيضوا شعاع الفكر يجلو حنادسا

تخبط سار في دجاها وركبان

فالشاعر في هذه الأبيات يكرر الفعل (أفيضوا) بصيغة الأمر ثلاث مرات، محاولاً عن طريقه حث أبناء أمته على الاستفادة من تراثهم العريق واتخاذهم ركيزة ودعامة أساسية في بناء نهضتهم المعاصرة. وقد عكس ذلك الفعل المكرر شدة تعلق الشاعر بتراث أمته، وحرصه على بعثه وإحيائه لما له من دور فعال في إرساء دعائم حضارة أمتنا في حياتها المعاصرة.

(١) شعراء الجنوب، ص ٨٩.

ومن تكراره للفعل - أيضاً - قوله في قصيدته (تأميم وتصميم) (١) :

أنبوا أنبوا واستعيدوا صوابكم أفقنا وما زالت خلائكم سكري
فالشاعر هنا يكرر الفعل (أنبوا) مرتين متتاليتين ، منها أقطاب
العدوان الثلاثي على مصر ، ومهدداً إياهم بالخطر المحدق بهم على أيدي
أبناء الأمة العربية بعد أن أفاقوا من غفلتهم .

وتكراره لفعل الأمر في الشاهدين السابقين يعكس لنا شدة انفعال
الشاعر ، ويوحى بسيطرة الفكرة - التي استدعت ذلك الحث والتحذير
والتوكيد عليهما - على ذهنه .

أما تكراره للصيغ والأدوات فيشمل (الاستفهام ، والنداء) ، ومن
نماذج تكراره لصيغ وأدوات الاستفهام قوله (٢) :

يارائدي طبقات الجوهر هل فرغت

مشاكل الأرض أوطانا وسكانا

وهل أضاء السلام الكون وانتشرت

أنواره واستقام الحق ميزانا

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٦١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

وهل تحقق للإنسان مطلبه
من الحياة وأضحى الكون بستانا
وهل غدا العالم الأرضي منسجما
مذاهبا ومفاهيمنا وأديانا

فالشاعر في هذه الأبيات قد عمد إلى تكرار صيغة الاستفهام (هل) أربع مرات، طارحاً - من خلالها - عدداً من الأسئلة، تعكس رؤيته الفكرية لعموم إنسان العصر، وتشف عن توجسه وقلقه على مستقبل البشرية. وهذا التوجس يدل على أن السنوسي لم ينكف على ذاته، ولم يحط نفسه بسياج يعزله عن قضايا عصره وإنسانيته، وإنما هو شاعر مهوم بقضايا أمته وقضايا الإنسانية جمعاء (١).

ومن نماذج تكراره لصيغ الاستفهام قوله (٢):

أين نزع السلاح يا أيها القوم وأين المباديء العالمية؟
أين حرية المصير وإقرا الموائيق والعهود الجليلة؟
أفما أن للحقيقة أن تحم — يا حياة لا تعرف البندقية؟

(١) دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي، لربيع محمد عبدالعزيز وآخرين،

ط (١) ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ص ٤٠ «بتصرف».

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٢٢٦.

يا ثاني اثنين إن المسلمين أسي
قد زلزلتهم أحاديث وأخبار
يا ثاني اثنين إن الدين في خطر
وأنت للدين مذ أسلمت نصار
يا ثاني اثنين لو أبصرت حاضرنا
والمسلمون حيارى أينما داروا
يا ثاني اثنين في ذكراك موعظة
وفي جهادك للسايرين أنوار

فالسنوسي في النص الذي أوردنا منه هذه الأبيات يسعى إلى تقديم شخصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لأبناء أمته كأنموذج ينبغي احتذائه ، والسير على منواله ، إذا كانوا راغبين في العودة بآمتهم إلى سابق عهدها .

وشخصية الصديق غنية بذكرياتها ، وبمواقفها البطولية منذ بدايات الدعوة الإسلامية إلى أن توفاه الله .

وقد أتاحت صيغة النداء (يا ثاني اثنين) لشاعرنا استحضار كثير من المواقف والأحداث التي رافقته - رضي الله عنه - في مراحل حياته المختلفة ، منذ بزوغ فجر الرسالة الإسلامية .

ولو تأملنا ماجاء بعد تلك الصيغة في كل الأبيات لوجدنا موقفا من مواقف الشجاعة تلك ، ثم يأخذ الشاعر - بعد ذلك - في عرضه لأبعاد ذلك الموقف ، عدا البيتين الأخيرين فقد حملهما الشاعر همه وشكواه من حاضر أمته الأليم ، محاولاً إطلاعه على الردة الحديثة التي تعيشها أمته الإسلامية ، وافتقادها لقائد يعيدها إلى صوابها ، كما فعل الصديق ذلك في الأمس البعيد مع كثير من القبائل العربية التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ .

ومن تكراره للعبارات في شعره قوله (١) :

الله أكبر موجة من زاخر عبرت غواربها المحيط الأكبر
الله أكبر صيحة من ظافر ملأ اليقين فؤاده وتفجرا
الله أكبر لفتة من حائر لاح الطريق له فشمروا وانبرا
الله أكبر لفظة فتحت بها والمسلمون يد مغاليق الذرى
فالسنوسي في هذه الأبيات قد كرر عبارة (الله أكبر) أربع مرات ، بدافع شعوري عميق ، قوامه سيل من التدايعات والذكريات التي ارتبطت بهذه العبارة الجميلة في معناها ومبناها ، هيبتها تلك الالتفافة الجميلة لرؤساء المسلمين وزعمائهم في المهة الأول (أم القرى) لتلك العبارة .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨ - ١٩ .

وقد وفق الشاعر كثيراً في تكراره لتلك العبارة ، وفي ربطها بما جاء بعدها من جمل تفصح عن ذكريات ارتبطت لا بمجرد التكرار لتلك العبارة في مواقف المسلمين في حياتهم المختلفة ، وإنما من خلال استشعارها ، والتفاني في سبيل إعلانها .
وهذا الذي كان يسعى إليه السنوسي ، موجهاً إليه أبناء أمته الإسلامية في عصرهم الحاضر .

الحوار

من الأساليب التي لها حضورها في تجارب السنوسي التي عرضنا لها أسلوب الحوار وهو « أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ، ومحاوة بينه وبين غيره»^(١) .

وميزة هذا الأسلوب أنه يمنح النص الشعري قيمة فنية بالغة ، فبواسطته يستطيع الشاعر الابتعاد بتجربته عن التقريرية والمباشرة ، ويضفي عليها الحركة والحيوية والنشاط .

ومن نماذج اعتماد السنوسي على هذا الأسلوب في تجاربه ، ماجاء في قصيدته (القرد الفنان) الذي رمز به إلى بعض الشباب المتفسخ ، في حوار بديع ، أقامه الشاعر بينه وبين أحد الطاعنين في السن ، ليعمق السخرية من ذلك الشاب .

يقول السنوسي في قصيدته تلك (٢) :

رأيتـه وهو يمـشي مشـي فنان

كأنه فارس في وسط ميدان

(١) تحرير التعبير ، ابن أبي الأصعب المصري ، تحقيق الدكتور حفي شرف ، المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٣م ، القاهرة ، ص ٥٩٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٤٤١ - ٤٤٣ .

يهز عطفه إعجابا بحلته
ويمسح الشعر من أن إلى أن
في (بدلة) تبرز الأعطاف مائلة
أركانها وزواياها (كفستان)
فقلت ماذا أرى يا قوم هل مسخت
طباع قومي وإخواني وأقراني؟
إنني أرى بينكم قردا فكيف أتى
وكيف ألبستموه لبس إنسان؟
فقال شيخ ظريف الروح يعجبه
حبك الفكاكة في جد وإتقان
لا يا أخي إنه قرد مثقفة
أخلاقه عبقرى الفكر والشان
وسوف تسمع منه كل رائعة
من البيان المصفى والنهى الباني
فكان ما كان مما لست أذكره
من الهراء ومن إسفافه الداني
فقلت للشيخ إعجابا بنكته
وبالطرافة في أسلوبه القاني

القرد قرد وإن رقت شمائله

وإن تعلم نطق الإنس والجان

تراه يرقص في جـد وفي هزل

ليضحك الناس منه مثل (طرزان)

يلغو ويلهو ويأتي من عجائبه

بالمضحكات كأحلى قرد فنان

فالأصوات التي تجاذبت الحوار حول سلوك ذلك الشاب المشين ثلاثة أصوات هي : صوت الشاعر ، وصوت الجمهور الذين طرح عليهم ذلك التساؤل وإن لم يتكلموا ، وصوت ذلك الشيخ الذي انبرى ساخراً من تصرفات ذلك الشاب الطائش .

وباعتماد السنوسي على هذا الأسلوب في سخريته من ذلك الشاب المنجرف في متاهات المدنية الوافدة من بلاد الغرب ، قد نجح في الابتعاد بقصيدته عن التقريرية والمباشرة ، ومنحها قدراً من الحيوية والحركة والنشاط ، أضف إلى ذلك أنه استطاع - عن طريق ذلك الأسلوب - توجيه نصيحته لأبناء مجتمعه بالمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم المستمدة من تعاليم وقيم دينهم الحنيف ، كما أبان عن موقف الكثير من الآباء الطاعنين في السن من بعض المظاهر السلبية للمدنية الحديثة في مجتمعنا .

وفي قصيدته (رحلة إلى القمر) يدير السنوسي حواراً بديعاً بينه وبين

أحد الأشخاص حول القمر واقتحام رواد الفضاء لعالمه، وتمكنهم من سبر أغواره وفك طلاسمه، وعن عدم صلاحيته لأن يكون الصورة المثال لوجه حبيبته؛ لأنه لم يعد يختلف عن الأرض في شيء، بينما يظل القمر عند شاعرنا هو الصورة المثال لجمال حبيبته. يقول السنوسي في قصيدته تلك (١) :

قال لي وهو ساخر	وهو لا يحسن السخر
أيها الشاعر الكبير	رأما جاءك الخبير
وصل القوم للسمما	ء وطافوا بهما زمر
واستفاقت حبيبتي	من خداع ومن خدر ^(٢)
لم يعد حسن وجهها	أبدا يشبه القمر
بعد ما ديس وجهه	ومشى فوقه البشر
كان إشراق لونها	بهجة غرة الغرر
قلت مهلا واخلني	من هراء ومن هنر
ذاك شيء علمته	مذوعى قلبي الفكر
كانت الأرض والسما	ء أماتقرأ السور

(١) المصدر السابق، ص ٤٥٥ - ٤٥٩.

(٢) خدر: الخادر، المتحير، والخادر والخدور من الدواب وغيرها: المتخلف الذي

لم يلحق، وقد خدر.

فتق الله رتقها فاندحى الكون وانتشر
غير أني ولم أزل بشعور الهوى الأغر
يستبي قلبي الجمال ويستحسن الصور

فالسنوسي في تلك القصيدة التي أوردنا منها هذه الأبيات يجلي رؤية الشاعر للجمال ، ويعمق الإحساس به في كل الأشياء التي لا يجد فيها غيره جمالاً . وذلك لأن الشاعر - كما هو عند شاعرنا - يتجاوز دائماً الشكل الظاهري إلى الماهية ، والقشور إلى اللباب ؛ ولهذا يطلعنا الشاعر في كل رحلة من رحلاته الوجدانية التأملية على كنز ثري بالجمال الذي لم تقع عليه أحداً من قبل ، حتى في تلك الأشياء التي تبدو لنا غير جميلة ، أو في الأشياء التي فقدت سر جمالها مع مرور الوقت .

ولعل شاعرنا قد نجح - باستخدامه لهذا الأسلوب - في بيان الاختلاف الواضح بين رؤية الشاعر وغيره من الناس للجمال في كثير من الأشياء التي تحفل بها حياتنا اليومية ، وفي جذب المتلقي إلى آفاق تجربته تلك ، وإغرائه بمتابعتها وصولاً إلى النهاية التي أسفرت عنها .

ويتكى على هذا الأسلوب في قصيدته (اليتيم السعيد) حيث أدار حواراً مع طفل أغرته سعادته في يوم العيد بسؤاله عن أبيه ، فيفاجئه الطفل بيتمه ، وبتفكيره الذي سبق عمره الزمني بمراحل .

يقول السنوسي في تلك القصيدة (١) :

مر من جانبي يزقزق (كالعصـ فـور) في كل خطوة تغريد
 فهفت مهجتي إليه حنانا أبويا يضمه ويزيد
 وتأملته مليا وفي قلبي سـؤال به لساني يـميد
 وسألت الوليد في نشوة العيـ د وقد سر بالسؤال الوليد
 ابن من أنت يا بني وأصغـ ت إليه وبـي اشتياق شديد ؟
 أنا ياسيدي يتـ لكنـي سعيـ لا بائس أو شريد
 سكني وارف ومائي مسكو ب وزادي مرفه منضود (٢)
 وفؤادي تربه من يد العـ م يدبرة وقلب ودود (٣)
 فانتشى قلبي المغرد وانثـا لت قوافيه واستفاض القصيد

والتأمل في هذه الأبيات التي بدا فيها الحوار بين السنوسي وذلك
 الطفل اليتيم واضحا، يقف على مقدرته في استغلاله لتوجيه نصيحة غير
 مباشرة لأبناء مجتمعه . فهو هنا يرسم الطريق المؤدي إلى وجدان كل يتيم،
 ويضع أمام أحداقنا الأشياء التي يمكننا عن طريقها إدخال البهجة والسرور

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٧ - ٤٠٩ .

(٢) وارف : واسع ممتد ، ومرفه : من الرفاهية وهي : الخصب والسعة في المعاش ،
 منضود : بالتحريك : مانضد من متاع البيت ، وقيل : عامته ، وقيل : هو خياره
 وحره .

(٣) تربه : تصلحه .

إلى عالمهم . كما أن تلك الأبيات تحوي توجيهاً غير مباشر للأيتام أنفسهم ، فهو يحثهم على طلب العلم ؛ لأنه السلاح الوحيد الذي سيمكنهم من التغلب على الصعوبات التي تحفل بها الحياة .

وفي قصيدته (أنشودة الصقر) يتكئ على هذا الأسلوب ، حيث أدار حواراً بين الصقر والحية . . ، وفي ذلك يقول (١) :

زحفت نحوه فمد إليها نظراً ثاقباً وروحاً قويا
فتهاوت على التراب وقالت : إنني أنشد اللقاء الحفيا
أفترضى بأن أطارحك القوس لسميرا وأن أكون نجيباً ؟
أنت في هذه الديار غريب يا صديقي فضع يدا في يديا
واستفاض الحديث بين الصديقين زلالاً تعب منه النفوس
حين قالت : من أي أرض ومن أي مكان هذا الجمال النفيس ؟
كيف لم نهتدي إليه ولم نخد طر به فكرة علينا الرؤوس ؟ (٢)
قال : إنني من عالم النور يا أخ ست وداري نجومه والشموس
فالحوار في هذه الأبيات دائر بين الصقر الذي دارت حوله قصة السنوسي الشعرية ، والحية التي أغراها ذلك الجمال ، فجذبها إلى السؤال عن مصدره .

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) أثبت الشاعر (الياء) في الفعل المضارع المجزوم حتى لا ينكسر الوزن في البيت .

ويظهر الحوار بين الشاعر وذلك الطيف الذي زاره في كبره؛ ليهيج في عالمه الذكريات، حيث يقول في قصيدته (عودة الماضي) (١):

قلت وقد جاز إلى الظلم ريان من خمر الصبا والجمال
يشير عن قلبي غبار الهرم ويتضي سيفاً جفاه الصقال (٢)
أنى تخطيت إلي القدم وكيف لم ترقب خطلك الليال؟
قال وفي فيه رنين النغم في خطوة الفكر ووثب الخيال
ويحك ماذا أنت مني تريد وما الذي أجراك في خاطري؟
وكيف تستدني شبابي البعيد من قبضة التاريخ يا أسري؟
دعني بحبيك القديم الجديد أعيش في الماضي وفي الحاضر
إنني بالأمي وهمي سعيد أحيا حياة الطير والشاعر

فالحوار في هذه الأبيات قائم بين السنوسي وذلك الطيف الذي زاره فجأة في إحدى خلواته بنفسه؛ ليهيج في عالمه ذكريات دفيئة لحب عميق عاشه في فترة من فترات حياته .

والذي ساعد على إبراز هذا الحوار الجميل تنوع الشاعر للقوافي في تلك المقاطع، بالإضافة إلى وضوح اللغة في ذلك الحوار، وقصر تراكيبها، ووفرة أدوات الاستفهام والتعجب فيها .

(١) الأعمال الكاملة ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) الهرم : أقصى الكبر ، والصقال : الصقل : الجلاء .

الأسلوب القصصي

من الأساليب التي لها حضورها القوي في تجارب (السنوسي)
الأسلوب القصصي ، وأعني به في دراستي هذه « استخدام الشاعر الغنائي
لبعض أدوات التعبير التي يستعيرها من فن آخر هو فن القصص » (١) .

والشاعر عندما يستعير من القصة بعض أساليب بنائها وبعضاً من
لغتها ، لا يعني هذا - بالضرورة - أنه ينسج شعراً قصصياً ، أو قصة شعرية ،
إنما يستعير طاقة تعبيرية ، يستطيع أن يعبر بها عن محتوى ، وبذلك تزداد
طاقة القصيدة التعبيرية (٢) .

وقد لاحظ أحد الباحثين استفادة كل من الشعر والقصة من بعضها
البعض ، فالقصة كما يرى تستفيد من الشعر التعبير الموحى المؤثر ، بينما
يستفيد الشعر من القصة التفصيلات المثيرة الحية ، فهي بنية متفاعلة ، يستفيد
كل شق فيها من الآخر ، وينعكس عليه في الوقت نفسه (٣) .

(١) الشعر العربي المعاصر ، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين إسماعيل
ط (٣) ، ١٩٨١ م ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، ص ٣٠٠ .

(٢) لغة الشعر العراقي ، عمران خضير حميد الكبيسي ، ط (١) ١٩٨٢ م ، ص ١١٧
«بتصرف» .

(٣) الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٠١ «بتصرف» .

وهذا الأسلوب الذي نحن بصدد الحديث عنه في شعر شاعرنا، أسلوب مألوف ظهر - منذ القدم - على يد امرئ القيس، خاصة عندما يتصدى لوصف مغامراته الليلية، التي كان يتسلل فيها - والظلام مطبق على الكون - إلى حبيبته، وسار على نهجه - فيما بعد - عمر بن أبي ربيعة، ففصل ما أجمل أستاذه، أكثراً من الحوار في شعره الخاوي للعنصر القصصي.

وقد تطور هذا الأسلوب في عصرنا الحديث إلى ما يعرف بالقصة الشعرية على يد خليل مطران، والذي ساعد مطران على براعته في هذا اللون « أنه محدث من الطراز الأول، وأنه يلتفت في كتاباته إلى الدقائق، ويعنى بالتفاصيل »^(١).

ونحن إذا أمعنا النظر في قصائد السنوسي (فارس الأحلام، عودة الماضي، موكب السحاب، أنشودة الصقر، ليلة الهجرة، الكيان الكبير، اليتيم في العيد، الفيلسوف والطائر الأعمى، عصابة السفاح) نستطيع أن نخرج من كل منها بما يشبه القصة، ولكنها لم تكن غاية، أو هدفاً، فهي قصائد شعرية قبل أن تكون قصة، باستثناء (أنشودة الصقر) فهي في الأصل قصة للكاتب العالمي (مكسيم جوركي) صاغها السنوسي بأسلوب شعري أخاذ.

(١) مطران (نوابغ الفكر العربي) محمد عطا، ط دار المعارف ١٩٥٩م، ص ٦٢.

وهذه القصائد التي أشرنا إليها ، نجد السنوسي يستفيد فيها من بعض الوسائل الفنية التي يستخدمها كل قاص بارع ، كالتشويق ، والإثارة ، والحبكة ، والخاتمة ، والتعبير الدرامي . ونجد فيها لغة تفصيلية ، ونلمس تصدر أسلوب التجسيد ، ولكنها لغة مجازية موحية ، مصبوبة في قالب بلاغي ، وهذا ما يجب توافره في كل قصيدة شعرية .

ومن نماذج شعره الحاوي للعنصر القصصي قصيدته (فارس الأحلام) التي رمز بها لفتح الرياض كما يقول (١) . فهو يبدأ فيها بتجسيد الزمن الذي اختاره الملك عبدالعزيز لاقتحام أسوار الرياض ، حيث يقول (٢) :

الدجى يزحف والنجم يرود	وهلال الأفق في الأفق وليد
والجبال الشم تستاف السنا	والسنا الباهت يطويه الصعيد (٣)
والنسيم الطلق لا يهفوبه	نفس يجري ولا غصن يمد
والنخيل الشعث قد مالت بها	سكرة الليل وغشاها الهمود (٤)
وعذارى البيد يلبسن الأسى	من وشاح العيد والعيد جديد

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) الجبال الشم : أي العالية الرفيعة الرؤوس ، والصعيد : الأرض وقيل الأرض الطيبة .

(٤) الشعث : الشعث : التفرق والتتكث .

وربى الرادي على أغصانها حب غاف وأزهار رقود^(١)
وكان الكون قد لف الورى صمته الداجي وسجاء الجمود

فالسنوسي في هذه الأبيات وفق إلى حد بعيد في استدراج المتلقي وتشويقه ، بواسطة لغته التفصيلية التي تجسد تلك الليلة التي هم فيها الملك عبدالعزيز باقتحام أسوار الرياض . فالمشاهد المتلاحقة التي انتظمها خيال السنوسي المحلق توحى بزمن ذلك الاقتحام ، وإنه كان ليلاً . نلمس ذلك في زحف الدجى على الفضاء ، وفي ذلك النجم الذي يجوب السماء وحيداً ، وفي الهلال الذي مازال في بداياته . ومعنى ذلك أن الظلام في تلك الليلة كان كثيفاً ، والذي يعمق تلك الكثافة الصمت الذي ران على الطبيعة بنوعيتها ، والسكون العميق الذي عانق كل شيء فيها . تفصح عن ذلك المشاهد التي تجسد لنا ذلك الصمت الرهيب :

(السنا الباهت يطويه الصعيد ، والنسيم الطلق لايهفوبه نفس
يجري ولا غصن يميّد ، والنخيل الشعث قد مالت بها سكرة الليل وغشاها
الهمود . . .) .

ويتقل السنوسي من تجسيده المدهش لتلك الليلة إلى عالم
(هند) التي رمز بها لمدينة الرياض ، فيطلعنا على ما يحتويه وجدانها ،

(١) حب : الطل الذي يصبح على النبات .

ومايجول فيه من مشاعر وأحاسيس تعلو تارة ثم تنخفض ، رغبة ورهبة .

يقول السنوسي في ذلك (١) :

وانتحت (هند) وقد طافت بها
نشوة الذكرى وأضناها السهود
أي حلم رف في أجفانها
من خيال زار والمنأى بعيد
طائف هبت تناجي روحه
وتناديه وتبدي وتعيد
أيها النازح عن أيك الهوى
صروح الورد وفي قلبي ورود (٢)
يا (كيويد) (٣) الهوى في كبدي
حمرة الجمر وأشواقي وقود

(١) الأعمال الكاملة ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .

(٢) صوح : صوح النبات إذا تشقق ويس .

(٣) كيويد : إله الحب عند الإغريق . انظر ، معجم الأعلام ، في الأساطير اليونانية والرومانية ، ترجمة أمين سلامة ، ط (١) ١٩٥٥ م ، دار الفكر العربي ، ص ١٠٤ -

تنقص الدنيا على حلوا المنى
وعلى الألام أمالي تزيد
أنا ما زلت على عهد الهوى
أبد الدهر وقلبي لا يحيد
هكذا قالت لهند نفسها
ونفوس الغيد للأحلام غيد
وتلاشى في رجاء يائس
حلم لاح تواريه السدود
دونه قصر وقفر ولظى
ينشر الرعب ونار وحديد
وسرك تهتف في أعماقها
ليته عاد وويلي لويعود

فالشاعر في هذه الأبيات يعنى بتجسيد العلاقة المثينة التي تربط بين هند (الرياض) والملك عبدالعزيز - رحمه الله - فهي علاقة محبة عميقة يحملها كل واحد منهما للآخر. ولك أن تدرك ذلك في وصفه للحالة النفسية التي تقيمت روح هند، وعوامل الرغبة والرغبة التي تجاذبتها في تلك الليلة، فهي ترغب في اقتحام الملك عبدالعزيز لأسوارها؛ لتلقاه بعد

فراق مرير ، وفي الوقت ذاته تتمنى أن لا يحدث ذلك - وهي كارهة -
لخوفها على حبيبها المنتظر من بطش أعدائه به ؛ لأنها تدرك قوة ابن الرشيد
يقول السنوسي في ذلك (١):

وفتى يخطر في برد الصببا
والردى يخطر والأرض تميد (٢)
قام الوفرة وضياء السنا
حالم النظرة كالرمح مديد
حدث شب وفي أعطافه
شيم تسمو وأخلاق تسود
بين عينيه ضياء لامع
من سنا ماض أقامته الجدود
وبأذنيه صدى من غابر
يخرس الأوتار شاديه السعيد
المنى الغر نشاوى حوله
والوغى المربعينيه قعيد

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) برد : ثوب ، والأرض تميد : تتحرك وتتمايل .

وطريق المجد مشبوب اللظى
جاحم الرمضاء ملغوم كؤود^(١)
والثرى تسرح في أشباحه
العماليق وعاد وثمرود
شق جنح الليل عزمًا ومضى
يركب الهول ويزجي ويقود
يمتطي طرفًا وينضو صارمًا
ماله في وثبة المجد حدود
يقنص المجد ويصطاد العلى
والظبا تلمع والموت رصيد
العلى أبعد شيء يبتغى
والردى أقرب مطلوب يريد
وهو إمام الصدر والملك ولا
شيء إلا القبر ما عنه محيد^(٢)

(١) ملغوم كؤود : أي مليء بالصعاب .

(٢) هذا البيت تضمنين لمعنى بيت أبي فراس الحمداني :

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، ص ٦٦ .

ثم يدلّف السنوسي إلى الحدث ، والذي يكمن في التقاء كل من الملك عبدالعزيز وابن الرشيد ، ولم يعن السنوسي بوصف ذلك الحدث ، وإنما ألمح إلى قوته بقوله :

وتلاقى في مجال ضيق

القوي الغر والحق الرشيد

موقف قف له جلد الثرى

واكفهر الجواريد الوجود^(١)

ثم يرسم الخاتمة ، والتي تكمن في انتصار الملك عبدالعزيز على عدوه ، وتمكنه من استعادة ملك أجداده من قبضة ابن الرشيد . وقد كان لذلك النصر أثره في تضيوع الفرحة وانتشارها في الكون ، وله أثره في عالم (هند) التي رمز بها الشاعر للرياض . يقول السنوسي في ذلك^(٢) :

وانجلى العشير عن تكبيرة

رجع البيد صداها والنجود^(٣)

(١) قف : قام أو ارتعد من الفزع ، واكفهر : المكفهر من السحاب : الذي يغلظ ويسود ويركب بعضه بعضا .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) العشير : الغبار المتطاير من أرض المعركة . والنجود ، واحدها النجد وهو : ماغلظ من الأرض وأشرف وارتفع واستوى .

هلل الكون على أصدائها

واستهل النصر وافتتر السعود

وأضاء الفجر في إشراقه

لسماء الشرق تاريخ جديد

وصحت هند على شدو المنى

وعلى الغازي تحبب الوفود

واستمر الدهر يروي قصة

نسجها فذ وشا ديها فريد

والتأمل في هذه القصيدة يجدها مشبعة بالتقنية القصصية ، فاللغة التفصيلية التجسيدية ملمح بارز فيها ، نلمس ذلك في تجسيده لزمن ذلك الاقتحام ، وتجسيده للمشاعر والأحاسيس التي تتجاذب عالم (هند) الوجداني ، ثم تجسيده للملامح الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ولأحلامه وطموحاته ، وتجسيده لقوة ذلك الالتحام الذي وقع بين الملك عبدالعزيز ومن معه وابن الرشيد وأتباعه ، ولتلك الفرحة التي غمرت الدنيا بأسرها إثر ذلك النصر ، والفتح المبين .

وفي حديث الشاعر عن (هند) يعمد إلى المفاجأة ، فيتقمص روح تلك العاشقة ، وكأنه هي ، وتغيب ذاتية الشاعر عن الوجود ، وتحل محلها ذات العاشقة ، فتحاور نفسها ، وتصارع هواجسها .

وهذا الأسلوب الذي انتهجه السنوسي يعزز الموقف الدرامي في القصيدة وينتشلها من المباشرة والتقريرية .

ونجد في هذه القصيدة الشخصيات وهي من أهم العناصر التي يقوم عليها العمل القصصي ، ولن أحمّد عن الصواب إن قلت : إنها الأساس الأول الذي قامت عليه قصيدة السنوسي تلك ، خاصة إذا عرفنا أن القصيدة - منذ بدايتها - معنية بإبراز شخصية الملك عبدالعزيز والإشادة بشجاعته وبطولاته .

وهناك شخصية أخرى ، إلا أن السنوسي لم يقدمها لنا كما قدم شخصية الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ولم يعن بتحديد ملامحها ، واكتفى بالإشارة إليها . إلا أننا نستطيع أن نحدد بعض ملامحها ، فهي شخصية ظالمة متكبرة .

وهاتان السمتان تفهمان من إشارة السنوسي إلى قصة العماليق وعاد وثمود ، في وصفه للصعوبات التي تنتظر الملك عبدالعزيز ، وتعرض طريقه .

وهذا ما يسمى في القصة بتداعي المعاني أو ما يسمى بتيار الوعي . ونجد في هذه القصة أهم ما يميز القصة على الإطلاق وهو الحل ، ويمكن الحل في هذه القصيدة في تلاقي الملك عبدالعزيز بخصمه اللدود

ابن الرشيد وأتباعه، ومن ثم انتصار الملك عبدالعزيز، واستعادته لمدينة الرياض موطن أسرته الأول ومقر حكمهم.

والهدف الذي يرمي إليه السنوسي - من خلال هذه القصيدة التي صاغها بأسلوب قصصي، حاوية لبعض تقنيات القصة - تبصير أبناء أمتة الإسلامية بما يجب عليهم عمله، وما يجب عليهم أن يتحلوا به من صبر؛ حتى يتسنى لهم استعادة ماسلبه أعداؤهم منهم، آخذين العبرة من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الذي لم تحد من طموحاته في استعادة ملك آبائه وأجداده، قلة عدد جيشه وعدته.

ويتخذ السنوسي هذا الأسلوب إطاراً لقصيدته (أنشودة الصقر) حيث يقول فيها^(١):

نهض الصقر والسماء حوالياً — سحاباً وبارقا وشعاعا
جذبتة إلى السماء معانيها — ها فلبى نداءها وأطاعا
ومضى كلما تمادى به الأفق — اتساعا سما إليه اندفاعا
نبضت في فؤاده نشوه الحبيب فجلى — علا وحام ارتفاعا

طائر تزدهيه إطلالة الفجر — رويه فرب قلبه الإشراق

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٧٤ - ١٧٦.

غمرت روحه الأشعة والأضواء والنيترات والأفاق
أبدا يطلب السمو ويعلى للمعالي جناحه الخفاق
عشق الشمس واستبدت به الشهوة وألوت بنفسه الأشواق

رتق الطائر العظيم جناحيه وهوى فؤاده المحموماً^(١)
ورنا يكرع الضياء بعينيه ويلهو مدوماً مستقيماً^(٢)
يرشف الحب والسلام كؤوساً ويناجي من النسيم نديماً
فإذا طلقة تطوح بالصقور جريحا يئن منها أليماً

فزع الصقر حين مس ثرى الأرض جناحيه وانتحى وتعالى
ومضى زاحفاً يجر جناحاً طالما روع الطيور صيلاً
لم يدنس أديمه وحل الطيور من غلابا ولم ينفض رمالاً^(٣)
فإذا حية تطل عليه ثم تطوي إلى مداه حبلاً

(١) رتق : رتق الطائر : إذا خفق بجناحيه في الهواء ولم يطر .

(٢) يكرع الضياء : أي صوب رأسه إليه ، ومدوماً : أي حلق في السماء ولم يحرك

جناحيه .

(٣) أديمه : جلده .

زحفت نحوه فمد إليها نظرا نافذا وروحا قويا
فتهاوت على التراب وقالت : إنني أنشد اللقاء الحفيا
أفترضى بأن أطارحك القرو لسميرا وأن أكون نجيا ؟
أنت عن هذه الديار غريب يا صديقي فضع يدا في يديا

واستفاض الحديث بين الصديقين من زلالا تعب منه النفوس
حين قالت : من أي أرض ومن أي مكان هذا الجمال النفيس ؟
كيف لم نهتدي إليه ولم تخطر به فكرة علينا الرؤوس ؟
قال : إنني من عالم النور يا أخا ست وداري نجومه والشموس

أنا لا أعرف التراب ولا الطيب من ولا ضمني من الأرض جحر
أنا من عالم يعيش ويحيا في سماء لها صفاء وطهر
لا غبار يلوح في جوها الصا في شقاء ولا دخان وغدر
وهي كون من الطلاقة والإش راق والبشر بل خيال وشعر

في شموخ الجبال رف جناحي ومن نبتها النضير غذيت
وعلى قمة هنالك شما ء ترعرعت فوقها وريبت

رشفت مهجتي الشأبيب والأنب داء حتى تضلعت وانتشيت (١)
 أين مني سنا تفجر في نف سي وأفق من حسنه ما ارتويت ١٩

وشكى حسرة يوجبها العج ز وضعفا تذكي لظاه الجراح
 ورمى طرفه إلى الأفق أسيا ن وقد هيض ريشه والجنح (٢)
 ثمت استجمع القوى يرمق الجـ ووقد لاح في رؤاه الصبح
 زف في قوة وأهوى إلى البحـ ر غريقا تبكي عليه الرياح (٣)

شافت الحية الأحاديث حتى لمعت في لحاظها الأطماع
 وأسرت عزيمة تقصم الظهـ ر وتعيأ بحملها الأضلاع
 جمعت نفسها انطواء وهمت واشـرأبت وسرها الاندفاع
 وثبت وثبة البروق فردتـ ها إلى الأرض شيمة وطباع

وهوت تفحص التراب وتهتـ ز على قاعه من الرجفان

(١) تضلعت : أي امتلأ ما بين أضلاعه شبعاً ورياً .

(٢) هيض : أي كسر .

(٣) زف : زف الطائر في طيرانه يزف زفا وزفيفاً وزفزة : ترامى بنفسه، وقيل : هو

بسطة جناحيه .

وعلى حفرة هنالك ألقست جسمها في حقارة وهوان
نضنضت والتوت ومالت ودست رأسها في رطوبة الأطيان^(١)
واستفاقت مما عراها فقالت: تلك عقيب خرافة الطيران

لا ليست السماء لصل زاحف في الظلام والأدغال
أنت لم تخلقي لإشراقه الجـ ولا روعة الذرى والجبال
ولكل حياته يارقيطا فلا تهرفي بسخف المقال
تلك عقيب تمرد الطبع والنفـ س وإسرافها وسوء الخلال

واستمرت أنشودة الصقر تنسا ب بأحانها على الأكوان
يطرب النفس وقعها وتثير الـ فكر أصداؤها وتحيي الأمانى
في تلاحينها من السحر ألوا ن ومن فتنة الجمال معاني
نغم ساحر الصدى ونشيد من صميم الشعور والوجدان^(٢)

والتأمل في هذه القصيدة يجدها مشبعة بالتقنية القصصية منذ

(١) نضنضت : النضنضة : صوت الحية إذا حركت لسانها .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٨٣ - ١٨٧ .

بدايتها ، نلمس ذلك في عنايته بتجسيد كل شيء ، فالبحر ذو العباب يحيي الشاطئ الحالم ، والأفق بهي ، والسنا الذائب يشعشع في الموج رحيقاً ، والشعاع الأبيض يسكب الصفاء النقياً ، هذه المشاهد المتلاحقة لجمال الطبيعة في ذلك اليوم ؛ أغرت الصقر بمفارقة وكره ، والتحليق في أجوائها . ويواصل الشاعر في بقية أبيات القصيدة تجسيده لكل ما حدث ، عن طريق لغة موحية ، تهتم بالتفصيل والتنقل بين الجزئيات على لسان الشاعر ، سواء للحالة الخارجية أو للوقائع ، فيحدثنا السنوسي عن « قصة هذا الصقر وكيف تعرض لطلقة نارية طوحت به جريحاً ، وهو طائر يعز عليه أن يتمرغ في الطين والأوحال ، وإذا حية تطل عليه وتقترب منه رويداً ، وبمنظرة واحدة منه تراجعت وطلبت منه صداقته ، ويجري بينهما حوار قصير ، تعلم منه أن هذا الصقر جاء من أراض بعيدة كانت مهداً للجمال والحب والصفاء والوفاء » ، ثم يستجمع الصقر قواه ويطير ، ويترك الحية تحاول أن تطير ، لكنها تخيب في محاولتها لأن الطيران مخالف لتركيبها وطبيعتها ، أما هو فيهوي في البحر ويموت . . . » (١) .

ولا يخفى على القارئ المتعمق ما تحفل به هذه القصيدة من أشياء هي

من صميم عقيدتنا الإسلامية .

(١) شعراء من أرض عبقر ، ج(٢) ص ١٥٥ - ١٥٦ .

فالصقر ذلك الطائر القوي، عاشق السماء، ومرهق الطيور بملاحقته لها كان مآله إلى الموت، مطلقاً حقيقة حتمية أنه لا بقاء إلا لله . والحية - ذلك المخلوق الزاحف - تواجه بالفشل الذريع ، عندما تحاول التمرد على فطرتها وماهيتها رغبة في الطيران، مطلقة هي أيضاً حقيقة حتمية ، تكمن في أنه مامن مخلوق إلا وهو ميسر لما خلق له (١) . وهاتان الحقيقتان من شأنهما أن يعمقا إيمان المتلقي بالله - سبحانه وتعالى - وبقضائه وقدره .

ومن قصائده التي بدت فيها النزعة والروح القصصية بالإضافة إلى ما سبق الاستشهاد به قصيدته (موكب السحاب) التي يقول فيها (٢) :

هب والأفق ديمية وغمامه وجبين السماء بادي الجهامه (٣)
 وميض النجوم إيماء لحظ وسنا البرق بسمة والتشامة
 والدجى عاطر النسيم ندي الضم وء زاهي الرؤى مليح الوسامه
 شاعر رفرفت على لحنه الطيب رهياماً ورددت أنغامه

(١) في الأدب الإسلامي ، د. محمود شاكر سعيد ، ط (١) ١٤١٣ هـ ، دار المعارج الدولية للنشر ، ص ٤٤ «بتصرف» .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ١٢٥ - ١٣١ .

(٣) الدمية : المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق ، الجهامة ، الجهممة ، والجهممة : أول مآخير الليل ، وقيل : هي بقية سواد من آخره ، ولعل الشاعر أراد بالجهممة هنا : غلظ ذلك السحاب وكثافته لأنه قد غطى السماء من حوله .

شاقه موكب السحاب وقد سا
 وزفيف الرياح يخرق الجـ
 وازدهته الرعود تختلب النفـ
 مشمخر الذرى رقيق الحواشي
 عيلم تسبح الكواكب فيه
 ضربته الرياح فاستقبل الأر
 نائر والسكون يضي على الكو
 جلل الأرض والسما وأعيا
 غدق أيقظ الحياة على الأر
 سال عبر الفضاء ذوب لجين
 وجرى في الشعاب تبرا مذابا
 نعمت قرة به أعين الأر
 وتجلت به الطبيعة حسنا
 تتضحى بها المناظر والأفـ
 دوحة عند جدول وغدير
 ومروج تهدلت تملأ السوا
 سطعت في ظلالها لمع الشمـ
 ومشت حولها المها تقطف الزهـ

ر على الأفق ناشرا أعلامه
 و صفييرا والبرق يجلو حسامه
 س جلالا وتطبيها فخامه
 سابغ الذيل مسبلا أكمامه
 وتشق الدجى به عوامه
 ض حثيثا يبتشها آلامه
 ن جلالا والليل يرعى نيامه
 صائل الرعد أن يدك ركامه
 ض وأحيا من الوجود رمامه
 واستفاضت به البطاح مدامه
 وسجى عسجدا وفاض رخامه
 ض ورفق قلبها المستهامه
 ء تشير الهوى وتذكي ضرامه
 لام حسنا على مجالي تهامه
 عند عشب وظبية وبشامه
 دي وتستوقف النسيم سلامه
 س ورقت بها دموع الغمامه
 ر وتحسو الندى وترعى الخزامه

وشدا في الفروع صادح أيك جاويت لحنه الرقيق حمامه
 ونضا الفجر فوقها ضوءه الزا هي وألقى على الرياض لثامه
 وجلاها أزاهرا كالشفاه اللعس حارت على لماها ابتسامه
 صوريرقص الخيال عليها وتطير المنى بها حوامه
 ورؤى تستفز عاطفة القلب وتستهبط النهى إلهامه
 والمتأمل في هذه القصيدة يقف على سريان الروح القصصية فيها،
 والروح القصصية في الشعر كما يرى الدكتور عبدالله حامد «هي أصعب
 الأمور، وغاية الفن، والتي لا يصل إليها إلا القلائل من الموهوبين»^(١).
 نلمس تلك الروح في المشاهد المتلاحقة التي جسدها لنا الشاعر لذلك
 السحاب منذ بداياته إلى أن اختلط بتراب الأرض، وما أسفر عنه ذلك
 الاختلاط من استعادة الأرض لبهجتها وزينتها.

والناظر لتلك المشاهد يجدها مترابطة أشد ما يكون الترابط، فالمشهد
 الأول يفضي إلى المشهد الثاني، والمشهد الثاني يفضي إلى المشهد الثالث،
 وهكذا تستمر المشاهد حتى نهاية القصيدة، فالمشهد الأول، اهتم السنوسي
 فيه بتجسيد السحاب، بدءاً من سيره البطيء الموحى بكثافته، وامتداده
 ليغطي كل الآفاق، مروراً بتجسيده لصفير الرياح القوية وشدتها، وانتهاءً

(١) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، د. عبدالله الحامد، ط(١)،

بلمعان البروق ، وأصوات الرعد المتلاحقة . وهذه المناظر الجزئية - التي تكون هذا المشهد - تؤكد أن السحاب الذي أغرى شاعرنا بمتابعته يحمل في طياته الخير للأرض ومن عليها . وهذا ما تفصح عنه المناظر المتلاحقة التي كونت المشهد الثاني ، فالرياح ضربت ذلك السحاب ، فهوى على الأرض يبثها آلامه ، ولأن خيره كثير فقد أيقظ الحياة على الأرض ، ثم جرى في السحاب كالتبر المذاب .

أما المشهد الثالث ، فقد اهتم فيه السنوسي بتجسيد أثر المياه التي انهمرت من ذلك السحاب لتعانق الأرض . نلمس ذلك في المناظر المتلاحقة التي تكون هذا المشهد الذي يوحي بالحياة والجمال ، فالطبيعة قد تجلت وظهرت في أحسن حللها بعد طول احتجاب ، والمروج الخضمر تهدلت على جنبات الوادي مستقبلة سلام النسيم ، والمها تقطف الزهر تارة وأخرى تحسو قطرات الندى المستقر على أوراق تلك الزهور ، بينما راحت الطيور بأنواعها المختلفة تعلن فرحتها بواسطة أصواتها الجميلة . . . الخ .

ولا يخفى على القارئ لهذه القصيدة قدرتها على شده وجذبه إلى آفاقها رغم طولها ، ولعل السبب في ذلك راجع إلى تماسكها العجيب . فمشاهدها المتلاحقة مترابطة فيما بينها ، بحيث لا يستطيع القارئ لها الوقوف عند مشهد دون أن يفضي به إلى المشهد الثاني فيها ، وهذا يدلنا

على براعة السنوسي في استخدامه للأسلوب القصصي ، ومقدرته الفذة على النفاذ به إلى عالم المتلقي من خلال عنصري الإثارة والتشويق اللذين تحفل بهما كل قصائده التي أشرنا إليها ، والتي عرضنا لها بالدراسة والتحليل .

ويبدو لي أن طبع السنوسي المتدفق ، وتمكنه من فن الوصف وإجاده فيه ، ساعدا - كثيراً - على إبراز تلك الروح القصصية التي ابتعدت بكثير من تجاربه عن التقريرية والمباشرة .

المبحث الثالث

الصورة الفنية

الصورة الفنية

يعد التصوير الأداة البارزة التي اتكأ عليها السنوسي في التعبير عن أبعاد وجوانب تجربته الشعرية .

ومن المعروف أن التجربة الشعرية لا تكتمل ولا يتحقق لها التأثير المأمول في نفس متلقيها إلا عن طريق الصورة الشعرية ، ذلك أن الشاعر «بواسطة الصورة يشكل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس ، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره»^(١) ، وعن طريقها يستطيع الشاعر التأثير في نفس المتلقي ، ومن ثم حملة على المشاركة الوجدانية عن طريق إثارته لمشاعره وانفعالاته . وقد لفت انتباهي وأنا أتبع الصور الشعرية التي استعان بها السنوسي لتجسيد رؤيته الشعرية ، وتحديد أبعادها ، تنوع تلك الصور ، وتعدد مصادرها .

ولهذا رأيت أن أتناول بالدراسة في هذا البحث مايلي :

أولاً : مصادر صور الشاعر .

ثانياً : الخيال والصورة الشعرية .

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، ط (٢) ١٩٧٩م ، ص

ثالثاً : المفارقة التصويرية .

أولاً : مصادر صور الشاعر :

إن دراسة الصورة الشعرية في شعر السنوسي الإسلامي تؤكد أنها

تعود إلى مصادر ثلاثة هي :

١ - مصادر ثقافية .

٢ - الطبيعة .

٣ - الإنسان .

وسنحاول الوقوف عند كل مصدر على حده لنرى إلى أي حد

استطاع الشاعر أن يفيد من تلك المصادر المتنوعة والمتعددة في رسم وخلق

صوره في شعره الإسلامي .

(١) المصادر الثقافية :

كان لثقافة شاعرنا الدينية والأدبية أثر كبير وفعال في تشكيل صورته

الشعرية، والمتأمل في شعره الإسلامي يقف على ذلك الأثر الذي أحدثه

القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتاريخ الإسلامي، وتراثنا

الأدبي، في الجانب التصويري فيه .

ويأتي القرآن الكريم في مقدمة تلك المصادر التي أثرت في شعر شاعرنا

الإسلامي من حيث الكثرة والعمق .

والقرآن الكريم كما هو معروف « كتاب ديني بالدرجة الأولى، ولكن

الهدف الديني والتربوي فيه لا يظهر عارياً مباشراً، بل يلبس صورة فنية في أغلب الأحيان، وإنك لا تعدم التصوير فيه حتى في التعبير الحقيقي الذي لا تجده يندرج تحت الأنماط البلاغية المعروفة»^(١) ومعنى ذلك أن الصورة القرآنية ملازمة للتعبير القرآني، وهذا ما أكده سيد قطب: «إن التصوير هو الأداة المفضلة في القرآن»^(٢).

وشاعرنا أظهر مقدرة فائقة في التعامل مع الصورة القرآنية في تجاربه الشعرية، ولعل في تلك المقدرة دليلاً على احتوائه للصورة القرآنية وتفاعله معها.

وهذان الأمران جعلاه لا يكتفي بمجرد النقل الحرفي للصورة القرآنية، ومن ثم تضمينها في نسيجه الشعري على سبيل الاقتباس، وإنما أضاف إلى كثير منها شيئاً من شاعريته الفياضة، بحيث تصبح الصورة القرآنية المستوحاة، أو المشار إليها، جزءاً من نسيجه الشعري لا غنى لتجربته عنها. فهي بالإضافة إلى أدائها لمهمتها في تلك التجربة، تقوم بعملية الإثراء لتلك التجربة بواسطة إحياءاتها وامتداداتها القرآنية العميقة الأثر.

(١) أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث، ص ١٠٩-١١٠.

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط (٨) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار

الشروق، ص ٣٧.

وقد تعددت طرقه في التعامل مع الصورة القرآنية، فتارة يميل إلى استخدام بعض المفردات القرآنية التي تدل على معانيها من خلال هيئتها أو جرسها أو ظلها، وميزة تلك الألفاظ تكمن في قدرتها على تصوير المعنى المراد تصويراً ينبض بالحركة والحيوية.

ومن استخدامه لمثل هذه المفردات قوله في قصيدته (أم القرى) واصفاً الأثر الذي أحدثته الرسالة الإسلامية في المعمورة^(١) :

هزمت أشعتها الظلام وزلزلت كسرى وراء الخافقين وقيصراً
فلفظة (زلزلت) التي وردت في هذا البيت تصور دلالتها المعجمية المعروفة، ولكن أغلب الظن أن الصورة القرآنية لهذه اللفظة كانت حاضرة في ذهنه، وهو سابح في أفق الماضي الجميل، فاراً من الحاضر الأليم، مستحضراً الأثر الذي أحدثته الرسالة الإسلامية في كل أرجاء المعمورة، من نشر للعدل، وتحقيق للمساواة، ودحر للظلم والطغيان المتمثلين في أقوى أمتين على وجه الأرض في تلك الفترة.

وإذا كانت هذه اللفظة قد وردت في القرآن الكريم لتصف مشهداً من مشاهد القيامة كما في قوله تعالى : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾^(٢)

(١) الأعمال الكاملة، ص ١٦ .

(٢) سورة الزلزلة، الآية : ١ .

حيث انتهاء الحياة الدنيا، ومن ثم البدء في أمور الحياة الأخرى، وما ينتظر الإنسان من حساب وعقاب قبل الولوج إلى أحد الدارين، فهي في بيت السنوسي السابق تصور نهاية الطغيان والظلم التي جاءت نتيجة طبيعية لانتهاء نفوذ كل من الفرس والرومان على هذه المعمورة، وانتشار قيم ومبادئ الرسالة الإسلامية.

ومن تلك الألفاظ التي استعان بها السنوسي في نسيجه الشعري لفظة (فضة) و(غلاظ) كما في قوله يصف فدائية المجاهد الفلسطيني (١) :

وأقذف بالمنايا والشظايا قلبوا فضة وقوى شريره

وقوله في وصف أخلاق المنافقين الذين ابتلي بهم مجتمعه (٢) :

بسمات ملونات وأخلا ق وصولية غلاظ سخيغه

فإيقاع لفظتي (فضة) و(غلاظ) عن طريق هذه (الظاء) التي يجد اللسان ثقلاً وغلظة في نطقها، يحكي ويصور واقع المستعمرين الإسرائيليين ومدى قسوة قلوبهم في البيت الأول، كما يحكي ويصور لنا أخلاق أولئك الوصوليين الذين يسعون إلى غاياتهم عبر الطرق الملتوية.

ولهايتين اللفظتين وجودهما في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى

(١) الأعمال الكاملة، ص ٤٩٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣٨ .

في نفس هذه الصفة عن رسوله الكريم : ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب
لأنفضوا من حولك ﴾ (١) .

وقوله تعالى في وصف نار جهنم : ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد لا
يعصون الله ما أمرهم ﴾ (٢) .

وقد عبرتا عن دالتهما أدق تعبير كما هو واضح في الآيتين
السابقتين .

وتارة يستخدم بعض المفردات التي لها صلة عميقة بالصورة ، لا من
حيث بنيتها اللغوية أو الموسيقية كما سبق أن بينا ، وإنما من حيث قدرتها
على إثارة واستحضار صورة أو مشهداً قرانياً . وتقوم المفردة بهذه المهمة
« حين يضعها الشاعر في سياق خاص ، ويكون لهذه المفردة فضلها في
جعل الصياغة الشعرية صياغة تصويرية ، كما أنها تساعد على تداعي
المعاني والصورة في مخيلة المتلقي ذي الثقافة القرآنية ، وتجعل المدلول
الشعري أوسع وأغنى من الدلالة المباشرة » (٣) .

وأمثلة هذا النوع في شعر السنوسي كثيرة جداً ، ومنها قوله في قصيدته
(العالم العربي) واصفاً صحوة أبناء أمته من غفوتهم التي طالت (٤) :

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

(٣) أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث ، ص ١١٦ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٨٧ - ٨٨ .

نهض الكيان الضخم من أغلاله ورمى سلاسله بكل إياه
سبعون مليوناً يضيء طريقها قيس يؤججه دم الشهداء
والتأمل في تعبير السنوسي (قيس يؤججه دم الشهداء) يجده يحمل
صورة ثرية ، خاصة إن نحن ربطناه بنفسية الشاعر التواقة لتلك الصحوة
التي ستثمر عن استعادة أمتنا لأمجادها التليدة ، وكذا جو النص العام الذي
ورد فيه . ولكن هذا الثراء الذي يكتنزه ذلك التعبير في ذاته سيكون أعمق
وأعظم إذا عرفنا أن للمفردة (قيس) امتدادات قرآنية موحية ، ويكفي أن
نذكر هذه الصورة القرآنية : ﴿ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً
فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً العلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار
هدى ﴾ (١) . فموسى - عليه السلام - كما تحكي هذه الآية القرآنية «ذهب
يطلب قبساً من النار ، ويطلب هادياً في السرى . . ولكنه وجد المفاجأة
الكبرى ، إنها النار التي تدفئ لا الأجسام ولكن الأرواح ، النار التي تهدي لا
في السرى ولكن في الرحلة الكبرى» (٢) .
ومن هنا يكون عمق المفردة في امتداداتها العميقة ،

(١) سورة طه ، الآية : ٩ ، ١٠ .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج(٤) ط(١٥) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الشروق
: ص : ٢٣٣٠ .

واستثارتها لأجواء ومشاهد قرآنية، من شأنها أن تكسب الصياغة الشعرية قوة تصويرية، وعمقاً تخيلياً^(١).

واستخدام السنوسي لهذه المفردة، يوحي برغبته في التحرر من القيود، والانسلاخ من حالة الضعف والهوان، وتطلعه إلى استعادة الأراضي العربية والإسلامية التي ترواح تحت وطأة الاستعمار بعد أن أريقت فوقها دماء أبنائها.

ومن تلك المفردات القادرة على إثارة المتلقي، واستحضار كثير من المشاهد القرآنية الموحية - لفظة (صرصر) كما في قوله معمقاً أثر الصحوة العربية، وواصفاً قدرتها على تحقيق غاياتها^(٢) :

وهدهو أمواج البحار تاهب

للمد يكتسح الشواطئ صرصرا

فالشطر الثاني من هذا البيت (للمد يكتسح الشواطئ صرصرا) يحمل صورة ثرية وفق في اقتناصها خيال الشاعر ؛ لتعميق أثر تلك الصحوة، ولكن هذا الشراء سيكون أعظم إذا عرفنا أن للمفردة (صرصر) امتدادات قرآنية موحية، ولك أن تتأمل ورودها في الآيات القرآنية الآتية :

(١) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص : ١١٦ « بتصرف » .

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٢٤ .

قال تعالى : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ (٣) .

فهي في الآيات السابقة تصور شدة العذاب الذي أنزله الله بقوم عاد لطغيانهم وتجبرهم ، وأقرب الظن أن السنوسي قد استحضر ذلك المشهد القرآني الموحى بالهلاك والإبادة الجماعية ، فوظف ما يدل من ذلك المشهد عليه ، في تجربته التي جاءت كصدى لتلك الصحوة العربية المنذرة بهلاك أعدائهم المتربصين بهم .

ولم يتوقف تأثر السنوسي بالصورة القرآنية عند هذا الحد - الذي سبق أن أشرنا إليه - وإنما تعداه إلى رسم بعض الصور الكلية ، مستمداً جزئياتها من القرآن الكريم .

ومن نماذج هذا النوع من التصوير في شعره قوله (٤) :

(١) سورة الحاقة ، الآية : ٦ .

(٢) سورة القمر ، الآية : ١٩ .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ١٦ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٤٥٧ .

ذاك شيء علمته مذوعي قلبي الفكر
كانت الأرض والسما ء أما تقرأ السور
فتق الله رتقها فاندحى الكون وانتشر

فالسنوسي هنا وإن لم ينقل لنا الصورة القرآنية حرفياً على طريقة الاقتباس المباشر، فهو يشير في هذه الأبيات إلى كيفية خلق السموات والأرض، وهذه الصورة التي استحضرها خيال السنوسي مستمدة من قول الله تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاًها﴾^(٢).

وهناك نمط من التصوير «تدخل ملكة الشاعر التخيلية في الصورة القرآنية، فتقوم بالحذف أو الإضافة، أو التحوير، وفق ما تستوعبه الصياغة الشعرية، أو الموقف الذي يعني الشاعر بتجسيده»^(٣).
ومن نماذج هذا النمط من التصوير قول السنوسي واصفاً ليلة الهجرة النبوية^(٤):

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٢) سورة النازعات، الآية: ٣٠.

(٣) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص ١٢٧.

(٤) الأعمال الكاملة، ص ٢٦١.

ليلة ما تنفس الصبح عن مثـل سناها على ثرى الصحراء
فالأصل القرآني لهذه الصورة التي تدخل الشاعر في بناء صورته
الشعرية من مادتها هي قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿والصبح إذا
تنفس﴾ (١) والتحوير الذي قام به السنوسي في هذه الصورة هو أن القرآن
الكريم كان «يعني تجسيد الصبح ذاته، وهو ينشر نفسه على الكون؛ ليشعرنا
بعظمته وجمال مشهده» (٢).

أما السنوسي فلم يعن بتجسيد الصبح - وإن كان يرمي إلى انتشاره
على صفحة الكون، وبيان جمال مشهده - وإنما كان يجسد أثر تلك الليلة
التي ترتب على نجاه الرسول - ﷺ - فيها، انتشار الرسالة الإسلامية في
الآفاق، فاستعار لها الصبح، وما ينبثق منه من أنوار.

ولعل الناظر في هذه الصورة ومدى التحوير الذي أجراه السنوسي
فيها يقف على براعته في تطويع الصورة القرآنية، وصياغتها بما يناسب
هدفه وتوجهه.

ونمط آخر من التعامل مع الصورة القرآنية يواجهنا به الشاعر وهو
ما يمكننا تسميته بالصورة الإيحائية، وأقصد بها تلك الصورة التي تومئ إلى
الصورة القرآنية لتضمنها شيئاً منها، ومثل هذه الصور تحتاج إلى حضور

(١) سورة التكوير، الآية : ١٨ .

(٢) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، ص : ٢٧٤ .

ذهن المتلقي الذي سيقوم بدوره بالتقريب بينها وبين عناصر الصورة القرآنية المستوحاة^(١).

ومن نماذج ذلك التعامل قوله في قصيدته (أمامك دنيا) ^(٢) :

فلم يطغني نجح ولا هدني أسى

وما نكثت كفي نسيجا ولا غزلا

فالسنوسي هنا يبين موقفه من الحياة في موقفين من مواقف الحياة المكرورة، موقفه وقد حالفه النجاح، وموقفه وقد رافقه الأسى الذي أتى نتيجة لفشله في شيء ما. وقد أبدى رضاه في الحالين وهذا ما ينبئ عنه الشطر الثاني :

(وما نكثت كفي نسيجا ولا غزلا)

وهو غني بإيحائه المستمد من تلك الإيماء إلى الصورة القرآنية التي

جاءت في قول الله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ﴾^(٣).

ومن ذلك النمط قوله ^(٤) :

(١) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص ١٢٤ « بتصرف » .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٧ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٢ .

(٤٢) مجلة المنهل ، المجلد (٢٣) شعبان ١٣٨٢ هـ ، ص ٥٠٥ .

فقل لدعاة الزينغ مهلاً فإنكم

على جرف هار وفوق شفا مودي

فالصورة التي يحملها لنا الشطر الثاني (على جرف هار وفوق شفا مودي) فيها إيحاءة إلى صورة قرآنية يتضمنها قول الله تعالى : ﴿ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ﴾ (١) .

وكما تأثرت الصورة الشعرية عند شاعرنا بالصورة القرآنية تأثرت كذلك بالصورة في الحديث النبوي ، وليس أدل على ذلك من قوله (٢) :

أملى إرادته وضم صفوفه والتف من قطر إلى البيضاء
متماسك اللبنة متحد الخطى متجاوب الدعوات والأصدا
تباين الأسماء في تعريفه كالجسم وهو موحد الأعضاء

فهذه الصورة التي تحمل لنا حلمه الجميل مستوحاة من قول الرسول - ﷺ - (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه) (٣)

ومن صورهِ المتأثرة بالصورة في الحديث النبوي ، صورته التي اجتلبها ليجسد لنا مبدأ المساواة الذي عملت على ترسيخه الرسالة الإسلامية (٤) :

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٨٧ .

(٣) فتح الباري ، الجزء العاشر ، ص ٤٥٠ .

(٤) الأعمال الكاملة ، ص ٣٩٤ .

شريعة كشعاع الشمس نيرة

الناس في ظلها كالمشط أسنانا

فالصورة التي يحملها الشطر الثاني مجسدة المساواة بين الناس في ظل الرسالة الإسلامية مستوحاة من قول الرسول - ﷺ - برواية أنس بن مالك :
(الناس مستون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله عز وجل) (١) .

وكما تأثرت الصورة الشعرية - في شعر شاعرنا - بمصدري التشريع الإسلامي كما مر بنا أنفا تأثرت - أيضاً - بالتاريخ الإسلامي ، خاصة في تجاربه العميقة الصلة بالرسالة الإسلامية وتاريخها المشرق وأبطالها العظام .
وتماذج استمداده لمواد صوره من التاريخ الإسلامي كثيرة جدا ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله في قصيدته (المغرب العربي) (٢) :

كأنني أرى موسى أمامي بخيله

وأسمع وثب الخيل والركض والقمصا

(١) الفردوس في مآثور الخطاب ج(٤) ص ٣٠١ ، رقم ٦٨٨٣ ، وقال أبو حاتم عنه :
هذا حديث منكر ، وأبوسعيد مجهول . انظر في ذلك اللآلئ المصنوعة ، ج(٢) ص ٢٩٠ ، وانظر كشف الخفاء ، ج(٢) ص ٣٢٦ . وهو حديث ضعيف .
(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٦٢٥ - ٦٢٦ .

ولمح المواضي والسففين وطارق
يخوض عباب اليم واليم قد غصا
وخطبته كالرعد تقتحم الذرى
وإيمانه لا يعرف الخوف والحرصا
مأثر للإسلام وهاججة السنا
قبايا وألبابا سوامق لا وقصا
وكم لهدي الإسلام في الأرض من يد
بها صفت مستعمراً ورمت لصا

فالسنوسي في هذه الأبيات يقدم لنا صورة مشرقة من صور تاريخنا الإسلامي، محاولاً بواسطة التأثير في أبناء أمته الذين تخلوا عن أمجادهم وبطولاتهم بعد أن ركنوا إلى الخمول، واستسلموا للضعف والهوان. وقد اكتسبت تلك الصورة الجمال من عنصر الحركة الموجود فيها، من خلال الألفاظ (وثب ، الركض ، لمح ، يخوض ، تقتحم) ومن الصور الجزئية التي تداعت في ذاكرة السنوسي مكونة الصورة الكلية ، مثل : (أسمع وثب الخيل ، ولمح المواضي والسففين ، وطارق يخوض عباب اليم ، وخطبته كالرعد تقتحم الذرى) .

وبالإضافة إلى تلك المصادر التي وقفنا على تأثيرها في صور شاعرنا في شعره الإسلامي، هناك مصدر آخر له أثره - أيضاً - في صورته إلا أنه

لا يفوق المصادر السابقة، وهذا المصدر هو تراثنا الشعري الضخم في عصور قوته وازدهاره.

ومعظم الصور الشعرية التي وقفت عليها، والتي تمثل تأثيره بهذا المصدر، ليست منقولة بحذافيرها في تجاربه وصوره الشعرية، وإنما هي مستوحاة استيحاءً، وهذا الضرب من التأثير محمود ويحسب للشاعر، ويؤخذ إن عمد إلى النقل الحرفي من تراثه سواء في مجال الشعر أو التراث الفكري عموماً. وهذا ما أكده الناقد الإنجليزي: (ت . س اليوت) في التعامل مع التراث (١).

ومن تلك الصور على سبيل المثال لا الحصر: صورة السيف، وما توحى به من معاني القوة والعزة والمنعة، استخدمها الشاعر في بعض تجاربه، محاولاً بها تصوير ميل نفوس أبناء أمته - منذ بداياتهم - إلى المجد والمعالي من الأمور، وتجسيد ما يمور فيها من مشاعر لتحقيق ذلك بحد السيوف وصليلها في معاركهم الضارية. نلمس ذلك في قوله مادحا الملك سعود - رحمه الله - (٢):

(١) انطونيو وكليوباترا، دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي، د. عبدالحكيم

حسان، ط (٢)، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ٣٥-٣٨.

(٢) مجلة المنهل، المجلد (١٥)، ربيع الأول ١٣٧٤هـ، ص ١٢١.

أنت المؤمل لليوم الأغر إذا

هزت فلسطين سيفاً والظبا علق

وفي حديثه عن الجيش السعودي وتجسيده لاستعداداته الدائم
للمتربصين بأمن وخيرات وطنهم (١) :

كل شبر من حمانا وذراننا غابة تزار سيفاً وسنانا
وفي وصفه لفدائية أبناء مصر وشجاعتهم (٢) :

وانبرى فوق كل كتز على الأر ض شجاع حسامه سفاح
وصورة الأسد ، وما توحى به من قوة وشجاعة وإقدام ، وردت في
كثير من تجاربه التي عرض فيها للحركات النضالية ، التي قامت بها بعض
الشعوب العربية والإسلامية ضد المستعمرين . نلمس ذلك في قوله واصفا
ثورة الفدائيين الفلسطينيين (٣) :

في الطريق الرهيب طاروا صقورا ومشوا في ظلالها أسادا
وفي تجسيده لانتفاضة أبناء أمته العربية (٤) :

فالليث يجمع نفسه متحفزا للوثب حين تراه يمشي القهقرا

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٤١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

وصورة الجبل ، وما توحى به من معاني الثبات والقوة والشموخ ،
استخدمها الشاعر في مواطن كثيرة تستدعي كل تلك المعاني التي يوحى بها
الجبل . نلمس ذلك في قوله واصفا ثبات الرسول - ﷺ - على موقفه أمام
كفار قريش (١) :

والرسول العظيم كالطود إيما نا وكالنجم في السنا والسنا
وفي وصفه لفدائية المجاهد الفلسطيني وموقفه في وجه المستعمر
البغيض (٢) :

وقفوا كالجبال حزما وعزما وتحذوا الطفنة والمرادا
وصورة الشمس ، وما توحى به من معاني الظهور والرفعة ،
استخدمها في مواطن من شعره استدعت حضورها وحضور المعاني التي
توحى بها ، نلمس ذلك في قوله مشيدا بالرسالة الإسلامية (٣) :

في دعوة كالشمس ساطعة السنا

تهدي الضليل وترشد المتحيرا

وفي مدحه للملك عبدالعزيز - رحمه الله - (٤) :

متألق كالشمس زاه كالضحى عال على فلق الزمان محلق

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٤) شعراء الجنوب ، ص ٨٠ .

وصورة الجلمود ، وما توحى به من معاني الصلابة والشدة ،
استدعاها الشاعر محاولاً بواسطتها تأكيد المعاني التي يرمي إليها ، كما في
قوله واصفاً مصارعة البحارة لأمواج البحر العاتية بسواعدهم الصلبة (١) :

ويصارعون الموت في أعماقه بسواعد صماء كالجلمود

هذه بعض الصور التي استوحاها الشاعر ، واستمد موادها من ذاكرته
التي اختزنت في داخلها الكثير من تراثنا الشعري الضخم الذي انكب عليه
في مطلع حياته الأدبية .

والتأمل في الشواهد الشعرية التي أوردناها ، والصور التي تضمنتها ،
يدرك أن الشاعر لم يعمد إلى نقلها حرفياً كما هي في مصادرها ، وإنما
استوحاها استيحاء ، في مواطن تستدعي حضور مثل تلك الصور الشعرية .
وهذا التأثر من قبل شاعرنا ببعض الصور التراثية القديمة - لا
يجعلنا نحكم بفقدانه لأصالته الشعرية ، وذلك لأن الشاعر «ليس نباتاً
شيطانياً ، وإنما هو حلقة في سلسلة المبدعين ، يتأثر بمن سبقه ، ويؤثر فيمن
لحقه ، ومن ثم فإن تأثره بالآخرين لا يطيح بأصالته الشعرية ، ولا يفقده تميزه
بين أقرانه من الشعراء» (٢) .

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٧٧٧ .

(٢) دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، ص ٤٤ .

(٢) الطبيعة:

تعد الطبيعة - بما تحتويه من حيوانات ونباتات وجمادات - المصدر الثاني لصور شاعرنا، وتأتي الجمادات كأكثر أنواع هذا المصدر ظهوراً في صورته. ويبدو لي أنه قد وجد في معظم مظاهر هذا النوع ما يشبع نفسه التي تأبى الخنوع وحياة الذل والهوان، وتعشق السموي في كل شيء. وهذا ما أكدته بقوله (١):

شاقني ذلك السموولي قلـ بـ ولوع بكل سام وعال
كلف بالسمو أني تجلـى شامخا في الجبال أو في الرجال
ولهذا نرى في صورته الشهاب ، والكواكب ، والأفق ، والسماء ،
والشمس ، والفضاء ، والسحاب ، والسنا ، والقبس ، والذرى ، والربوة
، والجبل ، والجو ، والأنجم . كقوله (٢):

جذبتـه إلى السماء معانيـه هـا فلبى نداءها وأطاعا
ومضى كلما تمادى به الأفـ ق اتساعا سما إليه اندفاعا
وقوله (٣):

عشق الشمس واستبدت به الشـهـ بـ وألوت بنفسه الأشواق

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٣٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .

وقوله (١) :

ألقاه في لمع الكواكب والدجى يرنو إلى إطراقة الشعراء
وأراه يلمع في الفضاء فيتشي قلبي بكل سحابة وطفاء (٢)

وقوله (٣) :

والذرى تنطح السحاب سناء والسنا يقدح الكواكب زندا
وقوله (٤) :

وشهاب له على كل أفق قبس يهتك الظلام ويودي
وقوله (٥) :

والجور والأنجم رفاقة والقمر الساطع يزهر ابتسام
وهناك صور مرتبطة بظواهر الطبيعة الصامتة الأخرى ، كالأرض ،
والثرى ، والزلازل ، والبراكين ، والنار ، واللقى ، والرياح ،
والعواصف ، والأعاصير ، والنسيم .
ومن ذلك قوله (٦) :

والأرض نشوى من عبير الشذى والكون يهفو بأريج الخزام

(١) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٢) سحابة وطفاء : الديمة السَّح الحثيثة ، طال مطرها أو قصر ، إذا تدلت ذبولها .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٠٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ .

وقوله (١):

تخلق تارة وتسف أخرى يكاد يس جؤجؤها التراباً (٢)
وحق لها وقد وردت ورات ثرى خصبها وأودية رحابا

وقوله (٣):

هنا الأرض زلزال هنا الجو عاصف
هنا الجبل الراسي وغى وضراب
هنا النار زاد للجياج وها هنا
حميم لأكباد الظماء شراب

وقوله (٤):

الخائضين الوغى والكون معمعة من الكوارث يرمي بالبراكين
وقوله (٥):

أثرها على المستعمرين وشنها
لظى تشعل الأجواء والبر والبحرا

وقوله (٦):

وهبت أعاصير العروبة والردى على المارد الجبار تعصره عصرا

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .

(٢) جؤجؤها : صدرها .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ١٩١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

ويلي الجمادات في الصور الطبيعية - في شعر السنوسي - الحيوان ، وأكثر صورته تدور حول الحيوان الطائر : كالنسر ، والصقر ، والحمام ، والبلبل . وذلك مثل قوله (١) :

والنسر ينفض من جناحيه الندى

قبل الصعود إلى السماء مبكرا

وقوله (٢) :

نهض الصقر والسماء حوالبه سحابا وبارقا وشعاعا
وقوله (٣) :

هب من نومه يغني كما غنى على الأيك بلبل غريد
وقوله (٤) :

وشدا في الفروع صادح أيك جاويت لحنه الرقيق حمامه
ومن صور الحيوان السائر ، قوله (٥) :

مثالب تاباها الذئب ترفعا

وتخجل من أمثالهن كلاب

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٠٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٣ .

وقوله (١):

فإذا حية تطل عليه ثم تطوي إلى مداه حبالا

وقوله (٢):

ومشت حولها المها تقطف الزهـ

ر وتحسو الندى وترعى الخزامه

وقوله (٣):

والليث أكرم أن يكون ضحية وأجل من رسن ومن أعباء (٤)

ويأتي النبات كأقل محتويات الطبيعة أثراً في صورته، وقد اقتصر منه

على المنظر الجمالي الرمزي، حيث يختار منه الصور التي تؤدي إلى ذلك،

ف نجد صورته تدور حول الخميطة، والجنة، والرياض وما تحويه من زهور

وأغصان مثل قوله (٥):

رفافة كشذى الزهو رنقية كندى الغمام

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٤ .

(٤) رسن : الرسن : الحبل الذي يقاد به البعير وغيره .

(٥) الأعمال الكاملة ، ص ٣٢٥ .

وقوله (١):

نغمات كأنها نسومات رقرقتها خمائل وجنائن

وقوله (٢):

وربى الوادي على أغصانها حبب غاف وأزهار رقود

(٣) الإنسان :

يعد الإنسان - ذكراً وأنثى - من المصادر الأساسية التي استقى منها شاعرنا صورته في هذا الاتجاه، وقد تناولت صور الشاعر الإنسان في صراعه مع الحياة، إما لتحقيق بعض أمانيه التي يسعى إليها، أو في صراعه من أجل البقاء. كما تناولته وهو يصارع الظلم الذي يمني به من قبل أخيه الإنسان. أما صراعه من أجل تحقيق أمانيه فيتمثل في سعيه الدؤوب بحثاً عنها بكل الوسائل، من ذلك قوله (٣):

كان على الإنسان ضربة لازب

عبور الطريق الوعر مهما تزودا

يسير على أرض مشى في شعابها

أبوه ويعود في الطريق الذي عدا

(١) المصدر السابق، ص ٥٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٤-٣٦٥.

يرافقه وهم الحياة وزيفها
يؤمل إن أمسى ويرجو إذا غدا
غريراً تمنيه الأمانى فينتشي
ويلهو فما ينفك غرام معربدا^(١)
إذا ما مضت من يومه ساعة هفا
إلى غيرها مستعجلاً يطلب الغدا

ويتمثل صراعه من أجل البقاء في الحاجة إلى العيش، ومن صورته التي تجسد هذا الصراع قوله^(٢):

تهوي به رجلاه حيث هوت والـدرب يلفظه ويزدرده
في كل زاوية له أمل يقتاده من محسن يجده
مدودة يده متممة شفتاه ما يوحيه معتقده

وهذا الصراع قد يلجئ بعض الناس إلى ما يغضب الشاعر، كالنفاق، والرياء، والاهتمام بالمادة ونسيان ما عداها، ومن الصور التي تجسد هذا الصراع المرفوض من قبل الناس قوله^(٣):

(١) غريراً: الغر: الشاب الذي لا تجربة له، ولا يفتن للشر ويغفل عنه، ومعربدا: العريضة: سوء الخلق، ورجل معربد: يؤذي نديمه في سكره.

(٢) الأعمال الكاملة، ص ٣٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٣٨.

أصدقائي أم أصدقاء الوظيفة
الأولي تهـزأون بالمثل العـلـ
بسمات ملونـات وأخلا
ق وصولية غلاظ سخيـفه
أنتم يا ذوي النفوس الضعيفه
يا وتلهون بالمعاني الشريفه
وقوله (١):

ولكنني أستهجن المال إن غدا
عبدنا حطام المال حتى كأنه
وسرنا إليه خاضعين كأننا
وكثيراً ما يتناول شاعرنا في شعره الإسلامي صراع الإنسان مع أخيه
الإنسان، ويتجلى ذلك كثيراً في شعره الذي ندد فيه بالاستعمار
والمستعمرين الغربيين. ومن ذلك قوله مصوراً صراع أبناء الجزائر
لأعدائهم، حفاظاً على دينهم وأرضهم وأعراضهم (٣):

شبابهم وصباياهم وصببتهم
يستقبلون المنايا في مثابرة
والشكل واليتم والبأساء قائمة
عارين إلا من الإيمان يشعلهم
في الريف والسيف والأكام والقمم
ذودا عن الدين والأعراض والحرم
في كل بيت على السكان منهدم
حمية في صراع الظلم والظلم

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٤٣ .

(٢) خفير : الخفير : المجير ، ولعل الشاعر أراد به هنا الحامي الذي يحمي الشياه .

(٣) الأعمال الكاملة ، ص ٢٨١ .

ثانياً : الخيال والصورة الشعرية

من المعروف - سلفاً - أن الشعر يخاطب الوجدان الإنساني ويؤثر فيه، وحتى تتحقق له هذه الخاصية فإنه يتوجب على الشاعر التأثر بنفس التجربة التي يود نقلها إلى المتلقي .

وتكتسب الصورة الشعرية - سواء اعتمد فيها الشاعر على المجاز بأساليبه وطرقه المختلفة أو على الحقيقة - الحيوية ، وتكون قادرة على النفاذ إلى أعماق المتلقي إذا كانت صادرة عن تجربة صادقة عاناها الشاعر وتأثر بها، وإن لم يكن ذلك فإن الصورة تموت قبل أن تصل إلى الأذان أو الأحداق؛ لهبوطها وبرودها .

والشاعر المتميز في نظري هو الذي يستطيع تجسيد عواطفه وأحاسيسه ويجلوها في صور شعرية، تعبر عن خلجات حسه ومكنون وجدانه .

وهكذا كان السنوسي في صوره الشعرية التي جسد لنا بواسطتها أبعاد رؤيته الشعرية، ورسم بها أحاسيسه ومشاعره في حالاتها المختلفة .

والناظر في صور السنوسي - التي اعتمد فيها على الأساليب المجازية أو الحقيقية - يلمس حضور خياله المحلق، وتدخله في رسم أبعاد الصورة، وإلباسها الظلال والإيحاء والألوان والحركة .

والخيال كما هو معروف « جوهر الأدب، وغاية لمعان يمثلها تصور

انطباعات الكون في ذهن الأديب وليس حلية أو وشياً»^(١) وهو بالنسبة للشاعر «سمة مميزة لفنه وصياغته، فالخيال عنصر أساسي في التجربة الشعرية يترجم عن مخيلة الشاعر، ويوصل القارئ إلى تجربته، وكثيراً ما يقوم النتاج الشعري بمستوى الخيال فيه»^(٢).

وخيال السنوسي كما تنطق صوره «بعث الحياة في المعاني والمجردات، وحرك الأفكار والجمادات في صور أدبية حية تموج بالحركة والحياة، وتنبض بالحياة والقوة، وتشتع منها الألوان والأضواء والظلال، وترتسم في شكل يتناسب مع طبيعة الغرض، وحجم يتفق مع المغزى»^(٣).

ولك أن تتأمل دور خياله في التقاط أجزاء الصورة من الأفق البعيد، ومن ثم جمعها عن طريق خياله الخلاق، في وصفه لأذان الفجر، وما يصاحبه من تجدد في الحياة والحركة، بعد ذهاب الليل وهدأته وسكونه. حيث يقول^(٤):

ارتفاع الأذان فوق المآذن في انبلاج الصباح والليل ساكن

(١) اتجاهات وآراء في النقد الحديث، د. محمد نايل ط الرسالة، القاهرة سنة ١٩٧٤م، ص ٧٩-٨٠.

(٢) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية، ص ٢٦١.

(٣) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، ص ١٣٧.

(٤) الأعمال الكاملة، ص ٥٤٥-٥٤٦.

دعوة تحمل الحياة إلى الكو
ونداء من السماء إلى الأر
ولقاء بين الملائك والإي
وانطلاق إلى الفلاح إلى الخي
كلما ردد المـؤذن لفظا
نغمات كأنها نسـمات
تتندى بها النفوس وترتـا

ن وسكانه قرى ومدائن
ض إلى ظاهر عليها وياطن
مان والمؤمنين من غير آذن
ر إلى الحق والهدى والمحاسن
شعشع النور والمجلى كل غاين
رقرقتها خمائل وجنائن
ح ارتياح الربى بقطر الهواتن

فالصورة هنا حية متحركة ، تتلاحق فيها الأجزاء مكونة الصورة الكبرى : ارتفاع الأذان ، في انبلاج الصباح ، والليل ساكن ، ولقاء بين الملائك والإيمان والمؤمنين من غير آذن ، ودعوة تحمل الحياة إلى الكون كله . هذا التتابع أعطى الصورة قدراً كبيراً من الجمال . ثم إن الخيال ألبس الصورة ثوباً بديعاً ، اعتمد فيه الشاعر على الأشياء المحسوسة لتقريب المعنى ، فنغمات الأذان كالنسمات العليقة في الخمائل والجنائن ، والنفوس ترتاح لتلك النفحات ارتياح الروابي لقطرات المطر الذي يبعث فيها الحياة والإخصاب . وهذا التنظير بين المعنويات والمحسوسات أسهم في إدراك الصورة (١) .

(١) الإتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث قيمه في موازين النقد، ص

وحين يصور الأرواح المؤمنة وفرحتها بليالي وأيام شهر رمضان المبارك - يعتمد على المحسات في تجسيمه للأمور المعنوية في قوله (١):

طافت بك الأرواح سا بحة كأسراب الحمام
بيض يجللها التقى نورا ويصقلها الصيام
رفافة كشذى الزهو رقية كندى الغمام

فالروح من الأمور المعنوية التي لاتدرك « لكن الشاعر عمد إلى تجسيمها وتقريبها للسامع فشبها تارة بأسراب الحمام السابحة، وأخرى بشذى الزهور، وثالثة بندى الغمام، وهذا التجسيد المعنوي عن طريق ذكر نظائره من المحسات يقربه للذهن فيدركه بسهولة » (٢).

والملاحظ على صور الشاعر التي عمد فيها إلى تجسيم المعنويات، محاولاً تقريبها المتلقي - امتزاجها بحالته النفسية، ومشاعره وأحاسيسه، وهذا الامتزاج من شأنه أن يحمل المتلقي على التفاعل مع تجارب الشاعر، ومن ثم حمله على مشاركته في أحاسيسه ومشاعره.

والصور التي تقدمت معنا لا تخلو من هذا الامتزاج الجميل بين صور الشاعر وحالته النفسية، ومما يؤكد هذا الملمح في صور السنوسي تجسيده لأثر الدين في الحياة، ومدى حاجة الإنسان له في كل زمان ومكان

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٢٥.

(٢) الإتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث، ص ١٨٥.

في قوله (١):

أرأيت الزهور من غير ماء كيف تذوي وتنتهي للفناء ؟

أرأيت الحياة من غير نور كيف تغدو في ظلمة عمياء ؟

هكذا الدين إنه شعلة القلب ب ونبع الظماء في الصحراء

فاتخذه ركيزة وعمادا وضمادا لكل جرح وداء

فالدين وأثره في الحياة ، ومدى حاجة الإنسانية إليه ، أمور معنوية

لا تدرك ، وحتى يستطيع السنوسي تقريبها من ذهن السامع اعتمد على

الأشياء المحسوسة التي تقع عليها عيون الناس في حياتهم اليومية ، فجاء

بالزهر وهونبت جميل تهش له النفس الإنسانية وتبتهج يحتاج إلى الماء حتى

ينمو ويترعرع ويظل مصدراً للجمال ، وقادراً على زرع الراحة في نفوس

عشاقه . وجاء بالحياة وقد انقطع عنها النور الذي يعد أهم مصادر بهجتها ،

وعانقها الظلام الدامس .

وقد نجح الشاعر - من خلال تجسيمه - في بيان أثر الدين في الحياة ،

وفي الحياة الإنسانية بعامه ، فالدين بالنسبة للإنسان كالماء للزهور ، وكانور

للحياة .

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٥٥٢ .

وكما هو ملاحظ على صورة الشاعر السابقة امتزاجها بحالة الشاعر النفسية، وأحاسيسه ومشاعره التواقفة إلى خير البشرية جمعاء، وهو إلى جانب ذلك قد وفق في تقديم صورتين مختلفتين للحياة الإنسانية في ظل تغلغل الدين في أعماقها، وفي حالة افتقادها له .

وحيثما يتناول الماديات يميل إلى التشخيص ، محاولاً بواسطته إبراز معالم الصورة وجوانبها؛ حتى يقترب المعنى الذي جلبت لتأديته ويتضح . نلمس ذلك في تصويره لتعاطف الطبيعة الصامتة وبعض المظاهر الكونية مع رسول الله - ﷺ - ليلة الهجرة النبوية ، حيث يقول (١) :

جثمت حوله تضم جناحيها
أرض والكون عامر بالرجاء
وعيون السماء من كل نجم
يرى لائذا بكل خباء
كم أنفاسه الدجى واقشعر الـ
ليل رعبا واريد وجه الفضاء
فالليل والنجوم والأرض والكون بما يحتويه أمور مادية لا روح فيها،
ولكن خيال الشاعر المحلق بث فيها الحياة ، فجعلها تتعاطف مع رسول الله
- ﷺ - تتجاذبها مشاعر الخوف والقلق عليه من أعدائه المتربصين به ،

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

والشوق والتطلع إلى نجاته وعدم افتضاح أمر هجرته .

نلمس ذلك في الليلة التي استحالت إلى حمامة أسبلت جناحيها؛
لتواريه عن أعين أعدائه المتربصين به . وفي حركات النجوم الدائبة -
ملامسة ثغر الأرض في هدوء؛ لتضيء للرسول - ﷺ - دربه في الليلة
الكثيفة السواد ، وتارة ترصد كفار قريش ، وتكشف مواقعهم؛ حتى يأخذ
رسول الله - ﷺ - حذره منهم - وفي حبس الدجى لأنفاسه ، والفرق
الذي عانق جسد الليل ، والفضاء الذي استحال إلى كتلة سوداء؛ خشية
وهلعاً على رسول الله - ﷺ - .

وفي موضع آخر تتخلى (مكة المكرمة) قبلة المسلمين ، ومهوى
أفئدتهم عن جمودها ، وتتحول إلى أم رؤوم تحتضن الدنيا بأسرها ، وتلطف
بأناملها الرقاق جسد العالم المتوتر ، ثم توجه أبناءها وتحثهم على ضرورة
الوحدة :

تضرع الدنيا لديك ويرتمي في لا بتيك جبينها متعفرا
وإليك تتجه القلوب فوجهي قلب العروبة نحو توثيق العرى
مدي أناملك الرقاق ولطفي بيديك هذا العالم المتوترا^(١)
وتتخلى بعض المواقع الإسلامية عن جمودها ، بعد أن خلع عليها

(١) المصدر السابق ، ص ٢١ .

الشاعر ثوب الإنسانية، فإذا بالقدس يستاف النسائم العليلة القادمة من طوى، وإذا بالطور يد يده ليقتبس شيئاً من نور حراء^(١):

القدس يستاف النسائم من طوى والطور يقتبس الأشعة من حراء

وهناك صور شعرية عديدة اعتمد فيها الشاعر على عبارات حقيقية

الاستعمال، والعبارات الحقيقية الاستعمال كما يرى الدكتور محمد غنيمي

هلال: قد تكون «دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب»^(٢) خاصة إن

استطاع الشاعر استثمار طاقات الألفاظ التي تكتزها في ذاتها سواء من

خلال هيئتها وجرسها، أو الظلال والمعاني التي توحى بها.

وصور شاعرنا التي اعتمد فيها على الاستعمالات الحقيقية للألفاظ

غنية بإشعاعاتها وطاقاتها الإيحائية، قادرة على تجسيد حالته النفسية.

ومن صوره تلك قوله^(٣):

يخز الضمير ويجرح الإحساسا حق يهان فلا يثير الناسا

وعجيبه أن تستمر عصابة تطأ الهدى وتلوث الأقداسا

رعناء أسكرها الغرور فأمعنت بطرا وزادت خسة وشراسا

تلهو وتعبت لا تقيم لمنطق وزنا ولا لمبادئ مقياسا

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٢) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٤٣٢.

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٥٧١ - ٥٧٣.

ومنظمات الحق كل جهودها
لا مجلس الأمن استعاد وقاره
كلا ولا جمعية الأمم انتهت
ويقال إن العصر عصر مبادئ
قول تخالفه الفعال وربما
ماذا يراد بنا فديتك أم تي
اللص في بيتي وبين محارمي
ويقال لي لا تستشير شعوره
سخف وسفسطة وأية منطق
للحق لا تتجاوز القرطاسا
وأقام هيبتته وثار حماسا
يوما إلى حكم يرد شماسا^(١)
فضلى تقيم الوزن والقسطاسا
خدع الدهاة وضلل الأكياسا
لنقيم داخل أرضنا حراسا ؟
يؤذي النفوس ويكتم الأنفاسا
أبدا ولا تبخل له إيناسا
هذا لقد خسيء العدو وخاسا^(٢)

فالأبيات التي أمامنا تكاد تخلو من العبارات المجازية التي يستعين بها الشعراء عادة لتجسيد حالاتهم النفسية المختلفة، وقد اتكأ الشاعر هنا على التصوير عن طريق استعماله للعبارات الحقيقية - باستثناء ثلاث عبارات مجازية: أولها: (تطأ الهدى)، ثانيها: (أسكرها الغرور)، ثالثها: (تجرح الإحساسا) - مستنكراً بواسطتها موقف هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن من العدو الإسرائيلي والقضية الفلسطينية، ومبدياً حزنه العميق

(١) شماسا : الشماس : المعادة والمعاندة .

(٢) خاسا : أي ذل .

وأسفه على تخاذلهما في تطبيق العقوبات على ذلك العدو، وتخليهما عن المبادئ والقيم التي أوجدا لتحقيقها في هذا العالم المترامي الأطراف، ويأتي في مقدمتها إحلال السلام.

ومما زاد من أثر تلك الصور في النفوس استخدامه للأفعال (يخز، يجرح، يهان، يثير، تلهو، تعبت، يؤذي، يكتم، تلوث) والأسماء (الضمير، الإحساس، الحق، عصابة، الهدى، الغرور، البطر، الخسة، الشراسة، القسطاسا).

وذلك لتظاهر تلك الأسماء والأفعال - لما بينهما من علاقة حميمة - في اطلاعنا على عالم الشاعر الوجداني، وجلاء موقفه مما يحدث في بعض أراضيه المسلمين.

أضف إلى ذلك أن الأسماء المشار إليها مشحونة بظلال من المعاني، اكتسبتها من استعمالها على مدى تاريخنا الأدبي والديني، وقدرة الأفعال (يثير، تلهو، تعبت، يؤذي، يكتم، تلوث) على بث الحيوية والحركة في أوصال الصورة التي رسمها لنا الشاعر، وذلك من خلال عنصر الحركة الموجد فيها.

ويعمد السنوسي في تصويره عن طريق العبارات الحقيقية الاستعمال - أحياناً - على بعض الألفاظ القادرة على رسم المعنى المراد من خلال جرسها، أو ظلها.

ومن ذلك استخدامه للفظه (ضعضوا) في الدلالة على قوة الجيوش الإسلامية التي خاضت المعارك الضروس ضد كل من الفرس والرومان، وقد ساعد على ذلك صوتا (الضاد) و(العين) المتكررين في قوله (١):

فلقد ضعضوا قوى كل دهقا ن وعلج وانقذوا كل عاني
وقوله مصورا قوة وفضاة أصوات المجرمين الذين اقتحموا المسجد الحرام (٢): .

لعلت فجأة تشق طمأنية

سنة الأرواح أصوات مجرمين وقاح

فالجرس الناتج من تكرار حرفي (اللام) و(العين) ساعد على إدراك فضاة ذلك الصوت وقوته .

ومن الألفاظ القادرة على رسم المعنى عن طريق ظلها لفظتا (يخر، تهاوى) في قوله مصورا أثر وقع اكتشاف الحقيقة - التي كان ينكرها الفيلسوف - على نفسه (٣):

فإذا الفيلسوف من حكمة الله — ومن لطفه يخر وجوما
فتهاوى خزيا وآمن بالله — تعالى وجل ربا رحيفا

(١) الأعمال الكاملة، ص ٥٦٨ .

(٢) جريدة الندوة، العدد (٦٤٨) في ١٤/١/١٤٠٠ هـ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٦٣١ .

فهاتان اللفظتان تجسدان فجیعة ذلك الفيلسوف ببطلان عقيدته التي اعتقدها، ودأب على تأكيدها.

والذي لا شك فيه أن عمق ثقافة الشاعر وسعتها يمنحان خياله قيمة الشمول والعمق، وأكثر ما تتمثل تلك القيمة في مقدرة الشاعر على توليد عدد من الصور الذهنية التي قد تكون أغلبها بعيداً عن الحس ومعطياته، ولا أحد يجزم بالكيفية التي تصبح بها تلك الصور - نتيجة المعاناة أو التجربة الشعرية - رموزاً وتشكيلات حيوية لها القدرة على بلورة الرؤية التي يسعى الشاعر إلى تحديدها. ولما كان التراث جزءاً أساسياً من ثقافة العصر فإن أي شاعر طموح - من قبيل السنوسي - يسعى إلى توظيف ذلك التراث مدخلاً فيه التاريخ والشخصيات التي أدى أصحابها أدواراً حاسمة في تطور الإنسان^(١).

والناظر في شعر شاعرنا الإسلامي يقف على استدعائه لعدد من الشخصيات التراثية الدينية، واستخدام الشخصية التراثية كما يرى الدكتور علي عشري زايد، في الشعر العربي المعاصر «يعني توظيفها تعبيرياً لحمل بعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر أي أنها تصبح وسيلة تعبير وإيحاء في يد

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية، أحمد عبدالله صالح المحسن، ص

الشاعر يعبر من خلالها أو بها عن رؤياه المعاصرة»^(١) وبذلك تتجاوز المفردة اسم صاحبها، لتصبح رمزاً لغوياً يحمل ذكريات شعورية لكل الأفعال والأعمال التي اقترنت بتلك الشخصية التراثية^(٢).

وهذا الأمر يتحقق إن أحسن الشاعر في استخدامه لتلك الشخصية الغنية بمواقفها، في موقف يستدعي حضورها، ولا يتنافر معها بحيث تستطيع تلك الشخصية تجسيد ما يرمي إليه الشاعر فعلاً^(٣).

وقد وفق شاعرنا في استخدامه لشخصياته التي استدعاها في بعض تجاربه، وفي توظيفها توظيفاً يشي بغاياته، وليس أدل على ذلك من توظيفه لقصة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع النمرود في قصيدته (فتح) حيث يقول^(٤):

سرفي طريقك مستقيماً حتى ولو كانت جحيماً

(١) استخدام الشخصية التراثية، د. علي عشري زايد، رسالة دكتوراة، ١٩٧٤م، دار العلوم، ص ٨.

(٢) لغة الشعر العراقي المعاصر، عمران خضير حميد الكبيسي، ط (١) ١٩٨٢م، ص ٤١ «بتصرف».

(٣) هناك عدد كبير من شعراء العرب المحدثين استخدموا عدداً من الرموز التراثية في معانٍ لا تتفق مع واقعها الذي نعرفه عنها في ثقافتنا الإسلامية. فالحلاج - مثلاً - استخدم عند كثير منهم كرمز للاستقامة والصبر على الحق، وهو في الحقيقة صوفي مغال، قتله أجدادنا لأنه كان منحرفاً.

(٤) الأعمال الكاملة، ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

واملاً فؤادك بالهدى والحق إيماناً قويا
فالنار إبراهيم لم يعبأ بها ونجا سليما
خاض اللظى لم يرتعد فرقا ولم يهرب خصوما
كانت على إيمانه بردا وكان بها كريما

فالشاعر في هذه الأبيات يستدعي شخصية إبراهيم - عليه السلام - وأحداث قصته مع الطاغية نمروذ ، محاولاً بواسطة دفع همم أبناء فلسطين ، إلى المضي قدماً في طريق الجهاد الذي بدءوه ضد أعدائهم من اليهود ، مرغباً إياهم في تحمل المشاق والصعاب التي ستواجههم في دربهم الطويل ؛ إن أرادوا لحركاتهم الجهادية النجاح ، متخذين القدوة من رسول الله - ﷺ - ونبيه إبراهيم - عليه السلام - الذي لم يتنازل عن دعوته التي كلف بتبليغها رغم إلقائه في النار من قبل أعدائه .

ويستدعي شخصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في قصيدته (ياثاني اثنين) وغاية شاعرنا من استدعائه لتلك الشخصية - بالإضافة إلى الإشادة بمواقفه الشجاعة - محاولة الربط بين حركة الردة التي شهدها المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول - ﷺ - من بعض القبائل العربية ، وتصدي الصديق لها ، والردة التي يعيشها المسلمون في العصر الحديث ، والتي تتمثل في تقليدهم للغرب في إلحادهم وزندقتهم ، ووقوفهم عاجزين عن التصدي لها .

يقول السنوسي واصفاً الردة الحديثة بعد أن عرض لموقف الصديق من المرتدين عن الإسلام في فترة ولايته أمر المسلمين (١):

يا ثاني اثنين لو أبصرت حاضرننا

والمسلمون حيارى أينما داروا

في ردة لا أبا بكر يصاولها

ولا يقاومها عمرو وعمار

في ردة من ثياب العصر لابسنة

تحرر قيل عنها وهي آصار (٢)

تفرق الجمع وانحلت شكيمتهم

وانهار إيمانهم بالله فانهاروا

نقلد الغرب إلحادا وزندقة

ومن تحلله نجني ونشنتار

ولا نقلده علما وتقنية

ولا انطلقا له نفع وأثمار

يا ثاني اثنين في ذكراك موعظة

وفي جهادك للسايرين أنوار

ومن الشخصيات التي استدعاها ووفق في استخدامها من خلال

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .

(٢) آصار : آثام .

إثارة ذكرياتها الشعورية في وجدان أبناء الأمة الإسلامية شخصيتها :
(جنكيزخان) و(هولاكو) كرمزين للدمار والتخريب، رابطاً بين الماضي
وغصصه التي تجرعتها أمتنا الإسلامية على يد كل منهما، وحاضرها
المنتظر على يد الجنرال الفرنسي (ديجول)، محاولاً استرجاع تلك
الذكريات الدامية التي فيها تنبيه للمسلمين وتبصير بالخطر المحدق بهم،
حائثاً إياهم على التصدي له ، وفي ذلك يقول (١) :

تكاد تستعر النيران ملء دمي
ويصرخ القلب ملسوعاً من الألم
إذا أصخت إلى المذيع وانطلقت
أواجه تلفظ الأنبياء كالحمم
(جنكيزخان) و(هولاكو) ولفهما
وكل ما سجل التاريخ من نقم
عادوا وعادت مخازيهم يمثلها
(ديجول) في قحة نكرا وفي نهم (٢)

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٢٧٩ .

(٢) قحة : القُحُّ : الخالص من اللؤم والكرم ومن كل شيء ؛ يقال : لثيم قح إذا كان

معرقاً في اللؤم . نهم : النهمة بلوغ الهمة والشهوة في الشيء .

ثالثاً : المفارقة التصويرية

المفارقة التصويرية من الوسائل التي استخدمها الشاعر في التعبير عن بعض تجاربه الشعرية . وهي « عبارة عن إبراز التناقض بين طرفين أو وضعين كان من المفروض ألا يختلفا أو أن يقع بينهما التناقض ، والغاية من ذلك هي استنكار هذا التناقض أو التعجب منه ، أو تعميق الإحساس به»^(١) .

وقد تعددت أنماط هذه الوسيلة في تجارب شاعرنا ، فتارة يشعل روح المفارقة التصويرية بين طرفين مستمدين من عصره وواقعه الذي يعيشه . وخير مثال لذلك ما جاء في قصيدته (القلب الكبير) ومنها قوله^(٢) :

يرفض القلب إذا كان كبيراً	عقد النقص سلوكاً وشعوراً
ويراهم دنسا مستقذراً	تألف القزم وتستهوى الصغيراً
يحجب الناقص سفلى نفسه	بتعالیه على الناس غروراً
ورم الأنف دليلاً واضحاً	أن في النفس جروحاً وبثوراً
وكبير القلب تلقاه على	كل حالیه عظيماً وخطيراً

(١) سيد قطب حياته وأدبه ، عبد الباقي محمد حسين ، ط(١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ،

ص ٢٤١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، ص ٧١٥ - ٧١٦ .

هو كالبحر جلالاً رائعاً وهو كالروض زهوراً وعبيراً
وضياء البشر في غرته خلقاً سمحاً وإيماناً غزيراً
يرفض العجب وإن هش له مبسم الدهر نعيماً وسروراً
فالسنوسي في هذه الأبيات يقدم لنا صورتين مختلفتين من واقعه
وعصره الذي يعيشه ، وطرفاها شخصان ، أحدهما : قد ابتلى بداء
الغرور ، فتعالى على من حوله وتكبر ، وثانيهما : إنسان طيب القلب
يحب الخير لجميع الناس ، ويتعامل معهم كإخوان جمعتهم الأقدار على
سطح هذه الأرض .

وغاية السنوسي من مفارقتة تلك التنفير من الكبر والغرور والتعالي
على الناس ، وترغيبهم في التواضع والاتصاف بالأخلاق الحميدة .
وهي إلى جانب ذلك تفصح عن عشقه للخير والجمال في كل شيء ،
ولعل احتفاله واهتمامه بإبراز معالم صورة الإنسان الطيب القلب ، يؤكد
ذلك الحب والعشق الذي يحمله لكل ما هو جميل في الحياة .

ولا يخفى على المتلقي تأثر السنوسي في مفارقتة تلك بجانب من
التصوير الفني في القرآن الكريم ، فكثيراً ما نجد فيه صورة الجنة تقابل صورة
النار ، وصورة الكفار والمنافقين تقابلها صورة المؤمنين ، وهذه الطريقة في
الأداء لها أثرها العميق في نفس المتلقي ، لأنها تقوم على الجمع بين مشهدين
مع إبراز ما فيهما من تناقض ، فيسهل بذلك على الإنسان اختيار الأصلح

والأجمل ، والضد - كما قيل - يظهر حسنه الضد .

وفي قصيدته (أم القرى) يشعل المفارقة التصويرية بين فترتين تاريخيتين تراثيتين : تصور الأولى الوضع الذي كان عليه الناس قبل نزول خاتمة الرسالات السماوية ، وتصور الثانية وضعهم بعد نزولها وانبثاق أنوارها في آفاق المعمورة . ويتضح ذلك في قوله (١) :

طلعت على التاريخ وهو سخافة	كبرى تخط به الخرافة أسطرا
العنصرية تستبيح كيانه	وشوائب التمييز تخزمه برى
وشريعة الغابات تتظم الدنيا	والحق مطلول الدماء مهدرا
فإذا ابن عبد الله يرفع صوته	ويدك ما شاد الضلال وسورا
في دعوة كالشمس ساطعة السنا	تهدي الضليل وترشد المتحيرا
الفضل للأعمال في دستورها	لا للمناصب والمناسب والثرا
وإذا البرية تحست ظل لوائها	إسلامها القربى وتقواها العرى

فالفترة التي سبقت نزول الرسالة الإسلامية كانت - كما في تصوير شاعرنا لها - مسرحاً لألوان من المعتقدات والخرافات ، ولألوان عدة من الظلم الاجتماعي المتمثل في : اختفاء العدل من على الأرض ، وانتشار التفرقة العنصرية بين الأجناس البشرية التي كانت تعيش في تلك الفترة المظلمة .

(١) الأعمال الكاملة ص : ١٦ - ١٧ .

في حين انتشر العدل، وعمت المساواة، في ظل الرسالة الإسلامية التي تتم المفاضلة فيها عن طريق الأعمال الصالحة، لا عن طريق المناصب، والثراء، والنسب.

والسنوسي - من خلال إشعاله لروح المفارقة بين تلك الفترتين - يسعى إلى تعميق أثر الرسالة الإسلامية في الحياة والأحياء.

وفي قصيدته (الليل والشاعر) يشعل روح المفارقة بين طرفين اثنين : أحدهما : تراثي ، والآخر : معاصر .

يقول السنوسي مستحضراً الطرف الأول في مفارقتة (١) :

أنا من أمة رعى الله ماضيها — لها لقد كان جوهرها من جواهر
كان منها الهادي إلى الحق والحا — مي حماه من كل طاغ وفاجر
كان منها (محمد) وأبو بكر — ر وعثمان والزيبر وعامر
وعلي وطلحة والمثنى — وأبو حفص والشهيد ابن ياسر
نفر كالنجوم إن أظلم الليل — ل أضاءت بهم سماء المفاخر
ليس منهم إلا جواد وإلا — فارس للفوارس الصيد قاهر

ففي هذا الطرف يبرز الشاعر العزة والسيادة التي كانت تتمتع بها أمتة في سابق عهدها .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨١ .

أما الطرف الثاني ، فيتمثل في حاضر أمته الأليم ، بعد أن فتتها
الفرقة ، واستشرى في جسدها الوهن والضعف ، وفي ذلك يقول (١) :
كيف أضحى أحفادهم يا فلسطين — من صغاراً ألا يأنفون الصغائر ؟
بردت في دمائهم نخوة العــــــــــــز وماتت تلك السجايا الحرائر
فهم القوم عدة وعديدا لو تصافت قلوبهم والسرائر
والسنوسي - كما يبدو في هذه القصيدة التي عمد فيها إلى إشعال
روح المفارقة التصويرية بين فترتين تاريخيتين مرت بهما أمتنا الإسلامية -
توافق إلى عودة أمته إلى مكانتها الأولى التي تخلت عنها مرغمة .
وقد سعى بواسطتها إلى إثارة ما خبا في نفوس أبناء أمته من تطلع إلى
المجد والسيادة ، ليسهموا في عودة أمتهم إلى سابق عهدها .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٢ .

الخاتمة

حاولت في هذا البحث أن أبرز الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي ، ومن ثم دراسته دراسة تحليلية فنية . وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة . عرضت في التمهيد لتحديد مفهوم الشعر الإسلامي الذي أقصده في دراستي ، ثم قدمت نبذة مختصرة عن الشاعر الذي دارت حول شعره دراستنا .

الفصل الأول : « النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية » :

تناولت فيه بالدراسة الأغراض الشعرية التي تحتوي أغلب شعر السنوسي ، قديمها وحديثها ، وقد شملت دراستي فيه الأغراض التالية : المدح ، والرثاء ، والغزل ، والوصف ، والشعر الاجتماعي ، والشعر الوطني .

وقد وقفنا في دراستنا لتلك الأغراض على جملة من المعاني الإسلامية ، كما وقفنا على الأثر الإسلامي فيها .

ففي المدح ، وجدنا شاعرنا يشيد بحرص حكام بلاده على نشر الرسالة الإسلامية ، واستمداد أحكامهم منها ، ومناصرتهم للدين ، وإقامة

العدل، ونشر الأمن وبسط ظلاله على كل أرجاء مملكتهم، والأخذ بأيدي الأيتام، ومساعدة الطاعنين في السن، والصدق في القول، والوفاء بالعهود، وصون الأعراض والحرمات، والحلم، والعفو عند المقدرة، والدعوة إلى وحدة المسلمين، والوقوف إلى جانبهم في محنتهم ومآسيهم. وفي الرثاء، وقفنا على إيمان شاعرنا بقضاء الله وقدره، وتسليمه به ورضاه التام عنه، كما وقفنا عند نظرته إلى الموت كحقيقة حتمية تنتظر كل حي في هذا الكون عدا الله - سبحانه وتعالى - وحشه على الأعمال الصالحة والإكثار منها؛ استعداداً للقاء الله عز وجل.

كما بدت النزعة الإسلامية والأثر الإسلامي في ذكره لمحامد ومناقب الذين رثاهم والتي كانت من خصالهم التي عرفت عنهم وهم أحياء. وفي الغزل، وقفنا على اصطباغ قصائده فيه بالعفة التي كانت ثمرة من ثمار العقيدة الإسلامية، وقد برزت آثار العقيدة، واتضح معالمها في حفاظه على الحرمات، وعدم التبذل في معانيه، والبعد عن التحلل والميوعة، والالتزام بالأخلاق الإسلامية التي تآبى عليه الوقوع في ما حرم الله، وأكثر ما يتجلى لنا ذلك الأثر في ربطه لجمال فاتنته بالله - سبحانه وتعالى - فهو الذي منحها إياه.

وفي وصفه للطبيعة بنوعيتها، بدأ المضمون والأثر الإسلامي في ربطه

للمشاهد التي استوقفته بالله - سبحانه وتعالى - فهو خالقها وصانعها .

كما بدا ذلك الأثر في تعاطفه معها وإحساسه بها ، وفي رؤيته لها ، فهي في شعره الذي عرضنا له بالدراسة خليقة حية متعاطفة .

وفي شعره الاجتماعي ، بدا المضمون والأثر الإسلامي واضحاً وقوياً ، سواء في انتقاده ومحاربه لبعض الأدواء التي تفشت في مجتمعه الإسلامي ، لضعف الوازع الديني ، والانبهار بالحضارة الغربية الحديثة ، أو في حثه علي الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة .

وغاية السنوسي - كما سبق أن بينا - إيجاد مجتمع مثالي ، يستمد مثاليته من مثالية رسالته التي شرف بحملها .

وفي شعره الوطني ، بدا المضمون الإسلامي في ربطه لحاضر وطنه بماضيه ، وإيرازه لدوره في نشر تعاليم الرسالة الإسلامية ، ودفاعه عن المقدسات التي تحتويها أراضيه . كما بدا في ربطه لمظاهر الجمال ومصادر الرزق فيه بالله - سبحانه وتعالى - فهو الذي حباه ذلك الجمال ، وأمدّه بمصادر ذلك الرزق .

كما بدا المضمون الإسلامي في دفاعه عن أراضى المسلمين في كل مكان ، ومشاركته لإخوانه المسلمين في أفراحهم وأتراحهم . وقد أكدنا خلو شعر السنوسي الوطني من النزعة العصبية لوطنه ، ووضحنا ذلك من خلال شعره ، وعمقنا ربطه فيه بين الدين والوطن ، من

خلال الشواهد الشعرية التي سقناها وعرضنا لها .

الفصل الثاني : « موضوعات الشعر الإسلامي » .

تناولت فيه بالدراسة أهم الموضوعات الإسلامية في شعره . وقد شملت دراستي فيه شعره المتصل بالعقيدة الإسلامية ، واتضح لنا من خلاله مدى عمق وصفاء العقيدة الإسلامية في وجدانه ، ومدى اعتزازه بها ، من خلال دفاعه عنها أمام كل من حاول النيل منها ، بواسطة إثارة الشكوك حولها ، ودعوته الصادقة إلى اعتناقها عن وعي وإدراك ؛ لما فيها من خير للبشرية جمعاء ، فهي وحدها المنقذ لها من الضياع الذي تعيشه .

وفي شعره المتصل بالإسلام ورسالته ، وقفنا على مدى اعتزازه بالرسالة الإسلامية ، وبالمثل والقيم التي أرسدت دعائمها في الأرض ، ونشرتها بين الناس - جميعاً - دون التفاوت إلى لون ، أو جنس ، أو لغة . كما وقفنا على دفاعه عن الإسلام ورسالته ، وتعريضه بالمروجين للمذاهب والفلسفات الغربية الهدامة ، وتفتيته لمزاعمهم . كما وقفنا على دعوته الجادة إلى اعتناق الدين الإسلامي الحنيف ، والامتنال لأوامره ، واجتناب نواهيه ؛ وذلك لأنه النظام الشامل والصالح للحياة والأحياء في كل زمان ومكان .

كما وقفنا عند بعض الآفاق العبادية في شعره ، كالصلاة ، والصيام ،

والحج .

وقد أفصحت قصائده التي حلق فيها مع تلك الشعائر والأركان الإسلامية عن مدى تعلق الشاعر بها، حيث جلى خصائصها وآفاقها، ولم يتوقف فيها عند ذلك الحد، بل رأيناه يتخذها ميداناً لإرابة آلامه، وبث أحلامه، ومناخاً ملائماً لمعالجة بعض أدواء المسلمين .

وفي شعره الذي استلهم فيه تاريخنا الإسلامي الخالد، وقفنا على عشقه لذلك التاريخ، واعتزازه به، سواء في استدعائه لبعض الشخصيات الفاعلة فيه، أو في استعراضه لأمجاد أمته الإسلامية فيه .

وقد وضحنا غاية السنوسي من ذلك التجوال في صفحات تاريخنا الإسلامي المشرقة، حيث قلنا: بأنه كان يسعى - من خلال عرضه لتلك الصفحات - إلى بعث الروح في أمته، وتخليصها من رقدتها، ودفع شعورها بالذل والانكسار والهزيمة .

ففي جميع وقفاته - تلك - زاد معنوي وشعوري، من شأنه أن يحفز أبناء الأمة الإسلامية على ضرورة العمل الجاد، واستشعار القوة في مواجهة الطغيان، والصبر على المكاره في سبيل الوصول إلى غاياتهم التي يسعون إليها .

وفي شعره المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين، تأكد لنا اعتزاز

السنوسي بحضارة أمته الإسلامية وتراثها العريق ، وإخلاصه لهما .
وقد ظهر ذلك الاعتزاز في استلهامه للمبادئ والقيم التي قامت
عليها تلك الحضارة ، كما ظهر إخلاصه في حثه لأبناء أمته على الانكباب
على تراث أمته الضخم ، وبعثه من جديد ، والاستفادة منه في نهضتهم
الحضارية المعاصرة . كما ظهر اعتزازه بحضارة أمته وإخلاصه لها في دفاعه
عن اللغة العربية ، مستحضراً الأدلة التي تؤكد عمقها ، وسعتها ، وقدرتها
على احتواء كل المعارف الإنسانية الطريف منها والتليد .

ودفاع السنوسي عن اللغة العربية ، وإشادته بحضارة أمته الإسلامية -
هما في واقع الأمر دفاع عن الإسلام ممثلاً في دستوره الذي تنزل بتلك
اللغة ، وحضارته التي استمدت حضورها وسموقها من تعاليمه .

وفي دعوته إلى الجهاد ، وقفنا على نماذج عدة تعكس لنا مدى حنقه
على المستعمر الغادر ، وصدق رغبته في إحياء هذا الواجب الإسلامي من
قبل أبناء أمته ، كما وقفنا على دوافع دعوته إلى الجهاد ، ومع احتفاله
بالانتصارات التي تحققت على أيدي بعض أبناء أمته الإسلامية .

وفي دعوته إلى وحدة أمته العربية والإسلامية ، وقفنا على مدى
اهتمامه بتحقيق تلك الوحدة ، وأكدنا تلازم الوحدة العربية والإسلامية
فيه ، ووضحنا الأسباب التي دفعته إلى الإلحاح على الوحدة العربية ، ونفينا
عن دعوته تلك صفة القومية التي وقع في برائنها عدد غير قليل من أدباء

ومفكري الأمة العربية ، وأرجعنا ذلك إلى انتمائه إلى وطن وحكومة ترفض الدعوة إلى الوحدة العربية على أساس اللغة دون اعتبار للدين ، وإلى تلازم الدين واللغة في دعوته إليها .

وقد أشرنا إلى أن حرص السنوسي على عودة أمته الإسلامية إلى سابق عهدها ، إضافة إلى خشيته من ضياع كل أراضيها في ظل الفرقة التي يعيشها أبنائها - كانا وراء ذلك الإلحاح على وحدة العرب والمسلمين .

الفصل الثالث: « معاني الشعر الإسلامي » . وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: ألمحت فيه إلي أهم الأفكار والمعاني التي دار حولها أغلب شعر السنوسي الإسلامي ، ثم أشرت إلى بعض المعاني التي استوحاها من معاني القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وتضمنه لبعض أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي .

المبحث الثاني: تناولت فيه بالدراسة التجربة الشعرية لدى شاعرنا ومظاهر صدقه الفني فيها .

المبحث الثالث: تناولت فيها بالدراسة الوحدة العضوية في شعر شاعرنا الإسلامي وأبرز مظاهرها فيه .

الفصل الرابع: « الشكل والصورة في الشعر الإسلامي » .

وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: تناولت فيه بالدراسة معجم شاعرنا الإسلامي ،

حيث أشرت إلى تأثيره فيه بقراءاته المختلفة ، وبواقعه وعصره ، وعנית بإبراز أثر ثقافته الإسلامية فيه ، كتأثره فيه بألفاظ القرآن الكريم ، وبعض ألفاظ الحديث النبوي الشريف ، والتاريخ الإسلامي .

المبحث الثاني: تناولت فيه بالدراسة أسلوب الشاعر في شعره

الإسلامي ، وقد لمست في دراستي له تعدد أساليبه فيه ، وقد أرجعت ذلك لسعة ثقافته وشمولها . وتناولت بالدراسة الظواهر البارزة فيه ، كاقترابه من الأسلوب القرآني ، والتكرار ، والحوار ، والأسلوب القصصي .

المبحث الثالث: تناولت فيه بالدراسة الصورة الفنية في شعر شاعرنا

الإسلامي ، فوقفت عند المصادر التي استقى منها صورته ، ثم عرضت للخيال وحضوره في صور السنوسي الشعرية : المجازية والحقيقية ، ثم أشرت إلى دوره في توليد بعض الصور الذهنية من تراث أمته الإسلامية ، وقد اقتصررت في إيضاح ذلك على استخدامه لبعض الشخصيات التراثية في بعض تجاربه الشعرية .

ثم تناولت بالدراسة المفارقة التصويرية باعتبارها وسيلة من الوسائل

التصويرية التي اتكأ عليها الشاعر في بعض تجاربه الشعرية .

وبعد هذه الخلاصة أستطيع أن أجمل أهم النتائج التي تمخضت عنها

هذه الدراسة فيما يلي :

أولاً : أن الدراسة قد جلت وأوضحت غناء الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي ، وتعدد مجالاته وموضوعاته .

ثانياً : جودة شعر السنوسي الإسلامي وتفوقه فنياً في أسلوبه وصوره .

ثالثاً : توافر التجربة الشعرية الصادقة والوحدة العضوية لشعر السنوسي الإسلامي في أكثر معانيه .

رابعاً : أن الرسالة - وإن كانت منصبة على دراسة الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي - استطاعت أن تضيف إلى الدراسات التي دارت حول شعر السنوسي ، فقد فصلت هذه الدراسة بعض ما أجمل في تلك الدراسات ، وقدمت في طياتها قدراً كبيراً من الجديد ، ويمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية :

أ - التعمق في دراسة الروافد التي أثرت في شعر شاعرنا ، سواء في معانيه ، أو في شكله وصورته .

ب - إبراز بعض الظواهر الأسلوبية ، ودراستها ، كاقتراسه من الأسلوب القرآني ، والحوار ، والأسلوب القصصي .

ج - استخدامه للرمز التاريخي في كثير من تجاربه الشعرية ، واتكاؤه

على المفارقة التصويرية في بعض تجاربه الشعرية .

وختاماً : فقد بذلت جهدي وطاقتي في هذا البحث المتواضع ، فإن
وفقت لما هدفت إليه فبفضل الله تعالى عليّ وحسن توفيقه ، وإن كانت
الأخرى فحسبي أنني بذلت جهدي وطاقتي ، ولا يكلف الله نفساً إلا
وسعها ، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث ، قيمه في موازين النقد ، محمد عبده الشبيلي ، الرياض ، الحرس الوطني ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- ٣ - الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د. عبدالقادر القط ، ط (٢) ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر
- ٤ - إتجاهات وآراء في النقد الحديث ، د. محمد نايل ، ط الرسالة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٤ م .
- ٥ - أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، محمد عادل الهاشمي ، ط (١) ، ١٤١٦ هـ - ١٩٨٦ م ، مكتبة المنار ، الأردن - الزرقاء
- ٦ - أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د. شلتاغ عبود شراد ، ط (١) ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ، دار المعرفة .
- ٧ - الأب الإسلامي ، إنسانيته وعالميته ، د. عدنان علي رضا النحوي ، ط (١) ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، دار النحوي للنشر والتوزيع .
- ٨ - استخدام الشخصية التراثية ، د. علي عشري زايد ، رسالة دكتوراة ، ١٩٧٤ م ، دار العلوم .

- ٩- الإسلام في شعر حمام، د. طاهر عبداللطيف عوض ، ط (١)
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .
- ١٠- الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر، د. محمد علي
أبوريان، الإسكندرية ١٩٨٥م، دار المعرفة الجامعية .
- ١١- الإسلام ومبادئ نظم الحكم في الماركسية والديمقراطية الغربية،
د. عبدالحميد متولي، الإسكندرية ١٩٧٦م، منشأة المعارف .
- ١٢- الإسلامية والمذاهب الأدبية، د. نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة،
ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٩م .
- ١٣- الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي ، مطابع الروضة،
جدة، ط (١) ١٤٠٣هـ ، منشورات نادي جازان الأدبي
- ١٤- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، للإمام جلال الدين
عبدالرحمن السيوطي، ط (٣)، بيروت ، دار المعرفة ،
١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ١٥- انطونيو وكليوباترا ، دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي، د.
عبدالحكيم حسان، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط (٢)،
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ١٦- بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، د. محمد نبيد حجاب ، ط (٢)
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة .

- ١٧ - تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ١٩٦٣ م .
- ١٨ - تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق الدكتور حفي شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٣ م ، القاهرة .
- ١٩ - التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ط (٨) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، دار الشروق .
- ٢٠ - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، د. شكري فيصل ، ط (٦) ، آذار (مارس) ١٩٨٢ م ، دار العلم للملايين .
- ٢١ - التعبير الفني في القرآن ، د. بكري شيخ أمين ، ط (٣) ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، دار الشروق .
- ٢٢ - التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، د. مجاهد مصطفى بهجت ، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، العراق - بغداد - ط (١) ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٢٣ - ثورة الجزائر ، تأليف جوان جليبي ، ترجمة : عبدالرحمن صدقي أبو طالب ، مراجعة : د. راشد البرواي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون تاريخ .

٢٤ - حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ، تأليف رابع لطفي جمعه ، مطبوعات داره لملك عبدالعزيز ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢٥ - حسن كامل الصيرفي وتيارات التجديد في شعره ، د . محمد سعد فشان ، ط(١) ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، ميدان الأزهر .

٢٦ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د . بكري شيخ أمين ، ط(٥) ، شباط (فبراير) ١٩٨٦م ، دار العلم للملايين .

٢٧ - الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ، عبدالله محمد حسين أبوداهش ، ط(١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، منشورات دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض .

٢٨ - الحياة والموت في الشعر الأموي ، د . محمد بن حسن الزير ، ط(١) ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، دارمية للنشر والتوزيع .

٢٩ - الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله - ﷺ - ، أنيس منصور ، ط(٧) ، ١٩٨٦م ، الزهراء للإعلام العربي .

٣٠ - خلفاء الرسول ، خالد محمد خالد ، دار الشروق ، بيروت ، يناير ١٩٧١م .

٣١ - دراسات أدبية ، د . عمر الدسوقي ، ج(١) ، مكتبة الأنجلو نهضة مصر ، بالفجالة .

- ٣٢- دراسات في الأدب الإسلامي ، سامي مكّي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
- ٣٣- دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي ، لربيع محمد عبدالعزيز وآخرين ، ط (١) ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- ٣٤- الدين ، محمد عبدالله دراز ، القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٣٥- ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، بدون تاريخ .
- ٣٦- الديوان ، عباس محمود العقاد ، إبراهيم المازني ، ج (٢) ط (٣) .
- ٣٧- رسالة الشعر في خدمة الدعوة وحركات الإصلاح ، د. عبدالرحيم محمود زلط ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٣ م .
- ٣٨- سيد قطب ، حياته الأدبية ، عبدالباقي محمد حسين ، ط (١) ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٣٩- السيرة النبوية ، لابن هشام / حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شلبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، بدون تاريخ .
- ٤٠- الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، د. عبدالله الحامد ، ط (١) ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

- ٤١ - شعراء الجنوب ، تأليف محمد بن علي السنوسي ، محمد بن أحمد عيسى ، مطبعة الكمال ، عدن ، بدون تاريخ .
- ٤٢ - شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد عبدالله صالح المحسن ، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ١/٧/١٤١١هـ - ١٦/١/١٩٩١م .
- ٤٣ - الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عزالدين إسماعيل ، ط (٣) ١٩٨١م ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت .
- ٤٤ - شعر الغزل في المملكة العربية السعودية ، علي المصري ، ط (١) ، عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٤٥ - الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبداللطيف السحرتي ، ط (٢) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، جدة - المملكة العربية السعودية .
- ٤٦ - شعراء من أرض عبقر ، محمد العيد الخطراوي ، ج (٢) ، دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي .
- ٤٧ - الشوقيات ، أحمد شوقي ، ج (١) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٤٨ - الطبيعة في الشعر الأندلسي ، د. جودة الركابي ، ط (٢) دمشق ، مكتبة أطلس ، ١٣٩٠هـ .

- ٤٩ - العصر الإسلامي ، د. شوقي ضيف ، ط (٧) ، دار المعارف بمصر .
- ٥٠ - عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، ط (٢) ١٩٧٩ م .
- ٥١ - عنصر الصدق في الأدب ، د. محمد النويهي ، ط القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٥٢ - الغارة على التراث الإسلامي ، جمال سلطان ، ط (١) رمضان ١٤١٠ هـ - إبريل ١٩٩٠ م .
- ٥٣ - فتح الباري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتباتها .
- ٥٤ - الفردوس في مآثور الخطاب ، تأليف أبي شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٥٥ - في الأدب الإسلامي ، د. محمود شاكر سعيد ، ط (١) ١٤١٣ هـ ، دار المعارف الدولية للنشر .
- ٥٦ - في الأدب الحديث ، د. عمر الدسوقي ، ط (٨) ١٩٧٣ م ، دار الفكر .
- ٥٧ - في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ، د. عبد الله الحامد ، ط (١) ، ١٤٠٢ هـ ، مطابع حنيفة للأوفست بالرياض .

الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي

- ٥٨ - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط (١٥) ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، دار الشروق .
- ٥٩ - في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل ، ط (٣) ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٦٠ - في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، ط (٥) ، دار المعارف .
- ٦١ - قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، ط (٧) ، نيسان (إبريل) ١٩٨٣ م ، دار العلم للملايين - بيروت .
- ٦٢ - قضايا النقد الأدبي ، د. بدوي طبانة ، المطبعة الفنية الحديثة ، بدون تاريخ .
- ٦٣ - الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٦٤ - كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاش ، ط (٣) ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٦٥ - لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، ط ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ٦٦ - لغة الشعر العراقي ، عمران خضير الكبيسي ، ط (١) ١٩٨٢ م ، وكالة المطبوعات الكويت .

- ٦٧ - ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، ط (٩) ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، دار القلم .
- ٦٨ - المجاز وأثره في الدرر اللغوي ، د. محمد بدوي عبد الجليل ، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ، ط (١) ١٩٧٥م .
- ٦٩ - مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج (١) ، ط (٢) ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م ، مطبعة السعادة بمصر .
- ٧٠ - محمد ﷺ في الشعر الحديث ، د. حلمي القاعود ، ط (١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٧١ - محمد بن علي السنوسي حياته وشعره ، محمد بن سليمان القسومي ، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اللغة العربية في الرياض ، العام الجامعي ١٤١٣هـ - ١٤١٤هـ .
- ٧٢ - محمد بن علي السنوسي شاعراً ، د. محمود شاكر سعيد ، ط (١) ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، عمان .
- ٧٣ - مختصر سيرة الرسول ﷺ لشيخ الإسلام مجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب ، المكتبة الفيصلية ، بدون تاريخ .
- ٧٤ - مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، ط (١) الدوحة ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ، ١٤٠٧هـ .

- ٧٥- المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية،
علي علي مصطفى صبح، ط (١) سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٧٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر،
بيروت.
- ٧٧- مطران (نوابع الفكر العربي) محمد عطا، ط دار المعارف ١٩٥٩م.
- ٧٨- معروف الرصافي، دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية
والاجتماعية، د. بدوي طبانه، ط (٢) مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٧٩- المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، د. شوقي الجمل، مكتبة
الأنجلو المصرية، القاهرة، ط (١) ١٣٧٩هـ - ١٩٧٧م.
- ٨٠- معجم الأعلام، معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب
والمستعربين والمستشرقين، بسام عبدالوهاب الجابي، ط (١) ١٤٠٧هـ
- ١٩٨٧م، الجفان والجابي للطباعة والنشر.
- ٨١- معجم الأعلام، في الأساطير اليونانية والرومانية، ترجمة أمين
سلامة، ط (١)، ١٩٥٥م، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي
- ٨٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي،
ط (٣)، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الحديث، القاهرة.
- ٨٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبته: لفيف من
المستشرقين، ونشره: أ. ي. ونستك، مكتبة برييل في مدينة ليدن،
١٩٣٦م.

- ٨٤ - المفقود من شعر علي بن محمد السنوسي ، دراسة تحليلية لشخصيته وتوثيقية لبعض قصائده ، جمع وتحقيق د. عبدالله بن محمد بن حسين أبوداهش ، ط (١) ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، مطابع الجنوب .
- ٨٥ - من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة ، ط (١) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، دار الرفاعي .
- ٨٦ - من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو ، ط (١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، دار المنارة للنشر ، السعودية ، جدة .
- ٨٧ - منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، ط (٨) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، دار الشروق .
- ٨٨ - النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، د. حسن بن فهد بن حسن الهويميل ، الرياض ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٨٩ - النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، بيروت .
- ٩٠ - النقد الأدبي أصوله واتجاهاته ، د. أحمد كمال زكي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .
- ٩١ - النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، مطبعة نهضة مصر . بدون تاريخ .
- ٩٢ - النقد العربي الحديث ومذاهبه ، د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط الفجالة الجديدة بمصر ، سنة ١٩٧٥م .

- ٩٣ - نهضة الأدب المعاصر في الجزائر، د. عبدالمملك مرتاض ، ط(٢)،
١٩٨٣ م.
- ٩٤ - هذا هو الإسلام، محمد عبدالقادر العماوي، ط(٣) القاهرة دار
الفكر الحديث للطباعة والنشر ١٩٧٣ م.

الصحف والمجلات

أ - الصحف :

- ١ - البلاد ، الأعداد : ٧٠٧١ في ٢٨/٢/١٤٠٢ هـ .
٧١٦١ في ٢٩/١٢/١٤٠٢ هـ .
٧١٧٩ في ٢٠/٢/١٤٠٣ هـ .
٢ - الندوة ، العدد : ٤٦٠٨ في ١٤/١/١٤٠٠ هـ .

ب - المجلات :

- ١ - مجلة الحرس الوطني : العدد : (٥٠) ربيع الآخر سنة ١٤٠٧ هـ
٢ - مجلة الفيصل : العدد (٧٣) رجب سنة ١٤٠٣ هـ .
والعدد : (١٠٩) رجب سنة ١٤٠٦ هـ .
٣ - مجلة كلية اللغة العربية : العدد (١١) عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
٤ - مجلة المسلمون : العدد : (٣٨) في ٢٥/٩/١٤٠٢ هـ .

- ٥ - مجلة المنهل : المجلدات : (٨) جمادى الثانية سنة ١٣٦٧ هـ .
(١٤) ربيع الأول سنة ١٩٧٣ م .
(١٥) ربيع الأول سنة ١٣٧٤ هـ .
(٢٣) شعبان سنة ١٣٨٢ هـ .
(٢٩) ذو القعدة ، وذو الحجة سنة ١٣٨٨ هـ .
(٣٨) محرم وصفر سنة ١٣٩٦ هـ .
- ٦ - مجلة اليمامة : العدد (١١٤٨) رمضان سنة ١٤١١ هـ .
العدد (١١٤٩) رمضان سنة ١٤١١ هـ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	المقدمة
١٨	التمهيد
	الفصل الأول
١١٠ - ٢٧	النزعة الإسلامية في الأغراض الشعرية
٢٨	المدح
٣٧	الثناء
٥٤	الغزل
٦٤	الوصف
٧٩	الشعر الاجتماعي
٩١	الشعر الوطني
	الفصل الثاني
١٨٥ - ١١١	موضوعات الشعر الإسلامي
١١٢	الشعر المتصل بالعقيدة الإسلامية
١٢٧	الشعر المتصل بالإسلام ورسائله
١٤٣	استلهام التاريخ الإسلامي
١٦١	الشعر المتصل بالحضارة والتراث الإسلاميين

تابع فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٧٠	الشعر المتصل بالدعوة إلى الجهاد
١٧٦	الشعر المتصل بالدعوة إلى الوحدة العربية والوحدة الإسلامية
	الفصل الثالث
٢٥٩ - ١٨٧	معاني الشعر الإسلامي
١٩٠	المبحث الأول : المعاني والأفكار
٢٢٠	المبحث الثاني : التجربة الشعرية والصدق الفني
٢٤٤	المبحث الثالث : الوحدة العضوية
	الفصل الرابع
٣٩٩ - ٢٦١	الشكل والصورة في الشعر الإسلامي
٢٦٤	المبحث الأول : المعجم الشعري
٢٨٦	المبحث الثاني : الأسلوب
٣٥٢	المبحث الثالث : الصورة الفنية
٤٠٠	الخاتمة
٤١٠	المصادر والمراجع
٤٢٣	فهرس الموضوعات

مطابع جامعة أمم القرى